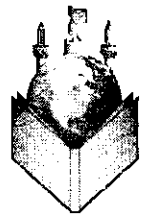

الجامعة الأمريكية المفتوحة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية

# البلاغة (١)

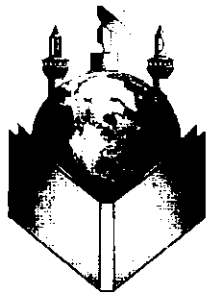


**الجامعة الأمريكية المفتوحة**

مؤسسة تعليمية
مستقلة غير ربحية

*Web Location:*
*www.aou.edu.com*

*٤٢١٢King Street*
*Alexandria, VA*
*٢٢٣٠٢U.S.A*

مكتب الجامعة بالقاهرة
*Famil: Info@aou-edu.com*

هاتف: ٤١١٥٢٧٦
فاكس: ٤١١٥٢٦٠

مركز البحوث وإعداد
المناهج بالجامعة

*٢٠ ش عبد العزيز عيسى المنطقة*
*التاسعة – مدينة نصر – القاهرة*

تليفاكس: ٠٠٢٠٢٦٧٠٩٢٦٩



حقوق الطبع محفوظة



# لدار الأندلس الخضراء

١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م

المملكة العربية السعودية – جدة

الإدارة: ص.ب ٤٢٣٤٠ جدة ٢١٥٤١ هاتف: ٦/١٠٥٧٧ – فاكس: ٦٨١٠٥٧٨

المكتبات: حي السلامة – خلف مسجد الشعيبي هاتف – فاكس: ٦٨٣٥٢٠٩

حي النفرة – شارع بدخشب – هاتف: ٦٨١٥٠٢٧ – فاكس: ٦٨١٠٥١٨

مكتب الرياض: هاتف / فاكس: ٢٤٢٤٩٣٠

الموقع: *www.alandalos.com*

بريد الكتروني: *info@alandalos.com*



حقوق الطبع © ١٤٢٥هـ. لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بشكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام رقمي أو إلكتروني يُمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن من دار الأندلس الخضراء.

**لجنة إعداد وتطوير المناهج بالجامعة**

مكتب القاهرة – مكتب جدة

أعدَّ مادة هذا الكتاب:

| | |
|---|---|
| أ.د / عبدالعظيم المطعني. | الأستاذ بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر |

إشراف ومتابعة

**د/ محمد يسري إبراهيم**

رئيس مركز البحوث وإعداد المناهج بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

# رسالة إلى الدارس

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

الإخوة والأخوات طلبة وطالبات الجامعة الأمريكية المفتوحة..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.....وبعد

فمرحبًا بكم على طريق التفقه في الدين، وأهلًا بكم أوفياء لدينكم في زمن الغربة التي يعيشها الإسلام، ونزف إليكم بشرى إمام الأنبياء والمرسلين ﷺ أن: "**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**"(١)، وأن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يفعل، وأن من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا يسر الله له به طريقًا إلى الجنة.

عزيزي الدارس ...عزيزتي الدارسة، يطيب لنا أن نلتقي بكم مجددًا في مرحلة الكالوريوس مع مقرر البلاغة (١). وقد تم إعداد هذه المادة وتنظيمها في صورة وحدات تضم فصولًا، تحتوي كل وحدة على عناصر أساسية هي: (مقدمة الوحدة – الأهداف التعليمية – الرسومات الخطية – الاختبار البعدي – الأنشطة التعليمية).

وإننا نوصي إخوتنا وأخواتنا – طلبة الجامعة – بأن يسيروا في دراسة هذا المقرر وفقًا لنظام تصميم الوحدات الذي أعد به هذا الكتاب وذلك حتى يتحقق أكبر قدر من الاستيعاب والفائدة، والله –تعالى– هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، حديث رقم: ٦٩. ومسلم، كتاب الزكاة، باب: النهي عن المسألة، حديث رقم: ١٧٢١.

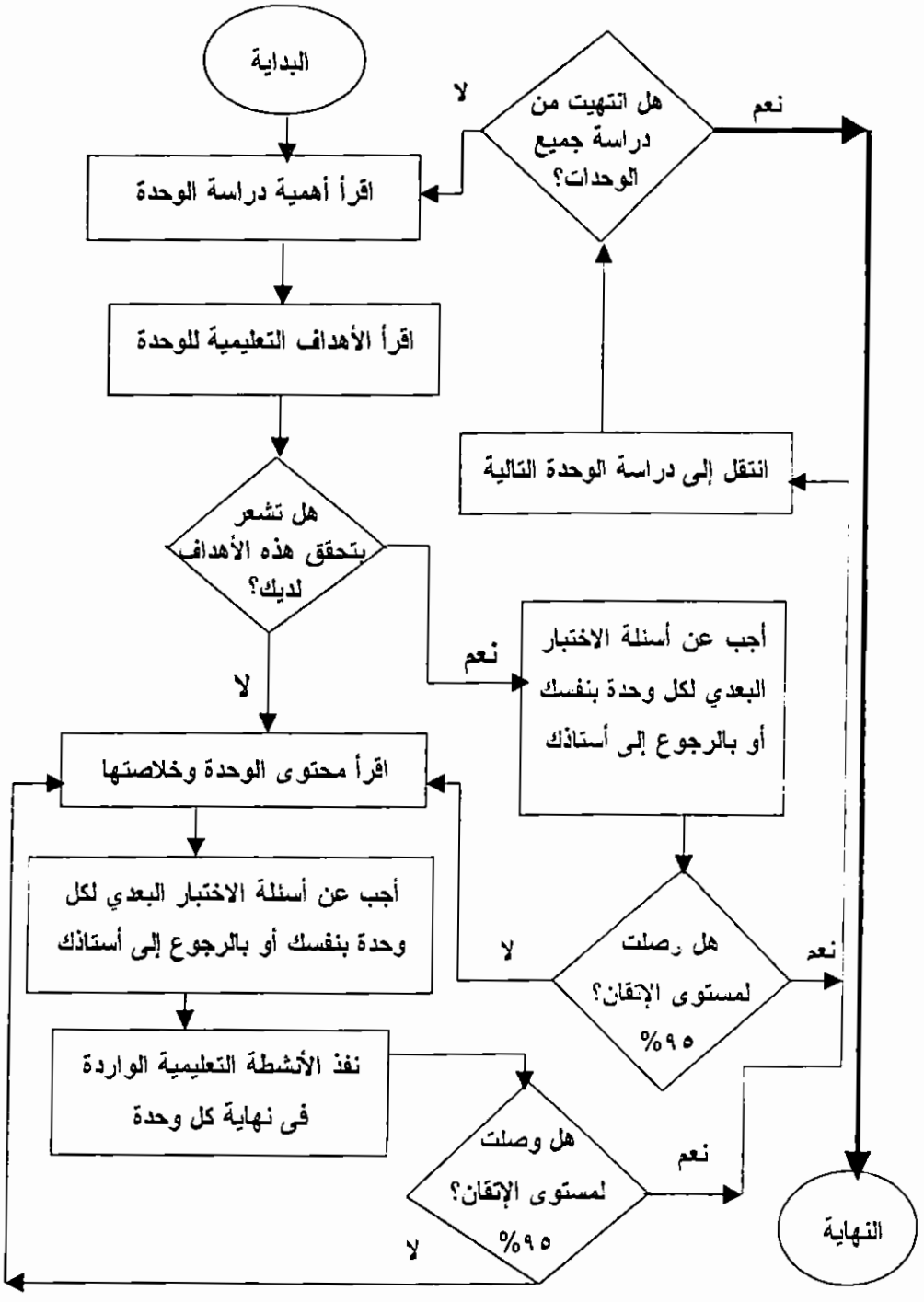
البداية
هل انتهيت من دراسة جميع الوحدات؟
لا
نعم
اقرأ أهمية دراسة الوحدة
اقرأ الأهداف التعليمية للوحدة
انتقل إلى دراسة الوحدة التالية
هل تشعر بتحقق هذه الأهداف لديك؟
نعم
لا
أجب عن أسئلة الاختبار البعدي لكل وحدة بنفسك أو بالرجوع إلى أستاذك
اقرأ محتوى الوحدة وخلاصتها
أجب عن أسئلة الاختبار البعدي لكل وحدة بنفسك أو بالرجوع إلى أستاذك
هل وصلت لمستوى الإتقان؟ ٩٥%
لا
نعم
نفذ الأنشطة التعليمية الواردة فى نهاية كل وحدة
هل وصلت لمستوى الإتقان؟ ٩٥%
نعم
لا
النهاية

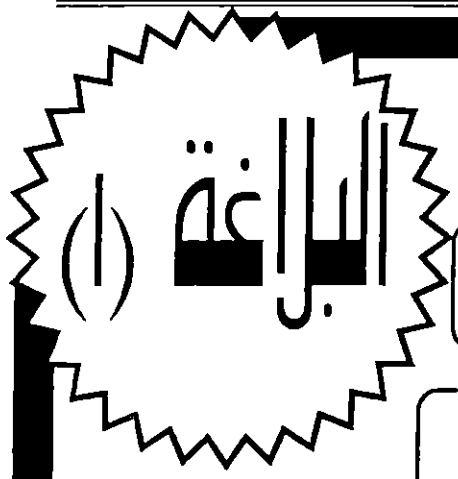



الوحدة الأولى — نشأة البلاغة وتطورها.

الوحدة الثانية — الفصاحة والبلاغة.

الوحدة الثالثة — علم المعاني.

الوحدة الرابعة — الإسناد.

الوحدة الخامسة — القصر وطرقه – الفصل والوصل.

الوحدة السادسة — الخبر والإنشاء.

الوحدة السابعة — المساواة والإيجاز والإطناب.

الوحدة الثامنة — الإخراج على خلاف الظاهر.

# الوحدة الأولى

## نشأة البلاغة وتطورها

# الوحدة الأولى

## نشأة البلاغة وتطورها

**مبررات دراسة الوحدة:**

**عزيزي الدارس:** البلاغة قديمة قدم البيان الإنساني نفسه، لم يخل منها عصر من العصور؛ فهي نزعة فطرية صاحبت الإنسان من أول عهده بالحياة، مارسها الناس في عصور البداوة وعصور التحضر، لم يخل منها زمان ولا مكان ولا بيئة ولا جنس ولا لغة.

والبلاغة كعلم هي: مجموعة القواعد والأصول التي تقنن هذا النعم وتميزه عن غيره من العلوم اللسانية؛ كالنحو والصرف والعروض وعلم اللغة وفقهها.

ولقد مر هذا العلم -كغيره من العلوم- بأطوار كثيرة حتى استوى على عوده.

وأنت -عزيزي الدارس- في هذه الوحدة سوف تتعرف على نشأة هذا العلم وتطوّره، وسوف تتعرف على المدارس البلاغية المختلفة وأئمة هذه المدارس؛ لقد أقبل على دراستها بعد واجتهاد.

## الأهداف التعليمية للوحدة:

**عزيزي الدارس:** يرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١- تعرف البلاغة العربية من حيث كونها فنًا.

٢- تشرح القواعد والأصول التي تجعل من البلاغة علمًا متميزًا عن غيره من العلوم اللسانية الأخرى.

٣- تذكر دور الإمام عبد القاهر الجرجاني في ازدهار المباحث البلاغية.

٤- تكتب نبذة عن الإمام أبو يعقوب السكاكي صاحب كتاب "مفتاح العلوم".

٥- تعرف بالخطيب القزويني صاحب كتاب "الإيضاح".

٦- تقارن بين المدارس البلاغية الثلاثة: المدرسة العقلية، والمدرسة الأدبية الذوقية، والمدرسة الوسطى.

**أولاً: البلاغة فنًا.**

- البلاغة من حيث هي فن.
- البلاغة من حيث هي قواعد وأصول.

**ثانيًا: البلاغة علمًا.**

- نشأة البلاغة وتطورها ودور كتب اللغة والتفسير في إثرائها.
- كتب الجاحظ ودورها في إثراء علم البلاغة.
- دور الإمام عبد القاهر الجرجاني في ازدهار مباحث البلاغية.
- دور الإمام أبي يعقوب السكاكي في تصنيف علم البلاغة.
- دور الإمام الخطيب القزويني في إثراء مؤلفات البلاغية وإشارته لجهود البلاغيين من قبله.

**ثالثًا: المدارس البلاغية واتجاهاتها.**

- المدرسة العقلية.
- المدرسة الأدبية الذوقية.
- المدرسة الوسطى.

## أولاً: البلاغة فناً

في الكلام عن نشأة البلاغة يجب أن نفرق بين أمرين:

**الأول:** البلاغة من حيث هي فن قولي يسري في الكلام سريان الماء في العود الأخضر.

**الثاني:** البلاغة من حيث إنها قواعد وأصول ومصطلحات علمية، هي المدخل لمعرفة الشكل الخارجي في البلاغة كالتشبيه والاستعارة والمجاز المرسل، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير، والطباق والجناس ولنعرف -منذ البداية- أي الأمرين يدخل معنا في الحديث عن نشأة البلاغة.

فالبلاغة بالمعنى الأول قديمة قدم البيان الإنساني نفسه، لم يخل عصر من عصور الحياة منها؛ لأنها نزعة فطرية صاحبت الإنسان من أول عهده بالحياة، و لم تقتصر على طبقة دون طبقة. بل كل الناس مارسوها في عصور البداوة وفي عصور التحضر، ونحن نلحظ في كلام عامة الناس في حياتهم اليومية الدارجة أساليب بلاغية، لا يعرفون عنها شيئًا ولكنهم بفطرتهم يتحدثون بها؛ لأنها مركوزة في طباعهم، تجري على ألسنتهم بكل يسر وبدون تكلف أو معاناة.

فهم يطلقون على الرجل الكريم بحرًا، والشجاع أسدًا، والطماع منشارًا؛ لأنه (يأكل وهو نازل وهو طالع)، وكثير الكلام مبردًا.

يستعيرون ويكنون ويشبهون وهم لم يدرسوا الاستعارة ولا الكناية ولا التشبيه وإذا عمدت إلى النصوص التي قيلت قبل تدوين العلوم والفنون، وبخاصة القرآن الكريم والشعر العربي قبل البعثة وفي أثنائها تجد فيها جميع الفنون البلاغية بوفرة كاثرة.

وهذا ما نعنيه بالبلاغة الفنية الفطرية التي لم يخلُ منها مكان ولا زمان ولا بيئة ولا جنس ولا لغة، فهي -أعني البلاغة- قديمة قدم الحياة الإنسانية نفسها، وكان لها أثر واضح في ظهور البلاغة العلمية التي هي موضوع حديثنا في الصفحات الآتية.

## ثانيًا: البلاغة علمًا

المراد من البلاغة علمًا: مجموعة القواعد والأصول التي تقنن علوم البلاغة في نفسها، وتحدد الفروق بينها، وتميزها عن غيرها من العلوم اللسانية، كالنحو والصرف والعروض وأصول اللغة، بحيث تصبح تلك الأصول والقواعد البلاغية موضوعات للدرس، وعلى هداها تحلل الأساليب بلاغيًا ويُبين ما فيها من عناصر البلاغة وصورها الجزئية التي تَكوَّن منها العمل الأدبي أو الفكري.

فمثلاً قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾[مريم: ٤].

يأتي دور البلاغة في تحليل هذه العبارة بلاغيًا بأن "اشتعل" استعارة تشبه سرعة انتشار الشيب في الرأس وشموله كل الشعر باندلاع النار في الهشيم اليابس.

ويتولد عن هذا كناية لطيفة عن شدة الضعف والتقدم في السن.

وقوله ﷺ: "**الناس سواسية، كأسنان المشط**"(١).

يحلله البلاغي فيقول: في الحديث لشريف تشبيه، الناس: مشبه، وأسنان المشط: مشبه به.

وشبه جملة: "كأسنان المشط" لم تعطف على الجملة التي قبلها بالواو؛ لأن بين الجملتين كمال الاتصال؛ لأن الثانية نُزِّلت من الأولى منزلة عطف البيان "تفسيرية" أو منزلة التوكيد؛ لأن "كأسنان المشط" معناها هو معنى الجملة التي قبلها "الناس سواسية".

وأن وجه الشبه في هذا التشبيه هو دقة المساواة بين المشبه والمشبه به.

---

(١) أخرجه ابن عدي في كتاب الكامل في ضعفاء الرجال (٢٤٨/٣)، وابن الجوزي في كتاب الموضوعات: (٨٠/٣)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (٥٧/٧).

وأن أداة التشبيه فيه هي "الكاف".

وطرفا التشبيه هما: الناس، وأسنان المشط.

وأن وجه الشبه محذوف، هو في التساوي.

وأن هذا التشبيه يسمى -بلاغةً-: مرسلاً مفصلاً؛ مرسلاً لوجود أداة التشبيه في الكلام لفظًا، ومفصلاً لحذف وجه الشبه من الكلام.

كما يسمى تشبيهًا حسيًّا، لأن كلاًّ من طرفيه أمر حسي مدرك بحاسة البصر، وهو تشبيه مفرد لأن وجه الشبه فيه مكوّن من وصف واحد.

وكذلك قول الشاعر:

كأنك شمس والملوك كواكب  إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب

في البيت تشبيه الممدوح بالشمس، ومن عداه من الملوك كواكب، إذا ظهر الممدوح اختفوا هم، كما تختفي النجوم إذا أشرقت الشمس.

هذه البلاغة الفنية ولدت ونمت وتطورت كما يولد الطفل وينمو ويتطور، شأنها شأن كل العلوم والفنون، وباختصار شديد نقول: إن البلاغة العلمية -كما قال مؤرخو العلوم- كانت في مرحلة نشأتها ومضات ولمحات متفرقة في كتب النقد الأدبي باعتبارها دعامة النقد الفني، السارية في الأعمال الأدبية سريان الماء في العود الأخضر، أو سريان الروح في الجسد الحي. نصوص العمل الأدبي هي الجسد، والبلاغة هي الروح.

وهذا كلام صحيح تاريخيًا، لكنه يحتاج إلى إضافة مهمة، خلاصتها:

أن هذه البلاغة العلمية، لم تنشأ في كتب النقد الأدبي وحدها، بل لها مشارف أخرى، سرت فيها كسريانها في كتب النقد والأدب ومنها:

كتب اللغة، وبخاصة كتب النحو، وكتب أصول الفقه، وكتب التفسير، وغيرها.

ففي "الكتاب لسيبويه"، وهو من مؤلفات القرن الثاني الهجري نجد لقطات بلاغية سبق هو إليها كل من جاء بعده، ومن أبرزها الإلماح إلى "المجاز العقلي" في قوله تعالى: ﴿مَكْرُ اللَّيْلِ﴾ يعني مكر الناس في الليل؛ لأن الليل لا يمكر ولكن يُمكرُ فيه.

وجاء من بعده وقال إن الليل ظرف زمان للمكر، فأضيف إلى الليل لملابسته له؛ لأن المكر يقع فيه، وغير ذلك كثير.

وكتاب الرسالة في أصول الفقه للإمام الشافعي، وهو أول كتاب وُضِع في أصول الفقه نجد كثيرًا من مسائل علم المعاني، منها المجاز العقلي -كذلك- ووضع الخاص مرادًا به العام، والعام مرادًا به الخاص، والمعوَّل عليه في الفهم هو القرائن التي يتضمنها المقام عقلية كانت أو لفظية.

كما تضمن كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى إشارات عديدة لفنون بلاغية أخذت مكانها فيما بعد في حقل الدرس البلاغي المستمر.

وكانت كتب الجاحظ، وبخاصة "البيان والتبيين"، و"الحيوان" حافلة بالمباحث البلاغية حتى عُدَّ الجاحظ من مؤسسي علوم البلاغة.

ويُعزى إليه أنه أول من اهتدى إلى "الاستعارة" وهذا سهو ممن قالوا بهذا؛ لأن أول من ذكر الاستعارة وهو يعلق على قول الشاعر:

"ولفَّ الثريا في ملاءته الفجر" هو أبو عمرو بن العلاء.

ثم جاء كتاب "الموازنة" للآمدي: وكتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومه" للقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني، وهما كتابا نقد خالص لكن مباحث البلاغة كان لها ظهور واضح فيهما؛ لأنها -كما قلنا سابقًا- دعامة النقد الفني، القائم على تحليل النصوص الأدبية، للكشف عما فيها من جودة أو رداءة.

وفي العصر الذي ظهر فيه هذان الكتابان كان قدامة بن جعفر قد وضع كتابه

المعروف: "نقد الشعر" وأكثر فيه من ذكر الفنون البلاغية على وجه لم يسبق إليه.

ومن قبلهم تعرض المبرد في كتابه "الكامل" لبعض الفنون البلاغية، وبخاصة: التشبيه وقيمته البيانية.

وكان إلى عهد قريب يعتقد أن لقدامة بن جعفر كتابًا آخر في النقد هو كتاب "نقد النثر" ولكنه ظهر في هذا العصر الذي نعيش فيه أن مؤلف الكتاب هو رجل آخر اسمه "ابن برهان" وأيًا كان الأمر فإن كتاب "نقد النثر" سواء كان مؤلفه قدامة أو ابن برهان، فإن فيه بذورًا بلاغية أسهمت في نشأة علوم البلاغة ونموها وتطويرها.

ومما أسهم في نشأة البلاغة وتطورها كتب الإعجاز القرآني، ونخص بالذكر منها ما يأتي:

- كتاب "إعجاز القرآن"، للإمام الخطابي، وهو من أئمة أهل السنة.
- كتاب "إعجاز القرآن" للقاضي أبي بكر الباقلاني، وهو من أئمة الأشاعرة المكثرين في التأويل حتى في صفات الله ﷻ.

كانت هذه الكتب حدائق غنّاء في حقل الإعجاز، والمباحث البلاغية كما كانت مباحث علم الكلام، وهو من الأصول، مجالاً واسعًا في الفنون البلاغية؛ لأن نصوصًا كثيرة من الكتاب والسنة استدعت في فهمها ما يلائم مقاصد الإسلام والمدارك العقلية.

هذه المؤلفات التي تقدم ذكرها لم تكن محتوياتها مقصورة على علوم البلاغة، بل كانت لها مجالات أخرى خاصة بها؛ وإنما ظهرت فيها المباحث البلاغية باعتبارها وسائل لفهم النصوص وتحليلها.

أما كتب التفسير فقد بدأت متأخرة نوعًا ما. وكان أبرزها في البحث البيانيّ البلاغيّ كتاب: "الكشاف" للإمام الزمخشري، فهو من ثمرات القرن

الخامس الهجري، ومع هذا يعد أول تفسير بلاغي كثير الغوص في بحورها والبحث عن لآلئها.

كان لهذه الكتب التي ذكرناها أثر عظيم في نشأة البلاغة وتطورها بالإضافة إلى كتب أخرى لم نذكرها توخيًا للإيجاز.

بعد هذه الجولة السريعة مع نشأة علوم البلاغة في مصنفات النقد والأدب واللغة والإعجاز وغيرها، تأتي مرحلة مهمة في استقلال البلاغة في مصنفات خاصة أو شبه خاصة بها.

وهذه المرحلة مرت ببطء شديد مثل مرحلة النشأة نفسها.

ولنتفق أولاً على أن نسميها مرحلة: بدء تدوين علوم البلاغة من جذورها الأولى إلى أن صارت علمًا استوى على سوقه، ثم أثمر وترعرع إلى المرحلة التي نضج فيها ثم اكتمل، وذلك في الصفحات الآتية.

ويمكننا القول بأن أول مؤلف في البلاغة كان كتاب "البديع" لابن المعتز، ألفه سنة ٢٧٦هـ.

وكان الغرض من تأليفه الرد على المحدثين في عصره حيث ادعوا أن الأولين وإن كانوا قد ذهبوا بالتجديد في المعاني، فإن المحدثين مثل أبي تمام، وأبي نواس، ومسلم بن الوليد قد جددوا في أساليب البديع وفنون القول.

فانبرى ابن المعتز للرد عليهم وبـيَّن في كتابه: "البديع" أن كل ما ادعاه المحدثون لأنفسهم قد سبقهم إليه الأولون، وأخذ في سوق الشواهد المأثورة من القرآن والحديث وكلام الصحابة وما قاله الشعراء الأقدمون، ثم ذكر في كتابه "البديع" سبعة عشر فنًّا بلاغيًّا كالتشبيه والاستعارة. وكان جملة ما ذكره خمسة فنون من علم البيان، واثني عشر فنًّا من فنون ما أطلق عليه المتأخرون مصطلح:

"البديع" وإنما سـمَّى ابن المعتز كتابه "البديع"؛ لأن هذا المصطلح كان يطلق على الفنون البلاغية كلها. ولم يكن التقسيم الثلاثي المعروف لعلوم البلاغة: (المعاني – البيان – البديع) قد ظهر في ذلك الوقت.

وكتاب "البديع" موجز جدًّا أشبه ما يكون بمقال يكتبه باحث معاصر في مجلة.

ومع هذا فإن للكتاب أهمية خاصة في تاريخ البلاغة، وقد شاع ذكره حتى في عصرنا الحالي وعُني كثير من الدارسين بدراسته، ومنهم بعض المستشرقين، وألحقوا به فهارس فنية دقيقة، ثم جاء من بعده أبوهلال العسكري، ووضع كتابه "الصناعتين" أي صناعة الشعر والنثر وهو من الكتب التي جمعت بين النقد والبلاغة، وللبلاغة فيه حضور ملحوظ، وكثير من العلماء يدعونه كتاب بلاغة، وهم محقون في هذا، وأبوهلال العسكري من علماء القرن الرابع الهجري (ت٣٩٥هـ) وهو عصر مشهور بتدوين العلوم والفنون العربية والإسلامية.

ومما يتميز به هذا الكتاب كثرة الشواهد المأثورة شعرًا ونثرًا، والتقدم بفن البديع المعروف الآن خطوات، وإضافة بعض فنون البديع التي لم يذكرها السابقون عليه.

ثم جاء دور الإمام عبدالقاهر الجرجاني الذي ازدهرت المباحث البلاغية على يديه ازدهارًا عظيمًا لم يعرف له مثيل، من خلال كتابيه العظيمين:

**الأول:** كتاب: "أسرار البلاغة"، الذي عُني عناية فائقة بعلم "البيان" فدرس فيه التشبيه والتمثيل والمجاز والاستعارة والكناية والمجاز الحكمي، الذي سُمِّي بـ: "المجاز العقلي" فيما بعد.

ويمتاز عمل الإمام عبدالقاهر في كل ما كتب عن البلاغة بالتعمق وغزارة العلم، وحدّة الذكاء والفهم. فصار كتابه هذا "أسرار البلاغة" حقًّا وفعلاً.

وتجد فيه إلى جانب الدراسة البلاغية مسائل في النقد وتذوق الأساليب الرقيقة، فهو كتاب بلاغة مفعم بالتذوق الفني والأدبي.

**الثاني:** "دلائل الإعجاز" وفي هذا الكتاب تولى الإمام عبدالقاهر الجرجاني وضع الأصول والفروع لعلم المعاني، العلم الأول من علوم البلاغة الثلاثة.

ودارس هذا الكتاب –بوعي– يدرك أن الإمام قبل أن يسطر هذا الكتاب رسم في ذهنه منهجًا حكيمًا لمعالجة المهمة التي نوى عرضها فيه، وهو لم يكن مجرد عالم في عمله هذا، بل كان عالمًا ذوّاقة، وشاعرًا مرهف الحس، وفيلسوفًا من فلاسفة الفكر، وحكيمًا من حكماء البيان، وخبيرًا من خبراء الأساليب، بل إني أعتقد أنه كان أكبر وأجلّ من هذه الأوصاف مجتمعة.

وعلم المعاني –قبل أن يعرضه الإمام عبدالقاهر في كتابه "الدلائل" – لم يكن شيئًا مذكورًا، اللهم إلا مسائل جزئية مبثوثة هنا وهناك في كتب التراث اللغوية والأدبية والنقدية وغيرها.

والكتاب موسوم بـــ"دلائل الإعجاز" وهو اختيار موفق دعا به الإمام كتابه؛ لأن همَّ الإمام في هذا الكتاب كان تمهيد الطريق لمعرفة وجوه الإعجاز القرآني، ولما كان الإعجاز القرآني وعاؤه اللغة العربية، يمم المؤلف وجهه شطر الجمال الذي تحمله اللغة، وأسرارها البيانية وكان –رحمه الله– على يقين من أن بيان خصائص التصوير اللغوي ودقائق دلالتها هو المعوّل عليه في إدراك الإعجاز القرآني، وجعل كتابه هو المعبر إلى دراسة الإعجاز في لغة القرآن نفسه في مفرداتها وجملها وتراكيبها ومعانيها؛ لذلك لم يسم كتابه "الإعجاز القرآني" بل دعاه "دلائل الإعجاز" لينتقل من هذه "الدلائل" إلى الإعجاز القرآني مباشرة.

هذا ما كان يرتسمه الإمام في ذهنه، وقد وُفق فيه كل التوفيق ولم يترك

شاردة ولا واردة إلا ذكرها في هذا السفر العظيم.

لذلك تناول من أساليب اللغة، مثل:

الذكر والحذف، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والإظهار الإضمار، والإيجاز والإطناب، والفصل والوصل، والقصر وطرقه ودلالاته، والفروق في الخبر... إلخ.

تناول هذه الأساليب وغيرها بالدراسة العميقة، والتحليل الدقيق ما يكشف عن عبقرية اللغة بوجه عام، ولغة القرآن بوجه خاص، وما يكشف اللثام عن الإعجاز اللغوي البياني في آي القرآن، حتى يتراءى هذا الإعجاز كائنًا حيًّا عند الناس.

وأسفرت هذه الدراسة عن "نظرية النظم" التي كانت كل كلمة في الكتاب لبنة في بناء صرحها الشامخ، الذي هو مصدر إثبات الإعجاز في القرآن.

ونظم القرآن لم يكن الإمام هو أول من ابتدعه أو تحدث عنه، بل سبقه إليه كثيرون مثل: الجاحظ والواسطي والقاضي عبدالجبار، لكن الجديد عند الإمام هو الاستفاضة في بيانه وسوق مئات الدلائل العلمية.

رحم الله الإمام الملهم عبدالقاهر الجرجاني فقد كان -حقًّا- يحمل لقب "الأستاذ المعلم" تحس بهذا إذا قرأت أيًّا من كتابيه "أسرار البلاغة"، و"دلائل الإعجاز" هو "الأستاذ"؛ لأنه جمع بين سعة العلم، والقدرة على الفهم الصائب الدقيق، وقد أضاف إلى الدرس البلاغي الكثير والكثير مما لم يكن معروفًا لا قبله، ولا في عصره، مثل درس العلاقات بين الجمل "الفصل والوصل"، و"القصر"، و"الفروق في الخبر"، و"المجاز الحكمي"، و"المجاز المرسل".

ودرس الفصل والوصل، والقصر لم يزد المتأخرون على ما قاله الإمام فيها إلا نادرًا، دائرين في فلك الإمام أينما دار.

وهو "المعلم"؛ لأنه لم يتعرض لمسألة مهما كانت غامضة إلا وجلاَّها

بالشواهد والتحليل فإذا أحس فيها بعد التحلية والتحليل بشيء من "الغموض" أعاد الحديث عنها مزيلاً كل شبهةٍ أو غموض؛ لذلك كثر في عمله التكرار، إذا أحس بأن المقام في حاجة إلى زيادة توضيح.

ويعتبر عمل الإمام عبدالقاهر في الإعجاز نبراسًا مضيئًا في هذا المجال، وسيظل كذلك مهما تطاولت القرون.

وبعد الإمام عبدالقاهر الجرجاني (م٤٧١هـ) نلتقي بسِفْرٍ آخر من أسفار البلاغة، هو كتاب "سر الفصاحة" لابن سنان الخفاجي (م٤٦٦هـ) ففي هذا الكتاب مباحث بلاغية كثيرة، كالحديث عن فصاحة المفرد، وردها إلى ثمانية أوصاف ينبغي أن تكون في المفرد. ثم فصاحة الكلام، كما اهتم ببيان الفرق بين الفصاحة التي خصها بالألفاظ، والبلاغة التي جعلها وصفًا للألفاظ والمعاني معًا، ورفض تقسيم الرماني للكلام بجعله ثلاثة أقسام: متلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الدرجة العليا، ثم متنافر. ورأى أن هذا التقسيم فاسد وغير صحيح، وأن الصواب أن يقال: إن الكلام قسمان:

متلائم، وغير متلائم. وتبنى على هذا التقسيم الثنائي كثيرٌ من الأحكام.

كما نقد بعض البلاغيين وعلماء الكلام الذين فرقوا بين فواصل الآي في القرآن، وبين السجع في كلام البشر.

ثم يمضي ابن سنان فيتحدث عن كثير من الفنون البلاغية مثل صحة التشبيه، وصحة المقابلة، والكناية، والإرداف. وتشابه الأطراف أو مراعاة النظير، واللف، والنشر، وأمور كثيرة متناثرة في ثنايا كتابه هذا الموسوم بـ: "سر الفصاحة".

ثم يأتي أبويعقوب السكاكي (م٦٢٦هـ) على الراجح ويضع كتابه "مفتاح العلوم" ويخص القسم الثالث منه بالحديث عن علوم البلاغة.

وميزة السكاكي -التي انفرد بها في هذا الكتاب- هي: وضع الحدود

والرسوم والتعريفات لعلوم البلاغة على أسس منطقية محكمة، بادئًا بجعل البلاغة ثلاثة علوم لكل علم منها وظيفته ومسائله، وهي كما استقر أمرها في كتابه، واحتذى به من جاء بعده من البلاغيين.

- علم المعاني.
- علم البيان.
- علم البديع.

تحدث الإمام السكاكي عن كل هذا حديثًا مسهبًا فهو أول من فتَّن فنون البلاغة، وقعَّد قواعدها على منهج لم يسبقه إليه أحد، سالكًا في ذلك خطي قدامة بن جعفر، والإمام فخر الدين الرازي في كتابيهما: "نقد الشعر" و"نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" حيث غلبت عليهم النـــزعة العقلية المنطقية وتوارث الروح الأدبية والذوقية إلى حد بعيد، ووضع كل منهم أسس مدرسة في الدرس البلاغي، وسنشير إليها في نهاية هذا المبحث -إن شاء الله.

وبعد هذا جاء دور الإمام الخطيب القزويني (م٧٣٩هـ) فنظر في كتاب مفتاح العلوم للسكاكي، وبخاصة القسم الثالث منه الذي وقفه السكاكي على علوم البلاغة، فلخص فيه الخطيب طولاً فعزم على تلخيصه في كتاب دعاه: "تلخيص المفتاح".

ثم أعاد النظر في هذا التلخيص فوجد غموضًا يحتاج إلى بيان، فوضع كتابًا آخر أسماه "الإيضاح" تعهد فيه الكشف عما في كتاب "تلخيص المفتاح" من غموض وخفاء. ويقع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء.

وقد أفاد الخطيب في شرحه وإيضاحه لكتابه "تلخيص المفتاح" بجهود البلاغيين من قبله.

منهم السكاكي نفسه، والإمام عبدالقاهر الجرجاني في كتابيه الأسرار والدلائل، ومنهم الإمام الزمخشري في كتابه "الكشاف" وهو أشهر كتب التفسير

التي حفلت بالروح البلاغية قبل عصر الخطيب.

وبوضع الخطيب كتابه "الإيضاح في علوم البلاغة" اختطف الأضواء من سابقيه، وسارت دولة البلاغة إليه بشكل ملحوظ.

اهتمّ الخطيب في كتابيه: "التلخيص" و"الإيضاح" بالقواعد والتعريفات للفنون والصور البلاغية في علومها الثلاثة، المعاني والبيان والبديع، مراعيًا لدقة الشديدة في التمييز بين المسائل والفنون البلاغية، جامعًا بين الروح المنطقية الفعلية، والروح الأدبية الذوقية، مع ظهور الأولى على الثانية بشكل لافت للنظر.

وله خلال عمله في هذا الكتاب وقفات علمية ناقدة على أقوال سابقيه، تبدو في صورة تعقيب متكرر بعد القول الذي ينقله عن غيره ولم يرتضه، حيث يقول وفيه نظر.

أحيانًا كان يكتفي بمجرد ذكر هذه العبارة "وفيه نظر" لينبه بها على أن هذا القول غير مَرْضِيٍّ عنده، أو أن فيه مجالاً للنقد، وأحيانًا أخرى تراه يبين ذلك النظر موردًا عليه تفصيل أو تفاصيل النقد الذي ظهر له.

ثم تراه في كثير من المسائل يخالف سابقيه ويرى غير الذي رأوه، كآرائه في بعض مسائل المجاز العقلي، والاستعارة المكنية وغير ذلك كثير.

ولكتاب الخطيب القزويني: "الإيضاح في علوم البلاغة" منـــزلة لا تُضارع في نشأة علوم البلاغة وتطورها لأمرين:

**الأول:** جَمْعُه في هذا الكتاب خلاصات ما قيل في علوم البلاغة من كتاب البديع لابن المعتز، الذي ألفه في عام (٢٧٤هـــ) إلى كتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي.

**الثاني:** كونه أصبح مصدرًا مهمًّا لغاية فيما كُتب عن البلاغة في الأحيال التي أتت بعده حتى عصرنا الحاضر، ومن أهمه ما كتب شراح التلخيص.

ثم كل المؤلفات في البلاغة والنقد الفني القديم التي يقوم بها الباحثون الآن في

كتاباتهم الحرة أو في مرحلتيْ الماجستير والدكتوراة؛ لأنك لا تجد عملاً أكاديميًّا في حقل البلاغة والنقد إلا ناهلاً من مَعِين "الإيضاح" أو شراح تلخيص المفتاح للقاضي الخطيب القزويني؛ ولذلك فإن كتاب "الإيضاح" جدير حقًا بأن يُسمى "الدستور الدائم لعلوم البلاغة" مهما اختلفنا أو اتفقنا معه في بعض المسائل الجزئية.

وهنا نرى سؤالاً يطل برأسه، خلاصته مَنْ هم شراح التلخيص؟

والجواب في إيجاز شديد.

هم طائفة من الباحثين رأوا في كتاب الخطيب "تلخيص المفتاح" غموضًا كما رآه هو نفسه فأزاله بكتابه "الإيضاح في علوم البلاغة" فاقتدى به شراح التلخيص، وتناولوا هذا الكتاب بالشرح والتوضيح في مناهج مختلفة وهم:

- بهاء الدين السبكي أحمد بن علي بن عبدالكافي المصري المتوفى سنة (٧٣٧هـ)، واسم كتابه الذي شرح به تلخيص المفتاح "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح".

وقد نهج في شرحه هذا نهجًا فلسفيًّا لغويًّا، كما أورد فيه أبحاثًا لا صلة لها بالبلاغة.

ومنهم سعد الدين التفتازاني، المتوفى عام (٧٩١هـ)، شرح "تلخيص المفتاح" مرتين: شرحًا طويلاً دعاه "المطول" وشرحًا وجيزًا اسماه "المختصر"، وقد جمع في شرحيه بين مسائل البلاغة والأصول والفقه، وله قدم راسخة في علم الأصول، وشرحه أكثر توضيحًا من شرح "عروس الأفراح" للسبكي.

ومن شروح التلخيص كتاب "الأطول" لعصام الدين إبراهيم بن محمد المعروف بـ"العصام" وهو أطول من كتاب "المطول" للتفتازاني.

ومنهم جلال الدين السيوطي المتوفى عام (٩١١هـ) قام أولاً بوضع

أرجوزة اختصر فيها متن "التلخيص" ثم وضع عليه شرحًا دعاه "عقود الجمان".

هذا، وقد وُضِعَتْ على هذه الشروح "حواشي" كثيرة، وبخاصة "المطول" ومن هذه الحواشي حاشية العنـــزي المتوفى عام (٨٣٤هـــ)، وهو من علماء الأصول، وحاشية عبدالحكيم السيالكوتي الهندي، المتوفى عام (١٠٦٧هـــ).

ووضع الشيخ محمد الدسوقي المصري حاشيته على المطول.

وتتميز هذه الشروح والحواشي بالمباحث اللغوية ممزوجة بعلوم أخرى كالمنطق والفلسفة والأصول، مما جعل المتأخرين يغضون من قدرها، ويصفونها بالعقم والجفاف؛ لأن البلاغة بطبيعتها فن جميل يعتمد على التذوق الأدبي والفني، فهي في غنى عن هذه الاتجاهات والمماحكات.

ولهذا ترى البحوث الحديثة تنأى عنها وتزهد فيها.

ومهما كان الأمر فإن البلاغة أفادت من هذه الاتجاهات جميعًا، وأصبحت في مجموعها تمثل تاريخ البلاغة في مختلف عصورها وما اعتراها من تطور.

ما تقدم كان عرضًا موجزًا لظاهرة نشأة البلاغة وتطورها؛ لأننا اكتفينا بذكر بعض المصادر البلاغية، وتركنا بعضًا توخيًا للإيجاز.

## ثالثًا: المدارس البلاغية واتجاهاتها

بقيت لنا وقفة نلخص فيها للدارسين اتجاهات الدرس البلاغي ومدارسه، وروّاد تلك المدارس إتمامًا للفائدة.

والمدارس البلاغية -في إيجاز- ثلاث، كل مدرسة لها خصائصها، وهذا يتضح من العرض الموجز الآتي:

**المدرسة العقلية:**

وهي التي اعتمد أصحابها في درس البلاغة على أساس عقلي، ومن رواد هذه المدرسة قدامة بن جعفر المتوفى عام (٣٣٧هـ) في كتابه "نقد الشعر" وفخر الدين الرازي المتوفى عام (٦٦٠هـ) في كتابة: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز الذي لخص فيه كتابي الإمام عبدالقاهر الجرجاني المتوفى عام (٤٧١هـ)، وإمام هذه المدرسة هو أبويعقوب السكاكي.

**المدرسة الأدبية الذوقية:**

يمثل هذه المدرسة ابن المعتز في كتابه "البديع" ولا غرو فهو شاعر غزير النتاج الشعري مرهف الحس جيد القريحة له ما يربو على عشرة آلاف بيت من الشعر الرائق الرائع.

وكتابه "البديع" خير شاهد على هذا، وله فضل السبق في التدوين المبكر لعلوم البلاغة، حيث وضع كتابه "البديع" عام (٢٧٤هـ).

ثم الإمام عبدالقاهر الجرجاني في كتابيه "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" وهما خير كتابين في البلاغة والنقد، ونسبتهما إلى البلاغة أقوى وأظهر من نسبتهما إلى النقد.

ومنهم الآمدي صاحب "الموازنة" والقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني، صاحب "الوساطة" وابن رشيق القيرواني في كتابه "العمدة"، وابن الأثير في كتابه "المثل السائر"، وآخرون.

**المدرسة الوسطى:**

وأستاذ هذه المدرسة هو الخطيب القزويني في كتابه "الإيضاح في علوم البلاغة" فقد جمع العقلية والأدبية الذوقية، ومن قبله أبوهلال العسكري، صاحب "الصناعتين" صناعة الشعر وصناعة الكتابة (النثر).

أما شراح التلخيص، الذين تقدمت الإشارة إليهم، فقد أحيوا الاتجاه العقلي المنطقي والفلسفي في تناولهم لدرس البلاغة، وبالغوا كثيرًا في هذا الاتجاه، وعنوا بالمباحث اللفظية الشاحبة، والتقسيمات العقلية، التي لا صلة لها بفنون البلاغة، لدرجة أن أحدهم أوصل صور الفصل والوصل إلى ستة عشر ألفًا مستخدمًا في ذلك ضرب الأقسام بعضها في بعض باعتبارات مختلفة!!.

# خلاصة الوحدة الأولى

كان لنشأة البلاغة مرحلتان أساسيتان:

الأولى: تتمثل في لمحات انتثرت في مصنفات العلوم الأخرى، التي من أظهرها كتب الأدب والنقد عبر القرون الأولى حتى القرن الرابع الهجري.

كما أسهمت كتب اللغة والنحو والأصول والتفسير في هذه النشأة بشكل واضح.

أما المرحلة الثانية: فهي مرحلة التدوين المستقلّ في علوم البلاغة، ابتداء من وضع ابن المعتز كتابه: "البديع" في القرن الثالث الهجري، ثم بلغ الدرس البلاغي نضجه بوضع الخطيب القزويني كتابيه:

"تلخيص المفتاح" و"الإيضاح في علوم البلاغة" في القرن الثامن الهجري.

وبالنظر في كتب البلاغة يتضح أن الاتجاهات التي عالجت فنون البلاغة وقواعدها تتمثل في ثلاث مدارس:

**الأولى**: المدرسة العقلية، ويمثلها أبويعقوب السكاكي.

**الثانية**: المدرسة الأدبية الذوقية، ويمثلها الإمام عبدالقاهر الجرجاني.

**والثالثة**: المدرسة الوسطى، ويمثلها الخطيب القزويني.

## اختبار الوحدة الأولى

**أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:**

**ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ في كل مما يأتي:**

١- أسهمت كتب النحو واللغة و لأصول وعلم الكلام والتفسير في نشأة البلاغة.

٢- بدأت مرحلة التدوين المستقل في علوم البلاغة بالخطيب القزويني.

٣- "تلخيص المفتاح"، "والإيضاح" كتابان لأبي يعقوب السكاكي.

٤- يمثل المدرسة العقلية في البلاغة الخطيب القزويني.

٥- المدرسة الأدبية الذوقية يمثلها عبد القاهر الجرجاني.

**ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:**

**١- مرت نشأة البلاغة العربية بـــ:**

أ- ثلاث مراحل أساسية.

ب- مرحلتين أساسيتين.

ج- خمس مراحل.

**٢- بدأت مرحلة التدوين المستقل في علوم البلاغة بـــ:**

أ- القزويني. ب- ابن المعتز. ج- السكاكي.

**٣- "تلخيص المفتاح"، و"الإيضاح" كتابان لـــ:**

أ- القزويني. ب- الجرجاني. ج- السكاكي.

**ثالثًا: الأسئلة المقالية:**

١- فرق بين البلاغة باعتبارها فنًّا جميلاً يسري في العمل الأدبي سراية الروح في الجسد، وبين البلاغة باعتبارها "علمًا" له قواعد وأصول مع بيان أيهما أسبق

وجودًا من الأخرى؟

٢- إلى أي المدارس الثلاث ينتمي كل من:

- الإمام عبدالقاهر الجرجاني.

- الإمام الخطيب القزويني.

- الإمام أبويعقوب السكاكي.

٣- كتاب "الإيضاح في علوم البلاغة" للخطيب القزويني يمثل "الدستور الدائم في علوم البلاغة" اذكر الأسباب التي أضفت على هذا الكتاب هذه المنـــزلة السامية، وجعلت دولة البلاغة تنتمي إلى السِّفر العظيم بحق.

٤- إلى أي المدارس الثلاث تنتمي "شروح التلخيص والحواشي" التي وضعت حول بعضها، ولماذا؟.

٥- ما هو أول مؤلَّف مستقل وضع في علوم البلاغة؟ ومن كان مؤلفه.

# الوحدة الثانية

# الفصاحة والبلاغة

# الوحدة الثانية

# الفصاحة والبلاغة

مبررات دراسة الوحدة:

**عزيزي الدارس:** البلاغة فنٌّ قولي جميل بل هي أجلّ الفنون اللسانية جميعًا، وقد اعتاد البلاغيون منذ بدء التأليف في الفن البلاغيّ أن يبدأوا بشرح المصطلحات الأساسية الممهدة لهذا الفن؛ لذا سوف تجد في هذه الوحدة حديثًا مفصّلاً نسبيًّا عن الفصاحة ما هي وبم وفيم تكون؟، والبلاغة ما هي وبم وفيم تكون؟، كما سوف تعرف من خلال هذه الوحدة الفرق بين الفصاحة والبلاغة، وما الدور الذي تؤديه كل منهما في صناعة النموذج البلاغيّ الجميل، كما سوف تطوف بك الوحدة لتعرف من خلالها شروط فصاحة الكلمة المفردة، وشروط فصاحة الكلام المركب، وما يجب توافره في المتكلم نفسه حتى يكون فصيحًا، كما سوف تتعرف على أن البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، وعلى أن الكلام قد يؤكّد بمؤكد واحد أو اثنين أو أكثر بحسب حالة المتلقي؛ لذا أدعوك - عزيزي الدارس- للإقبال على هذه الوحدة بكل جد.

**الأهداف التعليمية للوحدة:**

**عزيزي الدارس:** يرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١- تذكر كيف تكون الكلمة المفردة فصيحة في نفسها.

٢- تبين كيف يكون الكلام المركب فصيحًا مشيرًا إلى التعقيد اللفظي والمعنوي.

٣- توضح كيف يكون المتكلم فصيحًا.

٤- تشرح بالتفصيل تعريف علم البلاغة.

٥- تبين مطابقة مقتضى الحال في خلو الذهن.

٦- تناقش مطابقة مقتضى الحال في الخبر الطلبي.

٧- تذكر مطابقة مقتضى الحال في الخبر الإنكاري.

٨- تقارن بين الفصاحة والبلاغة.

# الوحدة الثانية
# الفصاحة والبلاغة

**أولاً: الفصاحة.**

أ- فصاحة الكلمة المفردة: يشترط سلامتها من ثلاثة عيوب وهي:

١- تنافر الحروف المكونة للكلمة.

٢- الغرابة. ٣- مخالفة القياس الصرفي.

ب- فصاحة الكلام المركب: ويشترط فيه خلوه من ثلاثة عيوب وهي:

١- تنافر الكلمات مجتمعة.

٢- ضعف التأليف.

٣- التعقيد اللفظي والمعنوي.

**ثانيًا: البلاغة.**

- تعريف علم البلاغة.

أضـــرب الخبر: ثلاثة وهي: الخبر الابتدائي - الخبر الطلبي - الخبر الإنكاري.

**ويناســـب كـــل منها من مطابقة الكلام لمقتضى الحال ما يلي:**

- مطابقة مقتضى الحال في خلو الذهن.

- مطابقة مقتضى الحال في الخبر الطلبي.

-مطابقة مقتضى الحال في الخبر الإنكاري.

- الفرق بين الفصاحة والبلاغة.

## أولاً: الفصاحة

البلاغة فن قوليٌّ جميل، بل هي أجمل الفنون اللسانية جميعًا. والمراد بمعنى الفن في البلاغة ليس هو المفهوم المتبادر إلى الذهن في العصر الحديث، وهو ما يشترك في فهمه العامة من الناس والخاصة؛ حيث يتبادر إلى الذهن عند سماع كلمة الفن مجموعة من الأعمال يؤديها مجموعة من الناس، يطلق عليهم الفنانون من الممثلين والمغنين والمطربين والراقصات والراقصين، هذه الأعمال التي تعرض على الشاشات وعلى أخشاب المسرح ودور اللهو على اختلافها، وإنما المراد من الفن الذي وصفنا به البلاغة عمل فكريٌّ جادٌّ، لـــه قواعد وأصول ومناهج تسهم كلها في نتاج القول الجميل، تكمن وراءه في صمت، تهذبه وتكوّنه وتؤلف بين لبناته من الألفاظ والمعاني والتنسيق والصور والأخيلة والأفكار بما يمتع ويقنع ويحدث أثرًا طيبًا في المشاعر والوجدان والذوق والتربية.

وقد اعتاد البلاغيون منذ بدء التأليف في الفن البلاغي المتخصص أن يبدأوا بالحديث عن شرح بعض المصطلحات الأساسية الممهدة لدراسة البلاغة، في مقدمة يطلقون عليها: مقدمة الفصاحة والبلاغة.

وقد رأينا نحن أن نقتدي بهم في هذا المجال؛ لأن هذه المقدمة بمثابة منارات على الطريق، تهدي الدارس إلى سلامة السير، وتضع أمامه صورة كلية لعلوم البلاغة، فيكون على هدى من أمره من بداية الرحلة إلى آخرها.

في هذه المقدمة يقدمون لنا دروسًا مهمة تتعلق بأمور نحتاج إليها في مباحث البلاغة كلها، ولا تتوقف عند حدٍّ معين، قبل بلوغ الكمال في مباحث البلاغة بوجه عامٍّ.

ويرتكز البحث في هذه المقدمة حول محورين مهمين:

**الأول**: (الفصاحة) ما هي، وبم، وفيم تكون؟

**الثاني**: (البلاغة) ما هي، وبم، وفيم تكون؟

ثم ما هو الفرق بين الفصاحة والبلاغة؟ وما الدور الذي تؤديه كل منهما في

صناعة الأنموذج الجميل من الأساليب الرفيعة؟ لأن كلاً منهما تقدم للدارس والناقد والمتذوق معايير يسير عليها الذين يمارسون صناعة الكلام وإنشاءه، سواء كانوا شعراء أو ناثرين في مجالات الأساليب الأدبية، المعبرين عن مشاعر الإنسان في جميع أجناس الأدب وفنونه المختلفة:

الخاطرة، والقصة، والأقصوصة، والرواية أو من المشتغلين بالعلوم والمقالات فيما يعرف بالأسلوب العلمي بوجه عام.

فكل هؤلاء مفتقرون إلى الإلمام بهذا الفن أو التعمق فيه.

كما أن للفصاحة والبلاغة دورًا عظيما في مجال النقد الأدبي وهو روح النتاج الأدبي؛ حيث يبحث عن مواطن الجمال والقبح فيه، ويحلله إلى عناصره، ويكشف عن عوامل القوة والضعف فيه.

ونقدم الحديث عن الفصاحة؛ لأن لها الأولوية في الدرس.

ومما ينبغي على دارس البلاغة في أول عهده بها أن يعرف أن مفهومي الفصاحة والبلاغة ظلاً غير محددين تحديدًا واضحًا حتى منتصف القرن السابع الهجري، وهو القرن الذي ظهر فيه الخطيب القزويني[1] ووضع كتابًا في البلاغة سماه: الإيضاح في علوم البلاغة، وقد كان أبو يعقوب السكّاكي قد وضع كتابًا قبل الخطيب. سماه: مفتاح العلوم، وخص القسم الثالث منه للحديث عن علوم البلاغة.

فجاء الخطيب القزويني ولخص القسم الثالث من مفتاح العلوم لسكّاكي، وسماه: تلخيص المفتاح ثم رأى فيه غموضًا فوضع عليه شرحًا هو المسمى بكتاب: الإيضاح في علوم البلاغة.

وفي كتاب الإيضاح كان همّ الخطيب الأول هو تحديد مفهوم الفصاحة، ثم

(١) الخطيب أعرف من أن يعرف. وإليه يرجع الفضل في وضع النهج البلاغي الجامع بين النزعة الأدبية والنزعة العقلية، راجع الوحدة الأولى.

تحديد مفهوم البلاغة، وأشار إلى الخلط بينهما في كتابات السابقين. وإليك بيان ما قاله في هذا "للناس في تفسير الفصاحة والبلاغة، أقوال مختلفة، لم أجد فيما بلغني منها ما يصلح تعريفهما به، ولا ما يشير إلى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام أو المتكلم، فالأوْلى أن نقتصر على تلخيص القول فيهما بالاعتبارين"(١).

هذا ما قاله الخطيب ثم شرع في بيان المراد منهما إجمالاً فقال: "كل واحدة منهما تقع صفة لمعنيين:

أحدهما: الكلام، والثاني المتكلم، والفصاحة خاصة تقع صفة للمفرد، فيقال: كلمة فصيحة ولا يقال: كلمة بليغة"(٢).

والعبارات التي نقلناها عن الخطيب آنفًا يُفهم منها أن الفصاحة تكون وصفًا للكلمة، المفردة ثم للكلام المركب، ثم المتكلم.

فما هي فصاحة الكلمة، المفردة؟ وما هي فصاحة الكلام؟ هذان هما اللذان يدخلان معنا في معرفة الفصاحة، ويدخلان في مفهوم العلم.

**أ- فصاحة الكلمة المفردة:**

تكون الكلمة المفردة فصيحة -سواء كانت مستعملة في تركيب أو كانت غير مستعملة- إذا سلمت من ثلاثة عيوب تخل بوصف الفصاحة إذا وجدت فيها؛ وهي:

١- تنافر الحروف المكوّنة للكلمة.

٢- الغرابة.

٣- مخالفة القياس الصرفي.

أما تنافر الحروف فهو: وصف يكون في الكلمة، يجعلها ثقيلة في النطق على اللسان. وقد مثل لها الخطيب بكلمة: "الهخهع" وهي اسم لشجرة من أشجار الصحراء،

(١) الإيضاح (١/١٧) ش د/ محمد عبد المنعم خفاجي.

(٢) المصدر نفسه (١/ ١٨).

قالها أعرابي كان لـــه ناقة تلازمه ويلازمها، وقد رئي مرة غير مصاحب لها، فلما سألوه عنها قال: تركتها ترعى الهمهع.

وغير خافٍ عليك ثقل هذه الكلمة على اللسان، الذي يتعثر كثيرًا عند النطق بها.

وقد اختلف البلاغيون والنقاد والأدباء في سبب ثقل بعض الكلمات.

فجمهورهم على أن قرب مخارج الحروف أو بعدها الفاحش هو السبب.

وبعضهم يجعل المرجع في ذلك إلى الذوق الفطري فما يراه هذا الذوق منشأ لتنافر الحروف فهو هو، وإلا فلا[1].

والحق أن تنافر الحروف يرجع إلى قرب المخارج أكثر من أي شيء آخر؛ لأن المخارج أمر وجودي محسوس، بخلاف الذوق فهو أمر اعتباري.

وهذا النوع قرب المخارج فيه ظاهر جدًّا؛ لأن الحروف الأربعة المكونة منها هذه الكلمة مخرجها واحد هو الحلق، مع تفاوت يسير بينها.

ويسمى ما في هذه الكلمة: (تنافر شديد)، وقد نصُّوا على نوع آخر سمّوه خفيفًا، ومثلوا لـــه بقول امرئ القيس في وصف شعر حسناء:

غدائره مستشزرات إلى العلا  تضل العقاص في مثـــنّى ومرسل[2].

وغير خافٍ عليك أن التنافر في هذا البيت خفيف حقًّا، لا يكاد يشعر به الناطق.

وقال بعض العلماء: إن التنافر الخفيف هنا راجع إلى توسط الشين بين التاء والزاي، وهي أحرف أوصافها مختلفة بين الهمس وغيره.

**أما الغرابة:** فهي أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر المراد منها، فيُحتاج في معرفتها إلى البحث في كتب اللغة المطوّلة.

وقد مثلوا لهذه الغرابة بما روي عن الحسن بن عمر النحوي، حين سقط

---

(١) المثل السائر (ص٥٦) ابن الأثير: طبعة قديمة.

(٢) من معلقة امرئ القيس: قفا نبك... يصف شعرها بالكثافة والكثرة والطول.

عن حماره فاجتمع عليه الناس فقال لهم: "مالكم تكأكأتم علي كتكأكئكم على ذي جنة؟! افرنقعوا عني".

وقد أسفر البحث عن معرفة معاني الكلمات: "التكأكؤ، افرنقعوا" على أنهما كلمتان يضادّ معنى كل واحدة منهما معنى الأخرى، أي: مالكم اجتمعتم علي كاجتماعكم على مجنون؟ تفرّقوا عني.

والغرابة تعتبر إذا غاب المعنى عن العرب الخلص قبل عصور اللحن.

أما المولّدون، ومنهم المعاصرون، فما أكثر الكلمات التي يغيب عنهم معناها، ولا تعد مخلة بالفصاحة.

ومن الغرابة استعمال الكلمة، بحيث لم يظهر معناها إلا بالحمل على وجه بعيد، غير معهود فيها. ومثلوا لذلك بقول العجاج الشاعر المعروف:

ومقلة وحاجبا مزججا وفاحمًا ومرْسَنًا مُسَرَّجا

لأنه لم يُعرف ماذا أراد من مسرجا فخُرِّجت على وجوه بعيدة.

فقال بعضهم: إنَّه شبهه بالسيوف التي يصنعها؛ فصانع للسيوف يقال لـه سريج فشبه المرسن، وهو الأنف بالسيف السريجي في الدقة واللمعان.

وقال آخرون إنه شبهه بالسراج في البريق واللمعان.

وأيا كان الأمر فإن كلا القولين هما مجرد اجتهاد، وما يزال مقصود الشاعر مجهولاً؛ والسبب استعماله الكلمة في غير معناها الذي وضعت له.

وقد يعبرون عن الكلمة، الغريبة بأنها غير مأنوسة الاستعمال، يعني: لا تدور على الألسنة إلا نادرًا أو أنها الكلمة الوحشية التي هجرتها الألسنة، ولم تشتهر في الاستعمال.

**مخالفة القياس الصرفي:** والمراد به مجيء الكلمة على غير القواعد الصرفية. وقواعد الصرف -كما نعلم- ترشدنا إلى كيفية صياغة المفردات، كقولهم: اسم الفاعل من ظهر: ظاهر، ومن خرج: خارج، والمضارع منهما: يظهر ويخرج، واسم المكان

واسم الزمان من دخل: مَدْخَل، والصفة المشبهة باسم الفاعل من ينصر نصير، واسم المفعول منه منصور... وهكذا.

فإذا صاغ المتكلم كلامه مخالفًا لهذه القواعد فقد خالف القياس، وسلب عن الكلمة وصف الفصاحة.

وباستقراء الكلام المستعمل عند بعض القراء عُثِر على كلمات جاءت مخالفة للقياس الصرفي، فحكموا عليها بأنها ليست فصيحة، ومن ذلك قول أبي النجم الراجز المعروف

الحمد لله العلي الأَجْلَلِ  أنت مليك حقًا فاقبل

ومخالفة القياس تراها في كلمة "الأجلل"؛ لأن حكمها اللغوي أن تكون الأجلّ بإدغام اللامين، لكن الشاعر خالف هذه القاعدة وفكّ الإدغام، فعُدّت هذه الكلمة، غير فصيحة.

**ومنه:**

مهلاً عاذل قد جربت من خُلُقي  أني أجـــود لأقـــوام وإن ضَنّنُوا

مخالفة القياس في كلمة "ضننوا" حيث فك الشاعر الإدغام، مخالفًا بذلك القواعد الصرفية، وحق الكلمة، أن تكون: ضنّوا بإدغام النونين.

وكذلك قول الشاعر:

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم  خُضع الرقاب نواكس الأبصار

في البيت مخالفة للقياس في كلمة "نواكس"؛ لأن وزن فواعل خاص بجمع المؤنث الذي مفرده ناكسة، لا جمع المذكر الذي مفرده ناكس، والشاعر يتحدث عن الرجال فكان الصواب أن يقول: ناكس الأبصار، لا نواكس.

وقد دافع بعض النقاد عن الشاعر بأنه شبه هؤلاء الرجال -أمام يزيد- بالنساء؛ لضعفهم، فأجرى عليهم وصف المؤنث.

فسلامة الكلمة المفردة من العيوب الثلاثة: (تنافر الحروف بنوعيه الشديد والخفيف، والغرابة، ومخالفة القياس) شرطٌ مهم في وصفها بالفصاحة، وقد

يضاف إليها عيب آخر هو أن تخلو الكلمة من الكراهة في السمع. ومثّلوا لهذا بقول الشاعر:

مبارك الاسم أغر اللقب  كريم الجرش شريف النسب

وهو من قول أبي الطيب المتنبي.

الجرش: النفس، وهو الكلمة، التي يرى فيها بعض البلاغيين كراهة في السمع، يعني جَرْس الكلمة غير مستساغ في الأذن.

وهكذا نرى مهمة هذا المصطلح: (الفصاحة) صون المفردات التي تستعمل في الكلام من العيوب والمآخذ التي تُذهب صلاحيتها للاستعمال، وتضع أمام العلماء والكتّاب والأدباء تحذيرات من إدخال المفردات المعِيبة في نتاجهم الفكري والأدبي.

**وبهذا اتضح أن مفردات اللغة نوعان:**

نوع كثير كثرة مستفيضة يصلح -بوصفه المجرد- للتداول في العمل الفكري والعلمي والأدبي.

ونوع نادر، لا يسوغ استعماله فيما يدور بين الناس من علم ومعرفة وتبادل خبرات.

وحسبُ الفصاحةِ أهميةً أن تقوم بهذا الجانب من الكشف والتوجيه.

**ب- فصاحة الكلام المركب:**

تقدم أن الفصاحة تختص بأنها تقع صفة للمفرد، ثم تشترك مع البلاغة في أنها تقع صفة للكلام.

وفصاحة الكلام يشترط فيها خُلُوُّه من:

١- تنافر الكلمات مجتمعة.

٢- ضعف التأليف.

٣- التعقيد اللفظي والمعنوي.

وها نحن نبين ذلك حسب الترتيب المذكور كما صنعنا في فصاحة المفرد.

**تنافر الكلمات مجتمعة:**

هذا العيب الذي يعتري الكلام ويخل بفصاحته ليس لـــه وجود في المفرد، بل في الكلام الطويل الذي يعادل بيتا من الشعر على الأقل.

وهو أن تكون كل كلمة في الكلام المتنافر فصيحة، وإنما يصيبها الخلل من اجتماعها مع نظائر لها في وجود حروف بعينها في بنية كلماتها، فينشأ ثقل شديد في النطق بها، وعمدة الشواهد على هذا قول الشاعر:

وقـــبرُ حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

حاول أن تقرأ هذا البيت بصوت مسموع ثلاث مرات متتابعة بدون توقف. وسترى أن لسانك لا يقرأه بدون تلعثم أو خطأ.

والعيب -كما قلنا- في مجموع الكلمات لا في الكلمات المفردة.

والسبب أن القاف والباء والراء تكررت كثيرًا في هذه الكلمات التي وردت في هذا البيت.

ومثله ولكنه أخف منه:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي وإذا مـــا لمته لمته وحدي

والثقل الذي في البيت ناشئٌ عن اجتماع الحاء والهاء، وهما من حروف الحلق.

وفي الشعر الجاهلي والشعر الذي تلاه حتى العصر العباسي الأول شواهد أخرى من هذا القبيل.

**ضعف التأليف:**

ويراد به مخالفة القواعد النحوية، عكس مخالفة القياس في الإخلال بفصاحة المفرد، والمشهور عندهم من شواهد ضعف التأليف عود الضمير على متأخر لفظًا ورتبة، ومن أمثلته عند علماء المعاني قول الشاعر:

جـــــزى ربُّه عنا عديَّ بن حاتم  جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ففي البيت ضمير عائد على متأخر في اللفظ والرتبة؛ والضمير هو الهاء في "ربه"؛ لأنه عائد على "عدي"، وعدي متأخر في الرتبة؛ لأنه مفعول به، وفي اللفظ لأنه ذكر بعد الفاعل (ربُّ) وهذا مخالف للقواعد النحوية.

ومنه أيضًا:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر  وحسن فعل كما يجزى سِنِمَّار

لأنه عاد فيه الضمير على متأخر لفظًا ورتبة وسنمار مهندس بناء رومي بنى قصرًا للنعمان اللخمي فأجاد فجازاه بإلقائه من فوقه لكيلا يبني مثله لغيره فقيل: "جوزي جزاء سنمار"، فصار مثلاً لكل من يعمل عملاً حسنًا فيكافأ عليه شرًّا.

والهاء في "بنوه" عائد على "أبا الغيلان" وهو مفعول به، فرتبته التأخير عن الفاعل، وكذلك أُخِّر في اللفظ.

وبنو الغيلان جازوه على حسن تربيته لهم بالعقوق، فأصبح مثل سنمار.

كما يستشهد البلاغيون على ضعف التأليف بقول حسان بن ثابت:

ولو انّ مجدًا أخـــلد الدهر واحدًا  من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

يعـــني: لو كان المجد يخلد صاحبه خُلِّد مطعمًا مجدُه مدى الدهر، ولكن المجد لا يخلد أحدًا، فالضمير: "الهاء" في مجده عائد على متأخر في اللفظ والرتبة؛ لأنه مفعول به.

ولم يمـــثل البلاغـــيون لضـــعف التأليف إلا بعود الضمير على المتأخر في اللفظ والرتبة، مع أن لـــه نظائر أخرى.

**التعقيد المعنوي والتعقيد اللفظي:**

ومن شروط فصاحة الكلام خلوّه من التعقيد اللفظي والمعنوي.

**والتعقيد المعنوي** هو استعمال الكلمة، في غير موضعها على غير جهة المجاز، وقد مثلوا لها بقول العباس بن الأحنف:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

استعمل جمود العين هنا كناية عن لسرور بقرب محبوبته، وقد جانبه الصواب؛ لأن الجمود توصف به العين إذا كان المقام مقام بكاء لم تَجُدْ العينُ فيه بالدموع.

والشاعر أراد من جمود عينيه عدم بكائها كناية عن السرور، وبذلك عقَّدَ المعنى وسَلَبَ عن الكلمة وصف الفصاحة.

والاستعمال الفصيح لهذه الكلمة، هو كما في قول القائل:

ألا إن عينا لم تجد يوم واسط عليك بجـــاري دمعها لجمود

ويوم واسط هو الذي قتل فيه ابن هبيرة الذي رثاه الشاعر في هذا الشعر، فوصف العين بالجمود؛ لأنها لم تبك في مقام يحمد فيه البكاء.

**التعقيد اللفظي:**

أما التعقيد اللفظي فهو أكثر شيوعًا من التعقيد المعنوي، وأشد عناء.

وهو على درجات متفاوتة وضوحًا وغموضًا، ومن أخف صوره قول الفرزدق الشاعر:

إلى مـــلك ما أمه من محارب أبوه وما كانت كليب تصاهرهْ

والمعنى: إلى ملك ما أم أبيه من محارب فقدَّم وأخر في الكلام على النحو الذي رأيت ومنه:

فقد والشك بـــيَّن لي عناء بوشْك فراقهم صُرَد يصيح

والمعنى: فقد بين لي عناء بوشْك فراقهم الشكّ وصرد يصيح

لكنه عاطل في الكلام حتى أربك الذهن في البحث عن صحة النظم.

وانظر قول الشاعر:

فأصبحت بعد خط بهجتها كـــأن قفرا رسومها قلما

والمعنى: فأصبحت بعد بهجتها قفرًا، كأن قلمًا خط رسومها

وانظر كذلك قول الشاعر:

وليست خراسان التي كان خالد  بها أسد إذا كان سيفًا أميرها[1]

فهذا كلام في منتهى الغموض، فهو يضادّ معنى الفصاحة؛ لأنها تدل على الصفاء والكشف والبيان، وهذا أصل معناها، وكل كلمة مفردة وكل تركيب اعتراه غموض فبينه وبين الفصاحة ما بين السماء والأرض.

فحري بهذه النماذج وأمثالها أن لا تكون بينها وبين الفصاحة أدنى صلة.

وهكذا يتبين لنا من دراسة فصاحة الكلام أن الفصاحة كما اهتمت بجانب المفردات، واستبعاد غير الصالح منها للاستعمال في النموذج القولي الرفيع، اهتمت بجانب التراكيب، وبـيّنت المعيب منها لكي يكون نبراسًا على الطريق، فنتجنب المعيب منها، وبخاصة ما يضادّ وظيفة الفصاحة التي هي الكشف والبيان، ولكي نولّي وجوهنا شطر التراكيب الصحيحة لغويًّا تمهيدًا لاستثمارها في نتاج القرائح وفيوضات الخيال وصناعة العقول، بكل ما فيه للعواطف من إمتاع، وللعقول من إقناع، وذانك هما غاية الفن الجميل والفكر السليم.

أما فصاحة المتكلم فهي مَلَكَةٌ أو موهبة يستطيع بها المتكلم أن يصوغ معانيَه في لغة جميلة، مفردات وتراكيب، أو استعداد نفس يمكنه من إجادة هذه الصناعة.

(١) انظر قصة هذا البيت وشرحه في المثل السائر لابن الأثير (٢/٢٢١).

## ثانيًا: البلاغة

نسير في هذه الدراسة سيرة تصاعدية، أول لبنة فيها كانت الفصاحة، أما اللبنة الثانية فهي البلاغة، وهما الأمران اللذان يبدأ بهما البلاغيون في سلم الدرس البلاغي منذ نشأته حتى استوى على سوقه.

تقدم في بداية الحديث في الفصل الأول أن البلاغة تقع صفة لأمرين:

**الأول**: الكلام.

**الثاني**: المتكلم.

وبلاغة المتكلم لا تندرج في البحث البلاغي، باعتبار أنها شعبة علمية، بل هي مجرد وصف للقادر على إنشاء كلام بليغ.

أما بلاغة الكلام فهي أصل عظيم من أصول هذا الفن، أو من أصول علم المعاني الذي هو البلاغة، كما سنعرف في العرض الآتي، والبلاغة في اللغة مشتقة من البلوغ والوصول لنهاية المرجوّة، أي: انتقال المعنى من المتكلم إلى السامع في غير عناء ولا غموض، يشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً**﴾[النساء:٦٣] أي قولاً بالغًا أنفسهم مؤثرًا فيهم، وليس المراد وصول الأصوات إلى مسامعهم؛ فهذه مرحلة بدائية ساذجة، يصح لأدائها الجمادات والحيوانات، دع عنك الإنسان، وإنما المراد وصول المعنى إلى العقل والقلب، ومراكز الإحساس المباشر في وجدان الإنسان.

والقول الذي يؤدي هذه المهمة ـــه خصوصيات كثيرة، إذ روعيت في الكلام أسرت القلوب والمشاعر واستولت على العقول، وأقنعت وأمتعت بقدر ما فيها من خصوصيات القول البليغ.

وتحصيل هذه الخصوصيات قد يكون عن طريق المواهب والاستعدادات الفطرية، وقد يكون عن طريق الممارسة والدرس، وهذا هو الغالب الآن، فإذا اجتمع في

التحصيل الطريقان وصلنا إلى قمة الإجادة والحسن والكمال، فقد يصف اثنان جمال فصل الربيع، ويعـــبّران عن هذا الجمال بحسب رؤاهما في بيت من الشعر، ثم ترى الفرق بينهما شاسعًا في القوة وشدة التأثير.

فانظر إلى قول أبي عبادة البحتري في وصف الربيع:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكًا  من الحسن حتى كاد أن يتكلما

ثم إلى قول ابن الرومي في المناسبة نفسها يصف مظهر الطبيعة في فصل الربيع:

تبرجت بعد حياء وخفر  تبرج الأنثى تصدت للذكر

قارن بين قولي هذين الشاعرين، وهما من الشعراء الفحول، تجد الفروق هائلة، بين ما قاله البحتري وما قاله ابن الرومي.

فابن الرومي كانت لـــه طريقته في الوصف، والبحتري لـــه طريقته، والطريقتان مختلفتان.

البحتري وصف الطبيعة من الخارج، أي من خارج نفسه و لم يتغلغل في إيحاءاتها ودقائقها، فكان مجرد رسام بألوان توفرت أمام ناظريه، وليس لـــه من المثيرات الجمالية إلا أن تخيل الربيع بإنسان جميل المحيا، حَسَن القسمات، تخاله ضاحكًا، يكاد يُفصح عما في نفسه، وهذا معنًى مطروقٌ عند الشعراء.

أما ابن الرومي فقد تأمل ما يراه بالبصر من بهاء ورونق وزينة، فلم يصفها كما هي في الواقع، أو كما هي عليه من صور يدركها كثير من الناس؛ بل صوَّرها بصور كما يراها هو في نفسه، لا كما تبدو في عيون الآخرين.

تصوير ابن الرومي للربيع جاء نابضًا بالحركة والحياة فالصورة مبتكرة من إبداعات الشاعر المرهف الحس.

فالطبيعة في الربيع استحالت عروسًا ساحرة المنظر بعد أن كانت صورة قاتمة، ومع قتامتها كانت حية شديدة الحياء. وحياؤها هذا هو الذي أضفى على محاسنها

ثوبًا كثيفًا من الغموض، ولكن لما جاء الربيع تزينت بكل أنواع الزينة وصارت في معرض يصيب وصفه، وإن كان شبيهًا بحالة الحسناء التي تتصدى لاصطياد قلوب الذكور.

وقد بلغت الحركة النابضة بالحياة ذروتها من هذا التشبيه الرائع حقًّا.

ومن محاسن قول ابن الرومي: أن جمع في بيته هذا حالتيْ الطبيعة:

حالتها قبل إشراق الربيع.

وحالتها بعد إشراق الربيع.

كما استعار الحياء والخفر لعراء الطبيعة من المفاتن قبل حلول الربيع.

وهذا المعنى لم يصوره البحتري أو ينتبه إليه، وهكذا يتطلب القول البليغ مهارة إحساس وإصابة وصف، وخبرة في اصطياد الصور الخيالية، ومخاطبة أحاسيس المخاطبين، وحكمة في عرض المعاني وهندسة العبارة.

والبلاغة التي نحن بصدد درسها هنا من أهم الوسائل التي تعين صُنَّاع الكلام على الإجادة وحسن العرض، والإصابة في مجال التعبير؛ لأنها ترشد في هذا المجال إلى أقوم سبيل.

**ما هي البلاغة؟**

عرفها البلاغيون بقولهم: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ونشير الآن إلى أن هذا التعريف حوَى ثلاثة مصطلحات، هي:

-الحال

-مقتضى الحال.

-مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

**ونمهد لفهم هذه المصطلحات بالآتي:**

إذا دعاك صديق لحضور حفل زفافه، وقال لك أريد منك أن تلقي كلمة، بهذه المناسبة، فما الذي أنت صانعه قبل إلقاء هذه الكلمة؟

**فأولاً**: لابد أنك ستفكر في عناصر وأفكار الكلمة، التي ستلقيها، أو بعبارة أخرى: ستعد الكلمة، وتبحث عن الأفكار المناسبة حتى لا تتعرض للارتباك.

**وثانيًا**: إلقاء هذه الكلمة كما أعددتها فعلاً في الحفل الذي دعيت إليه.

وإذا أردت أن تُضَمِّن كلمتك شيئًا من القرآن، كان من المناسب أن تذكر هذه الآية: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ**﴾[النحل: ٧٢].

وهذه الآية: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[الروم: ٢١].

في هذا العرض الموجز تكمن المصطلحات الثلاثة، التي تضمنها تعريف البلاغة الآنف الذكر.

**فالحال** هو المناسبة التي دعتك للكلام، وهي هنا حفل الزفاف.

**ومقتضى الحال**: هو الكلام المناسب للحال، الذي أعددته قبل إلقائه، متضمنا الفكرة المقصودة لك منها.

**ومطابقة الكلام لمقتضى الحال**: هي إلقاؤك الكلام المناسب الذي أعددته أو فكرت فيه قبل إلقائه.

هذه هي المصطلحات الثلاثة التي هي البلاغة.

فالمناسبة: هي الأمر الذي يدعو المتكلم للكلام، وهي **الحال**.

**ومقتضى الحال** يسمى الخصوصية التي تتوفر في الكلام المناسب للحال.

**أما المطابقة**: فهي الكلام المخصوص الذي تم إلقاؤه **مناسبًا للحال**.

وبهذا تكتمل الدائرة البلاغية، ويتضح لنا تمامًا ما هي البلاغة.

فهي مرشد وموجّه لصنّاع الكلام إلى الأوصاف التي يكون بها كلامهم بليغًا ومؤثرًا في نفوس السامعين، ويشترط بعد هذا أن تكون المفردات والكلمات المستعملة

من الكلام فصيحة في نفسها.

وما قدمناه لك من أن حفل الزفاف الذي دعيت إليه هو الحال أو المناسبة التي ينبغي أن تعد الكلام المناسب لها، هذا مجرد تمثيل لتوضيح المصطلحات التي وردت في تعريف البلاغة، أرجو أن تكون قد وفّت بالمراد منها.

ومثل هذه المناسبة أمور لا تحصى، موكولة إلى خبرة البليغ؛ لأن أحوال الناس لا يمكن ضبطها فحال التهاني غير حال المواساة، وحال الإصلاح بين الناس غير حال التحميس على الجهاد، وهكذا تتعدد الأحوال التي تدعونا إلى الكلام، ولكل مقام منها مقال خاص بها.

بيد أن البلاغيين اهتموا بثلاثة أحوال وبينوا، وقنّنوا ما يناسبها من أساليب الكلام. من حيث صياغة الخطاب الذي يناسب كل حال منها.

أسموا الأول: **حال خُلُو الذهن** وأطلقوا على صاحبه وصف خالي الذهن.

وأسموا الثاني: **حال التردد**، وأطلقوا على صاحبه المتردد.

وأسموا الثالث: **حال الإنكار**، وأطلقوا على صاحبها المنكر.

وأسموا **خطاب الحال** الأول: **الخبر الابتدائي**: وهو ما يخاطب به **خالي الذهن** كما أسموا خطاب الحال الثاني **الخبر الطلبي** وهو ما يخاطب به **المتردد** أما الحال الثالثة فأسموها بـــالإنكار وأسموا الخطاب الذي يخاطب به المنكر الخبرَ **الإنكاري** ووضعوا هذه الأخبار تحت هذا العنوان؛ هكذا.

**أضرب الخبر:**

**الخبر الابتدائي**: ويلقى لخالي الذهن.

**الخبر الطلبي**: ويلقى للمتردد في مضمون الخبر.

**الخبر الإنكاري**: ويلقى لمنكر مضمون الكلام

أما ما يناسب كلاً منها من مطابقة الكلام لمقتضى الحال فهو الآتي:

**مطابقة مقتضى الحال في خلو الذهن:**

المخاطب الخالي الذهن هو الذي لا موقف لـــه إزاء الخبر الذي تلقيه إليه، ويستوي عنده وقوع المعنى وعدم وقوعه، وهو حري بأن يصدق المعنى الذي يحمله الخبر.

ومطابقة الكلام لمقتضى حاله هذه أن تلقي إليه الخبر خاليًا من أدوات التوكيد.

مثل أن تقول لصديقك: أنا اجتزت الامتحان بنجاح.

وأكثر الخطابات البلاغية من هذا النوع ومنه قوله تعالى: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً**﴾[البقرة: ٢٦٨]. في الآية الكريمة ثلاثة أخبار خالية من المؤكدات[١].

**الأول**: "الشيطان يعدكم الفقر".

**الثاني**: "ويأمركم بالفحشاء".

**الثالث**: "والله يعدكم مغفرة منه وفضلا".

وخلوّ هذه الأخبار من المؤكدات دليل على أن المخاطب فيها خالي الذهن، سرعان ما يصدق هذه الأخبار ولا ينازع فيها.

ومنه كذلك قول الشاعر:

إذا لم يكن في كفه غير نفسه  لجاد بها، فليتق الله ســـائله

يمدح رجلا بالكرم، وقد خلا الخبر الابتدائي من المؤكدات كما ترى؛ لأن الشاعر جعل مخاطبيه ممن لا يترددون في قبول هذا المدح.

وقول الآخر:

الله أنجح ما سألـــت به  والبر خير حقيبة الرجل

---

(١) أدوات التوكـــيد كـــثيرة، منها: إنّ وأنّ بكسر الهمزة وفتحها، ولام التوكيد، والقسم، ولقد واسمية الجملة، ولـــتكرار، ونون التوكيد الثقيلة مثل: لتبلونّ، ونون التوكيد الخفيفة مثل: لا تركنّ يومًا إلى الإحجام، وهما حصتان بالأفعال.

وهذا الخبر خلا من التوكيدات؛ لأنه خبر ابتدائي، يخاطب به خالي الذهن.

**مطابقة مقتضى الحال في الخبر الطلبي:**

الخبر الطلبي هو الذي يكون صاحبه مترددًا أو سائلاً كما تقدم.

والكلام المطابق لمقتضى حاله يكون مؤكدًا بمؤكد واحد، ومن شواهده في الذكر الحكيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة:١٢٠] فهذا الخبر مؤكد بمؤكد واحد هو "إنَّ" على تقدير أن صاحبه متردد في الحكم، أو سائل عنه، ومنه كذلك قول عزيز مصر لامرأته لما راودت يوسف عليه السلام عن نفسه: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩].

وكذلك قول إخوة يوسف وهم يتداولون الحديث في علاقة أبيه به: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾[يوسف:٨] فالخبر ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾[يوسف: ٨] مؤكد بمؤكد واحد هو اللام الداخلة على المسند إليه يوسف.

وكأن قائل هذه العبارة منهم ظن أن بعضهم يتردد في هذا الحكم ويسأل عنه.

ومنه قول هارون لموسى -عليهما السلام- لما زجره لتساهله مع بني إسرائيل: ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ﴾[الأعراف:١٥٠].

قال هارون ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾[الأعراف:١٥٠]، لأنه خشي ألا يعفو عنه موسى عليه السلام، لكونه غير مُسَلِّم أن بني إسرائيل استضعفوه.

ومن ذلك شعرًا:

| | |
|---|---|
| ذريني للغنى أسعى فإني | رأيت الناس شرهم الفقير |
| يباعده الغريب وتزدريه | حليلته، وينهره الصغير |
| وتلقى ذا الغنى وله جلال | يكاد فؤاد صاحبه يطير |
| قليل ذنبه والذنب جمٌّ | ولكن للغنيْ رب غفور |

أورد الشاعر في هذه الأبيات الأربعة طائفة من الأخبار، التي استقاها من تجارب الحياة وقد صدّرها جميعًا بإنَّ؛ لأن فيها شيئًا من الغرابة، ومن شأنها أن يتردد فيها الناس،

فكان من البلاغة أن تؤكد توكيدًا خفيفًا يناسب المقام.

وقال الشاعر يخاطب صديقًا لـــه هجرته محبوبته، وكان الصديق يرجو وصلها ثانية وأنها سوف تعود:

إن التي ضربت بيتًا مهاجرة بكوفة الجند غالت ودها غول

أي قطعت حبال ودها بك ولن تعود إليك أبدًا.

أكد الخبر بمؤكد واحد "إن التي" حتى لا يقسو على صديقه باليأس من المحبوبة.

وينبغي أن نعلم أن التوكيد في هذا الضرب من الكلام ليس واجبًا، فلك أن تتركه؛ لأن التردد قريب من خلو الذهن.

**مطابقة مقتضى الحال في الخبر الإنكاري:**

أما الخبر الإنكاري فإن مطابقة الكلام لمقتضى الحال فيه هو أن يؤكد الخبر بمؤكدين فأكثر، حسب قوة الإنكار وشدته، ويشغل الخبر الإنكاري حيزًا واسعًا في البيان العربي، وبخاصة القرآن الكريم.

ومن شواهده في الذكر الحكيم قوله تعالى، حكاية عن يوسف عليه السلام:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[يوسف:٥٣] الخبر هنا (النفس أمارة بالسوء) وقد أكد بمؤكدين؛ هما: "إنَّ"، واللام في "لأمارة".

قال يوسف عليه السلام هذا عن نفسه، وهو نبي مرسل، ونفوس الأنبياء ذكية طاهرة؛ لذلك فإن السامع قد ينكر أن يوسف عليه السلام يحمل بين جنبيه نفسًا أمارة بالسوء؛ لذلك أكد الخبر بمؤكدين واقرأ بوعي هذه الآيات: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنــزلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[يس:١٣-١٦]،كذب أصحاب القرية الرسل فواجه الرسل هذا الإنكار بما يناسبه من قوة الخطاب فقالوا: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ أكدوا الخبر بمؤكدين: "إن" و"لام التوكيد": ﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ ولكن أصحاب القرية بالغوا في

شدة الإنكار فقالوا: ﴿مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أثبتوا لهم البشرية؛ لأن الله لا يرسل بشرًا، في زعمهم!!.

ثم قالوا: ﴿وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ﴾ فأنكروا الوحي من الأساس، ثم اتهموهم بالكذب فقالوا: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ﴾، فما كان من الرسل إلا أن واجهوهم بزيادة التوكيد نظرًا لشدة إنكارهم وتماديهم فيه فقالوا لهم: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾، فأكدوا الخبر المواجه لشدة إنكارهم بثلاثة مؤكدات:

اسمية الجملة "إنا إليكم".

وأداة التوكيد "إنا".

ولام التوكيد في "لمرسلون".

ثم الاستشهاد بعلم الله أنهم مرسلون إلى أصحاب القرية.

ومنه قول الشاعر:

وإني لتعروني لذكراك هزة ... كما انتفض العصفور بلله القطر

أكد الخبر بمؤكدين: "اسمية الجملة، وإنّ"؛ لأنه توقع من محبوبته إنكار ما يقول، فأراد أن يزيل هذا الإنكار بالتوكيد.

ومنه قول الشاعر يصف أحد كرماء العرب -واسمه ابن الحشرج- بالجود والسخاء:

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج

فأكد الخبر بإنّ وإسمية الجملة كما ترى.

وهذه الأحوال الثلاثة: **خلوّ الذهن، والتردد، والإنكار** يقوم عليها صرح البلاغة في البيان قديمًا وحديثًا، وكان أول من أفصح عنهما بهذا الوضوح أبو العباس المبرد، حين جاء الفيلسوف الكندي وقال له: إن في كلام العرب حشوًا، فقال المبرد: وما هو؟ قال إنهم يقولون: عبد الله قائم، إن عبد الله قائم، إن عبد الله لقائم.

اختلفت العبارات والمعنى واحد!

فقال أبو العباس المبرد: لا حشو؛ لأن قولهم: عبد الله قائم: إخبار عن قيام عبد الله، وقولهم: إن عبد الله قائم: جواب سؤال من متردد بين طرفي الحكم، وهم القيام وعدم القيام، وقولهم: إن عبد الله لقائم: إزالة لإنكار منكر.

وكانت إجابة أبي العباس المبرد بلسمًا شافيًا؛ تأسست على هُداه هذه الأحوال الثلاثة، وكان لها أثر عظيم عند البلاغيين والنقاد والأدباء والعلماء وصناع الكلام، وستظل البلاغة تنتهج هذا المنهج ما بقي في الحياة بيان؛ لأن هذه الأحوال أمر فطري مركوزٌ في الطباع كما أبدعها الله ﷻ.

ومن يتأمل البيان القرآني -وهو أسمى بيان في الوجود- يرى جذور هذه البلاغة ضالعة فيه، سواء في ذلك طِوَالُ سُوَرِهِ أو قِصَارُهُ، وما بين الطوال والقصار.

**الفرق بين الفصاحة والبلاغة:**

ها نحن قد فرغنا من درس الفصاحة والبلاغة، وبقي علينا أن نعرف الفرق بينهما، وهو على المشهور عند علماء البلاغة أن الفصاحة تأتي وصفًا للألفاظ، وقد تقدم لنا أن الفصاحة فعلا موضوعها: الألفاظ من حيث: الوضوح، وسهولة النطق، على اللسان، وعدم الإلباس في الدلالة، وجريانها على قواعد النحو والصرف، وكثرة الاستعمال في اللسان العربي في الجاهلية والإسلام.

أما البلاغة فموضوعها: المعاني من حيث: التوكيد وعدمه، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال من المعاني التي يتطلبها المقام المقول فيه الكلام، هذا هو جوهر الفرق بين الفصاحة والبلاغة، يعني: أن الفصاحة تتعلق بالصورة أو الشكل، أما البلاغة فتتعلق بالفكرة أو المضمون[1].

(١) انظر دلائل الإعجاز (ص٣٥) الإمام عبد القاهر الجرجاني ط: شاكر.

# خلاصة الوحدة الثانية

عرفنا أن الفصاحة تأتي وصفًا لثلاثة أمور، هي:

أ - الكلمة المفردة اسمًا أو فعلاً.

ب- الكلام المركب من جملة بمقدار البيت من الشعر.

ج- المتكلم.

وأن فصاحة الكلمة، المفردة هي خلوها من تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس الصرفي.

أما فصاحة الكلام فتتوقف على خلوه من تنافر الكلمات مجتمعة، وضعف التأليف، وهو مخالفة القواعد النحوية، ثم التعقيد بنوعيه اللفظي والمعنوي، وأن الفصاحة والبلاغة تُعنيان بدراسة الألفاظ التي تصلح للاستعمال في الأساليب الرفيعة، وفي التراكيب الصالحة لتكوين الأسلوب الفصيح، أو الأنموذج الممتاز في صناعة البيان والفنون القولية الجميلة.

**البلاغة في المعنى اللغوي:** يدور معناها حول وصول الفكرة من متكلم أو كاتب إلى سامع أو قارئ.

وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة كل كلمة فيه.

**الحال** هي الأمر الذي يدعو المتكلم إلى الكلام.

**مقتضى الحال** هو الكلام المناسب للحال، كخلو الخطاب من التوكيد مع خالي الذهن، وتوكيده بمؤكد واحد مع المتردد، وتوكيده بمؤكدين فأكثر مع المنكر.

**مطابقة الكلام لمقتضى الحال** هي إلقاء الكلام المناسب، المشتمل على الخصوصيات التي تلائم الحال، وتؤتي ثمارها فيه.

وقد يعبر عن البلاغة بقولهم: لكل مقام مقال. وهو قول صائب عرفه العرب قبل عصور التدوين.

## اختبار الوحدة الثانية

**أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:**

**ضع علامة(✓)أمام العبارة الصحيحة وعلامة(X)أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:**

١- تأتي الفصاحة وصفًا لثلاثة أمور: الكلمة المفردة، الكلام المركب، المتكلم.

٢- تأتي الفصاحة وصفًا للكلمة المفردة فحسب.

٣- تأتي الفصاحة وصفًا للمتكلم فحسب.

٤- فصـــاحة الكلمة المفردة تكون بخلوها من تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس الصرفي.

٥- فصاحة الكلمة المفردة تكون بخلوها من تنافر الحروف فحسب.

٦- فصـــاحة الكلام تتوقف على خلوه من تنافر الكلمات مجتمعة ومن ضعف التأليف، وخلوها من التعقيد اللفظي والمعنوي.

٧- فصاحة الكلام تتوقف على خلوه من تنافر الكلمات فحسب.

٨- فصاحة الكلام تتوقف على خلوه من التعقيد اللفظي والمعنوى فحسب.

٩- البلاغة في المعنى اللغوي: يدور معناها حول وصول الفكرة من المبدع إلى المتلقي.

١٠- البلاغة في المعنى الاصطلاحي هي: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

١١- الحال يعني: الأمر الذي يدعو المتكلم للكلام.

١٢- مقتضـــى الحال هو: الكلام المناسب للحال، كخلو الكلام من التأكيد مع خالي الذهن، وتوكيده بمؤكد واحد مع المتردد، وبمؤكدين فأكثر مع المنكر.

١٣- يجب أن يخلو الكلام من التأكيد مع المتردد.

١٤- يجب أن يخلو الكلام من التأكيد مع خالي الذهن.

١٥- مخالفـــة الكلام لمقتضى الحال هي: إلقاء الكلام المناسب المشتمل على ما

يلائم الحال.

**ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:**

**١- تأتي الفصاحة وصفًا لـــ:**

أ- الكلمة المفردة والكلام المركب.

ب- المتكلم.

ج- لجميع ما سبق.

**٢- فصاحة الكلمة المفردة تكون بـــ:**

أ- خلوها من تنافر الحروف والغرابة.

ب- خلوها من مخالفة القياس الصرفي.

ج- جميع ما سبق.

**٣- فصاحة الكلام تتوقف على:**

أ- خلوه من تنافر الكلمات مجتمعة.

ب- خلوه من ضعف التأليف.

ج- خلوه من التعقيد اللفظي والمعنوي.

د- جميع ما سبق.

**٤- الحال يعني:**

أ- الأمر الذي يدعو المتكلم للكلام.

ب- الكلام لمناسب.

ج- جميع ما سبق.

**٥- مناسبة الكلام لمقتضى الحال تعني:**

أ- خلو الكلام من التأكيد مع خالي الذهن.

ب- توكيد الكلام بمؤكد واحد مع المتردد.

ج- توكيد الكلام بمؤكدين مع المنكر.

**٦- يجب أن يخلو الكلام من التأكيد مع:**

أ- المتردد. ب- خالي الذهن. ج- المنكر.

**٧- يجب أن يؤكد الكلام بأكثر من مؤكد مع:**

أ- المتردد. ب- خالي الذهن. ج- المنكر.

**٨- يجب أن يؤكد الكلام بمؤكد واحد مع:**

أ- المتردد. ب- خالي الذهن. ج- المنكر.

**ثالثًا: الأسئلة المقالية:**

١- بيّن الكلمات غير الفصيحة وسبب سلب الفصاحة عنها في العبارات الآتية:

أ- الجنود مَدَدُوا أيديهم إلى السلاح.

ب- الرجال نواكس الرءوس.

ج- وقد خَرَجْت من الحانوت يتبعني شاوٍ مُشل شلول شلشل شول

د- فلان كريم الجرش.

هـ- جزى ربه عني عدي بن حاتم.

و- إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره

ز- وليست خراسان التي كان خالد بها أسد إذ كان سيفًا أميرها

ح- شَهَرَ كَرَمُهُ حاتمًا

ط- ومرسنا مُسَرَّجا

**٢- اشرح المصطلحات الثلاثة الآتية:**

مقتضى الحال – الحال – مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

**٣- عين صاحب الحال الذي خوطب بالعبارت الآتية:**

أ- إنك ميت وإنهم ميتون.

ب- إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.

ج- إن عبد الله لقائم.

د- اثنان لا يشبعان: طالب علم وطالب مال.

هـ- السعيد من وعظ بغيره، والشقي من كان عبرة لمن سواه.

و- إن بني عمك لفيهم رماح.

ز- المسلم أخو المسلم.

ح- إن الهوى لـــهُوَ الهوان.

# النشاط التعليمي للوحدة الثانية

**عزيزي الدارس:** حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

اقرأ مبحث البلاغة في كتاب الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، ثم اكتب ملخّصًا وافيًا عنه، في حدود قدراتك العلمية؛ واستعن إذا شئت بما كتبه ابن سنان الخفاجي في كتابه المعروف بـ (سر الفصاحة).

# الوحدة الثالثة

## علم المعاني

# الوحدة الثالثة

# علم المعاني

## مبررات دراسة الوحدة:

**عزيزي الدارس:** إن الهدف من دراسة هذه الوحدة هو إلمام الدارس بمعنى علم المعاني من خلال شرح تعريفه كما ذكره علماء البلاغة مع التمثيل لما يراد توضيحه؛ ليكون الدارس على علم بحقيقة هذا العلم، والغرض منه في التعبير والأداء الفعلي لهذا العلم، والصلة بينه وبين فن "البلاغة" الذي سبقت دراسته.

وسوف تعرف علم المعاني عند أرباب هذا الفن، وهم البلاغيون، وبيان الصلة بينه وبين البلاغة، كما سوف تتعرض الوحدة لذكر مباحث علم المعاني، الثمانية، التي سوف نتناولها في الوحدات التالية بالبيان.

ولأهمية هذه المباحث يرجى منك -عزيزي الدارس- أن تقبل على دراسة هذه الوحدة بكل الجد والاجتهاد ففهم المعاني ضرورة حتمية لفهم مراد الله سبحانه.

**الأهداف التعليمية للوحدة:**

**عزيزي الدارس:** يرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١- تعرف علم المعاني.

٢- تبين الصلة بين علم البلاغة وعلم المعاني.

٣- تعدد بإيجاز مباحث علم المعاني الثمانية.

٤- تشرح بالتفصيل كل من الإسناد وأحوال المسند، والمسند إليه.

٥- تكتب عن أحوال متعلقات الفعل.

٦- تقارن بين القصر والفصل والوصل.

٧- تعرف كل من الخبر و لإنشاء.

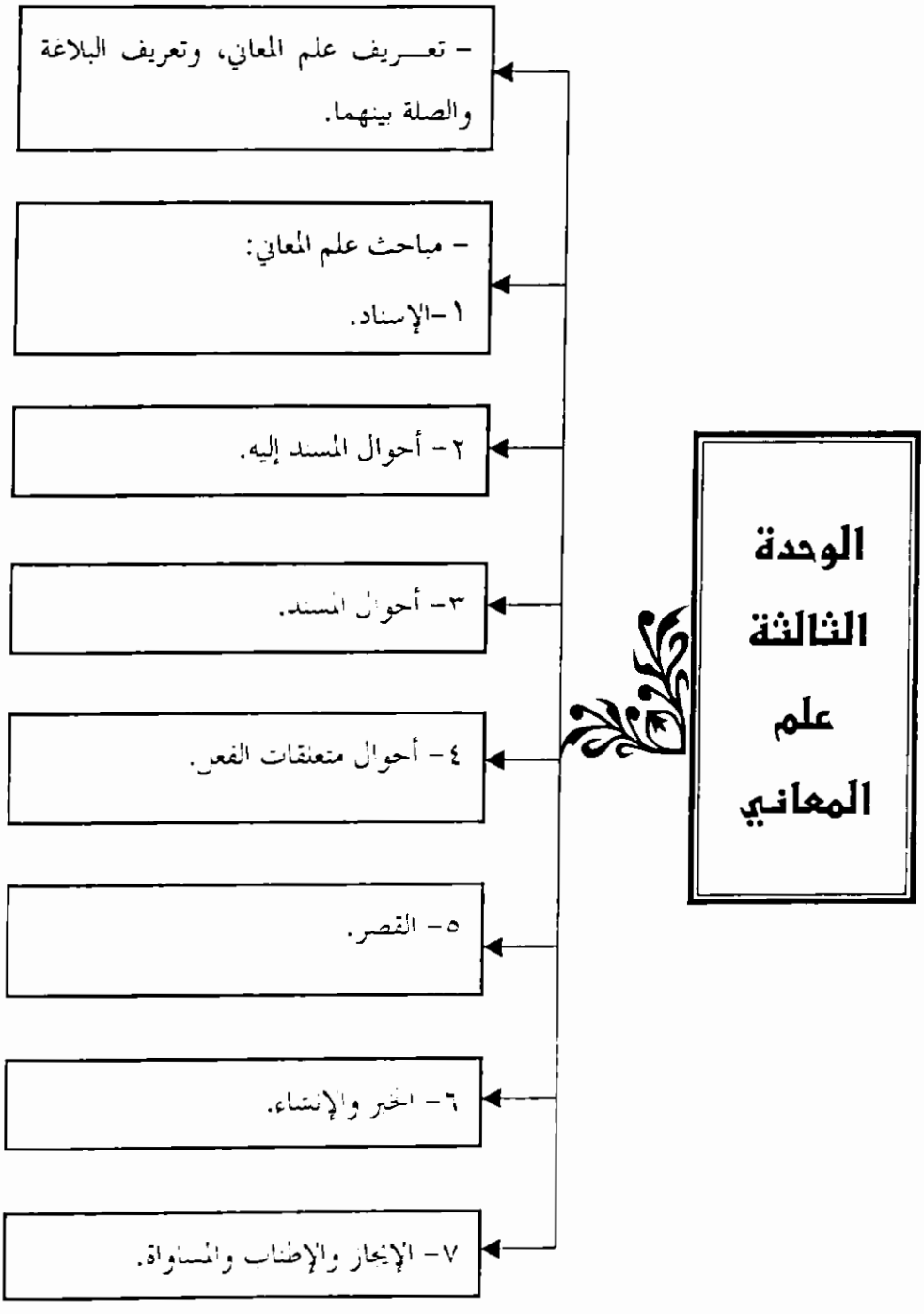
الوحدة الثالثة علم المعاني
- تعـــريف علم المعاني، وتعريف البلاغة والصلة بينهما.
- مباحث علم المعاني:
١-الإسناد.
٢- أحوال المسند إليه.
٣- أحوال المسند.
٤- أحوال متعلقات الفعل.
٥- القصر.
٦- الخبر والإنشاء.
٧- الإيجاز والإطناب والمساواة.

# الوحدة الثالثة

# علم المعاني

## تعريف علم المعاني

عرف البلاغيون علم المعاني فقالوا:

هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال".

العلم: هو الإدراك، أي: تحصيل المعنى في الذهن.

والأحوال: هي الأوضاع أو الصفات التي يوصف بها الشيء.

وأضيفت الأحوال إلى "اللفظ"؛ لأن البلاغة كلها من العلوم اللسانية، كالنحو والصرف، ووصف "اللفظ" هنا بالعربي؛ لأننا نتحدث عن البلاغة العربية.

وليس المراد كل أحوال اللفظ العربي، بل نوع خاص منها، هو الذي يتصل بمقتضى الحال كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف والتوكيد والإرسال كما تقدم.

وقد يضاف إلى التعريف "**مع فصاحة كل كلمة مستعملة فيه**".

وذلك لأن فصاحة الكلمة والكلمات شرط في بلاغة الكلام.

## تعريف البلاغة، وتعريف المعاني والصلة بينها:

في تعريف علم البلاغة قالوا: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

وفي تعريف علم المعاني قالوا: هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي، التي بها يطابق مقتضى الحال.

فإذا قارنت بين هذين التعريفين ظهر لك جليًّا أن علم المعاني هو البلاغة، وأن البلاغة هي علم المعاني.

كل ما بينهما من فرق أن علم المعاني يخطط ويشرّع لعلم البلاغة؛ لأنه

يعرض من مباحثه القواعد والأصول التي إذا راعاها المتكلم وسار على هداها أمكنه أن يقول أو يكتب كلامًا بليغًا، في غرض من أغراض الكلام، أوفن من فنون البيان.

**مباحث علم المعاني ثمانية هي:**

مباحث العلم هي الموضوعات التي تدرس وتبحث فيه.

ومباحث علم المعاني ثمانية؛ هي:

١- الإسناد.

٢- أحوال المسند إليه.

٣- أحوال المسند.

٤- أحوال متعلقات الفعل.

٥- القصر.

٦- الفصل والوصل.

٧- الخبر والإنشاء.

٨- الإيجاز والإطناب والمساواة.

هذه المباحث الثمانية، نوضحها توضيحًا موجزًا فيما يأتي، ريثما نعود لدراستها بشيء من التفصيل:

**١- الإسناد:**

الإسناد لغة: الضم، تقول: أسندت ظهري إلى الحائط أي ألصقته به.

أما في الاصطلاح فهو: ضم كلمة إلى أخرى بحيث تثبت مفهوم إحداهما إلى مفهوم الأخرى أو تنفيه عنها.

توضيح ذلك: قولنا: "شوقي شاعر" فقد ضممنا كلمة "شاعر" إلى كلمة "شوقي" وهذا الضمّ أفاد إثبات مفهوم "شاعر" وهو "الشاعرية" إلى مفهوم

"شوقي" وهو أحمد شوقي المعروف.

ونقول: "شوقي غير خطيب" أسندنا كلمة "غير خطيب" إلى كلمة "شوقي" كذلك على وجه يفيد نفي مفهوم "غير خطيب" وهو: عدم الوصف بالخطابة عن "شوقي" فالإسناد -كما ترى- نوعان:

نوع يفيد الإثبات.

ونوع يفيد النفي.

وكما يكون الإسناد في الخبر يكون في الإنشاء ومثاله في الإنشاء[1]:

ادع لإخوانك بالخير.

فالإسناد الإنشائي في جملة "ادع" وهو "الدعاء" إلى ضمير مستتر في الفعل "ادع" وهو أنت.

وللإسناد الإنشائي نوع آخر، وهو الذي يفيد النفي، كقولك لأخيك لا تعق والديك.

غير أن الإسناد الخبري هو موضوع البحث في علم المعاني؛ لأنه حافل بالمعاني البلاغية، وسوف نعرض له بالتفصيل لاحقا.

**٢- أحوال المسند إليه:**

المسند إليه في علوم البلاغة أمران:

**الأول**: المبتدأ في الجملة الاسمية، مثل: العلم نور، فالعلم هو المسند إليه.

**الثاني**: الفاعل في الجملة الفعلية، مثل: جاء الربيع، فالربيع هو المسند إليه لأنه فاعل.

ويراد من أحوال المسند إليه: الأوضاع التي تعتريه في التراكيب، مثل:

---

(١) الخبر كما سيأتي، ما كان غير طلب؛ بل إخبار عن حدث وقع قبل زمن التكلم غالبًا. أما الإنشاء فهو طلب ما ليس حاصلاً وقت التكلم مثل عرِّف فلانًا بأبي أريده.

تقديمه أو تأخيره، تعريفه أو تنكيره، ذِكْره أو حذفه، مثل قوله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾[النور:٣٥].

فـ"نور" مسند إليه، وقد جاء نكرة كما ترى.

**٣- أحوال المسند:**

المسند مثل المسند إليه أمران:

**الأول**: الخبر في الجملة الاسمية، مثل خالد شجاع، فكلمة شجاع هي المسند، أي إلى المبتدأ.

**الثاني**: الفعل في الجملة الفعلية، مثل: فاز المجدون، فالمجدون هي المسند إليه؛ أي أسند إليه الفعل، والأحوال التي تتوارد على المسند إليه تتوارد على المسند كذلك.

**٤- أحوال متعلقات الفعل:**

متعلقات الفعل، ويقال لها متعلقات الإسناد كذلك، هي ما يعبر عنه النحاة بـ"الفضلة" وهي الكلمات التي تأتي بعد استيفاء الجملة، ركنيها الأساسيين وهما:

المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية، والفعل والفاعل في الجملة الفعلية، وأكثر أحوال هذه المتعلقات: التقديم والحذف.

وعلم المعاني يبحث فيها بهذه الاعتبارات؛ لأن لها دلالات بلاغية في كل حال من أحوالها.

**مثال ذلك**: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إياك، وإياك، في هذه الآية من متعلقات الفعل، والأصل أن يقال: نعبدك ونستعينك، وكاف الخطاب في نعبدك ونستعينك مفعول به، فقدم في الآية على الفعل لإفادة القصر أي قصر العبادة والاستعانة على الله وحده، ومن أجل هذا المعنى فُصِل الضمير المتصل "الكاف" ليمكن تقديمه، وتحول إلى "إياك".

**٥- القصر:**

القصر فن عظيم من فنون علم المعاني، ومعناه في اللغة: الحبس.

أما في البلاغة -كما سيأتي في مبحثه الخاص به- فهو أسلوب يفيد اختصاص المعنى بأمر دون أمر، كما في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك.

**٦- الفصل والوصل:**

الفصل والوصل أمران يكونان بالعطف وترك العطف، بين نوع خاص من الجمل بحرف الواو خاصة، ومثال الوصل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ عطفت الجملة الثانية على الأولى بالواو لمقتضًى بلاغيٍّ سنعرفه فيما بعد إن شاء الله.

أما الفصل فكقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾[الحجر:٦٦].

فصلت جملة "أن دابر هؤلاء" عن جملة "قضينا إليه ذلك الأمر" لداع بلاغي كذلك، ستعرفه بالتفصيل في مبحث الفصل والوصل بإذن الله.

**٧- الخبر والإنشاء:**

الكلام قسمان، إما خبر، وإما إنشاء، ولا ثالث لهما.

فالخبر جملة تفيد المخاطب معنى حدث قبل التكلم بها، مثل: حضر أخوك أمس.

والإنشاء طلبٌ من المخاطب يتعلق بإحداث معنًى لم يكن له وجود ساعة التكلم: مثل: تعال يا فلان.

**٨- الإيجاز والإطناب والمساواة:**

هذا آخر مباحث علم المعاني، وهو -كما ترى-: تقسيم الكلام ثلاثة أقسام:

- الإيجاز.
- الإطناب.
- المساواة.
- أعلى هذه الأقسام **الإطناب**، وأدناها **الإيجاز**، وأوسطها **المساواة**.

وستأتي دراسة هذه الأقسام مفصلة وحسبنا الآن أن نقول:

**الإطناب** هو أن تكون الألفاظ أكثر من المعاني بدون ملل.

**والإيجاز**: أن تكون الألفاظ أقل من المعاني بدون خلل.

**المساواة**: أن تكون الألفاظ قدر المعاني.

مثال لكل منها:

| | |
|---|---|
| تبتُ | إيجاز بحذف المسند إليه أي: "أنا". |
| أنا تبتُ | مساوة بذكر ركني الجملة. |
| أنا -والله- تبت | إطناب بزيادة القسم |

هذه هي مباحث علم المعاني الثمانية ذكرناها بإيجاز شديد، ولاحقا سنعود إلى كل مبحث منها، ونبسط القول فيها -نسبيًّا- وإنما قدمنا هذا التصور لموجز للمباحث؛ إنعاشًا لذاكرة الدارسين؛ وذلك أعون لهم على فهم هذه المباحث تفصيلاً بعد أن ألـــمُّوا بها إجمالاً، وعلى الله قصد السبيل.

# خلاصة الوحدة الثالثة

**اشتملت هذه الوحدة على عدد من الموضوعات هي:**

- تعريف علم المعاني.
- شرح التعريف.
- الصلة بين تعريف علم المعاني وتعريف البلاغة.
- نماذج من أحوال اللفظ العربي.
- لماذا أحوال اللفظ العربي دون الألفاظ عامة عربية وغير عربية.
- مباحث علم المعاني.
- الإسناد.
- أحوال المسند إليه.
- أحوال المسند.
- متعلقات الفعل أو متعلقات الإسناد.
- المسند إليه والمسند ما هما في الجملة الاسمية والجملة الفعلية.
- القصر –وظيفته البلاغية.
- الفصل والوصل بين الجمل ووظيفته.
- الخبر والإنشاء والفرق بينهما.
- الإيجاز والإطناب والمساواة.

# اختبار الوحدة الثالثة

## أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

**ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة:**

١- متعلقات الفعل ليست من مباحث علم المعاني.

٢- مراعاة قواعد علم المعاني أساس بلاغة الكلام.

٣- الإطناب هو أن تكون الألفاظ أكثر من المعاني بلا ملل.

٤- ليست البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

٥- تقسيم الكلام إلى إيجاز وإطناب ومساواة غير صحيح.

٦- العطف وترك العطف بين الجمل هو الأساس في الفصل والوصل.

٧- علم المعاني هو: علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها مقتضى الحال.

٨- علم المعاني هو البلاغة، والبلاغة هي علم المعاني بلا فرق بينهما.

٩- من مباحث علم المعاني: مبحث الإسناد، وأحوال المسند والمسند إليه.

١٠- من مباحث علم المعاني: مبحث القصر، والفصل والوصل والخبر والإنشاء.

١١- من مباحث علم المعاني: الإيجاز والإطناب والمساواة.

١٢- من الإسناد ما يفيد الإثبات ومنه ما يفيد النفي.

١٣- ليس من الإسناد ما يفيد الإثبات ولا ما يفيد النفي.

١٤- المسند إليه هو: المبتدأ في الجملة الاسمية والفاعل في الفعلية.

١٥- المسند هو: الخبر في الجملة الاسمية والفعل في الفعلية.

١٦- القصر أسلوب يفيد اختصاص المعنى بأمر دون أمر.

١٧- الخبر جملة تفيد المخاطب ما يجب أن يحدث بعد التكلم.

١٨- الإنشاء طلب من المخاطب بإحداث معنى لم يكن موجودًا ساعة التكلم.

١٩- الإطناب هو: أن تكون الألفاظ أكثر من المعاني.

٢٠- الإيجاز هو: أن تكون الألفاظ على قدر المعاني.

**ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:**

**١- مباحث علم المعاني:**

أ- خمسة. ب- عشرة ج- ثمانية.

**٢- الإيجاز هو:**

أ- الألفاظ أكثر من المعاني.

ب- الألفاظ قدر المعاني.

ج- الألفاظ أقلّ من المعاني.

**٣- صلة علم المعاني بالبلاغة:** أ- الاتصال. ب- الانقطاع.

**٤- عبد الله قائم:**

أ- إيجاز. ب- إطناب. ج- مساواة.

**٥- الإسناد هو:**

أ- ضم جملة إلى جملة.

ب- حرف إلى حرف.

ج- كلمة إلى كلمة.

**٦- الإنشاء هو:**

أ- الإخبار بما حدث قبل زمن التكلم.

ب- طلب ما ليس حاصلاً في زمن التكلم.

ج- توكيد الكلام.

**٧- مباحث علم المعاني:**

أ- ثمانية.  ب- خمسة.  ج- ثلاثة.

**٨- مباحث علم المعاني هي معرفة:**

أ- الإسناد، وأحوال المسند والمسند إليه، والقصر، والفصل والوصل.

ب- الخبر والإنشاء، والإيجاز والإطناب والمساواة.

ج- جميع ما سبق.

**٩- الإسناد اصطلاحًا هو:**

أ- ضم كلمة إلى أخرى لتثبت مفهوم إحداهما للأخرى.

ب- ضم كلمة إلى أخرى لتنفي مفهوم إحداهما عن الأخرى.

ج- كلاهما معًا.

**١٠- المسند إليه هو:**

أ- مبتدأ في الجملة الاسمية.

ب- الفاعل في الجملة الفعلية.

ج- كلاهما معًا.

**١١- المسند هو:**

أ- خبر في الجملة الاسمية.

ب- الفعل في الجملة الفعلية.

ج- كلاهما معًا.

**١٢- القصر أسلوب يفيد:**

أ- اختصاص المعنى بأمر دون أمر.

ب- عموم المعنى في كل أمر.

ج- كلاهما صحيح.

**١٣- الفصـــل والوصل أمران يكونان بالعطف وترك العطف بين نوع خاص من الجمل بحرف:**

أ- الواو. ب- ثم. ج- بأيّ حرف من حروف العطف.

**١٤- الخبر جملة تفيد المخاطب معنىً:**

أ- حدث قبل التكلم بها.

ب- يطلب حدوثه بعد التكلم.

ج- كلاهما صحيح.

**١٥- الإنشاء طلب من المخاطب بإحداث معنىً:**

أ- لم يكن موجودًا ساعة التكلم.

ب- كان موجودًا قبل زمن التكلم.

ج- كلاهما صحيح.

**١٦- الإطناب هو:**

أ- أن تكون الألفاظ على قدر المعاني.

ب- أن تكون الألفاظ أقل من المعاني.

ج- أن تكون الألفاظ أكثر من المعاني.

**١٧- الإيجاز هو:**

أ- أن تكون الألفاظ على قدر المعاني.

ب- أن تكون الألفاظ أقل من المعاني.

ج- أن تكون الألفاظ أكثر من المعاني.

**١٨- المساواة هي:**

أ- أن تكون الألفاظ على قدر المعاني.

ب- أن تكون الألفاظ أقل من المعاني.

ج- أن تكون الألفاظ أكثر من المعاني.

**ثالثًا: الأسئلة المقالية:**

**أجب عن الأسئلة التالية:**

١- كوِّن من إنشائك جملاً بلاغية كل منها تحتوي على مبحث من مباحث علم المعاني.

٢- أخبر أحاك بحضور والده من السفر مقدرًا فيه:

- خلو الذهن، مرة. - التردد، مرة أخرى. - الإنكار لمضمون الخبر.

ثم سمِّ كل مخاطبة من هذه المخاطبات الثلاثة بما أسماها به البلاغيون.

الخبر الإنكاري - الابتدائي - الطلبي.

# النشاط التعليمي للوحدة الثالثة

**عزيزي الدارس:** حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

- اكتب تلخيصًا موجزًا لما ورد في الوحدة من معارف، مبينًا الصلة الوثيقة بين علميْ البلاغة والمعاني.

- اكتب مذكرة موجزة لما استفدته من دراستك في هذه الوحدة، مبينًا متى يكون الكلام مطابقًا لمقتضى الحال.

- حاول أن تكتب ثلاثة جمل، مراعيًا فيها قواعد الكلام البليغ.

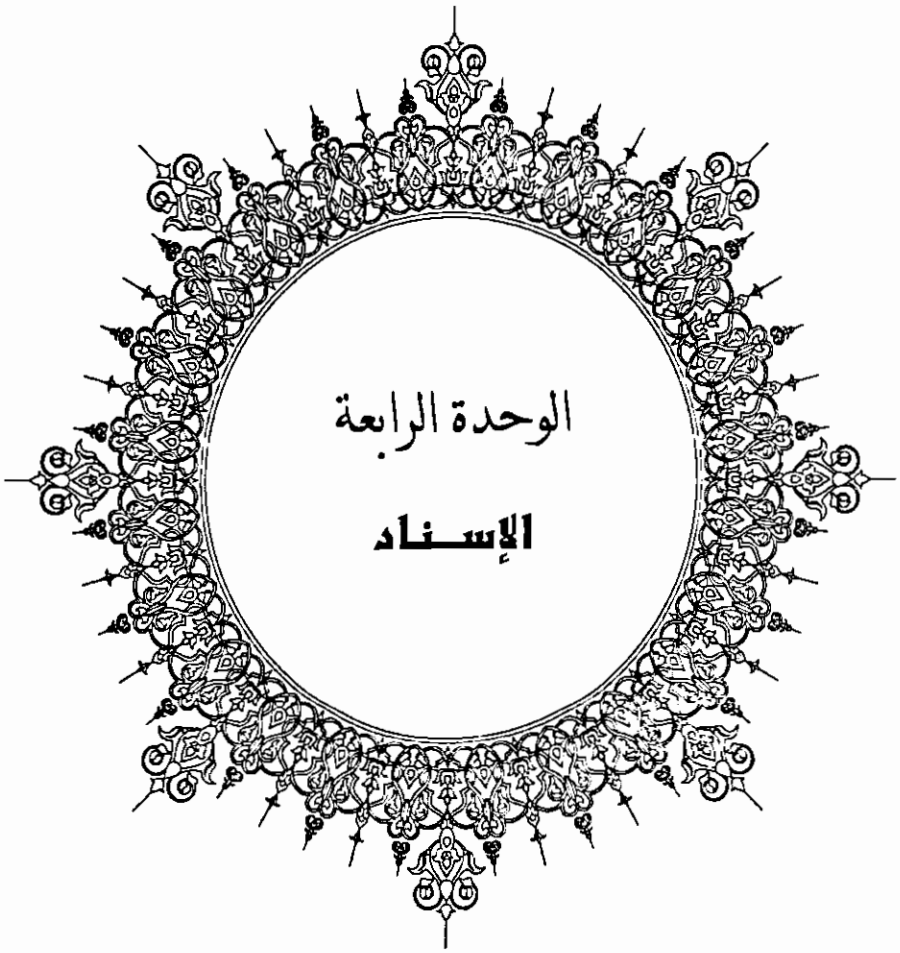

# الوحدة الرابعة

# الإسـناد

# الوحدة الرابعة

# الإسناد

**مبررات دراسة الوحدة:**

**عزيزي الدارس:** الإسناد مبحث هام من مباحث علم المعاني وهو موضع اهتمام كثير من البلاغيين؛ لاشتماله على المجاز بنوعيه الحقيقي والعقلي وفيه من اللطائف والأسرار البلاغية الشيء الكثير، وهو نوع من التوسع في الكلام زادت به اللغة العربية ثراء في المعاني والتراكيب، والمجاز العقلي جار على خلاف الأصل، كما سوف تتعرف عليه من خلال دراستك لهذه الوحدة.

وسوف تطوف بك الوحدة على الإسناد الخبري والإسناد الإنشائي وتتعرف من خلالها على علاقات المجاز المكانية والزمانية والسببية والمفعولية، كما ستعرج بك الوحدة على المسند إليه وأحوال ذكره وحذفه والأسرار البلاغية لحذفه أو ذكره؛ لذا – عزيزي الدارس– أدعوك لدراسة هذه الوحدة بكل الجد الذي نرجو أن تكون عليه في دراستك كلها، وفقك الله.

**الأهداف التعليمية للوحدة:**

**عزيزي الدارس:** يرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١- تفرق بين الإسناد الخبري والإسناد الإنشائي.

٢- تعرّف الإسناد الحقيقي.

٣- تذكر الفرق بين الإسناد الحقيقي والإسناد المجازي.

٤- توضح علاقات المجاز الزمانية والمكانية.

٥- تشرح علاقات المجاز السببية والمفعولية.

٦- تبين معنى المسند إليه.

٧- تذكر متى يجوز حذف المسند إليه.

٨- توضح بعض أحوال المسند إليه.

٩- تذكر بعض الأسرار البلاغية لحذف المسند إليه.

١٠- تبين النكات البلاغية لذكر المسند إليه.

١١- تعدد الصور التي يأتي بها المسند في سياق الكلام.

١٢- تبين أحوال المسند من حيث الذكر والحذف والتعريف والتنكير.

١٣- تذكر أحوال متعلقات الفعل بالتفصيل.

**أولاً: الإسناد**

- إسناد خبري.
- إنشاء إنشائي.
- إسناد حقيقي.
- إسناد مجازي.

**ثانيًا: أحوال المسند إليه.**

- ذكر المسند إليه.
- حذف المسند إليه.
- التعريف بالمسند إليه.

**ثالثًا: أحوال المسند.**

صور المسند: أ- اسم مفرد

ب- جملة اسمية. ج- جملة فعلية.

د- شبه جملة جار ومجرور.

هـ- شبه جملة ظرف زمان أو مكان.

**رابعًا: متعلقات الفعل.**

أحواله أربعة:

- الذكر.
- الحذف.
- التقديم.
- التأخير.

## أولاً: الإسناد

في الحديث الموجز عن مباحث علم المعاني قلنا: إن الإسناد لغة: هو الضم والإلصاق.

أما تعريفه في علم المعاني فهو كما تقدم:

ضم كلمة إلى أخرى على وجه يفيد إثبات مفهوم إحداهما للأخرى أو نفيه عنها مثل:

الصدق مُنْج، ضممنا كلمة: "منج" إلى الصدق، على وجه أفاد إثبات مفهوم منج وهو الإنجاء إلى الصدق، وقولنا: الكذب "غير منج"، ضممنا فيه غير منج إلى الكذب، على وجه أفاد نفي الإنجاء عن الكذب.

والإسناد -كما تقدم- قسمان:

**الأول:** إسناد خبري كما في الجمل المذكورة.

الثاني: إسناد إنشائي، مثل: دُمْ على تقوى الله، فالمسند هو الفعل: "دم"، والمسند إليه هو الضمير أنت، وللإسناد بعد هذا تنويع آخر، وهو نوعان:

إسناد حقيقي.

إسناد مجازي.

والإسناد الحقيقي هو: إسناد الفعل أو ما في معنى الفعل إلى ما هو له في الواقع مثل أن تقول:

خلق الله السماوات والأرض، وما فيهما، وما بينهما، فالمسند هنا هو الفعل خلق، والفاعل الحقيقي لهذا الخلق هو الله ﷻ.

وكذلك إذا قلنا: فاز المجدّون: فالمسند هنا هو الفعل "فاز"، والمسند إليه المجدّون وهم الفاعل الحقيقي للفوز.

ومثال ما هو في معنى الفعل وهو المصدر: السعادة أن تتقي الله، أي تقوى الله، والشقاء أن تتبع الهوى، أي: اتباعك الهوى.

النوع الثاني من الإسناد: هو: المجاز العقلي؛ لأن البلاغيين يطلقون على النوع

الأول وهو الإسناد إلى ما هو له في الواقع الحقيقة العقلية، وقد تقدم التمثيل لها.

أما النوع الثاني، وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له فيسمونه: المجاز العقلي. وهو موضع اهتمام كبير عند البلاغيين؛ لما فيه من اللطائف والأسرار البلاغية، وهو نوع من التوسع في الكلام، زادت به اللغة العربية ثراء في المعاني والتراكيب، وهو جار على خلاف الأصل؛ لأن الأصل أن يُسند الفعل إلى فاعله الحقيقي، فلا يُعدل به إلا لداع بلاغي، مع وجود صلة قوية بين الفعل وما في معناه وبين فاعله المجازي، المحول إليه الإسناد.

في هذا الفصل إذا أردت أن تسند الفعل، أو ما في معنى الفعل إلى غير فاعله الحقيقي من الوجود فلا بد من صلة بين الفعل وبين الفاعل الجديد.

وجملة القول أنه يشترط في الفاعل الجديد (المجازي) أن يكون إما:

- محلاً للفعل.
- أو زمانًا له.
- أو سببًا فيه.
- أو مفعولاً له.

**وإليك التمثيل:** قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ في هذه الآية أسند الفعل "أخرج" إلى الأرض، والفاعل لهذا الفعل هو الله وليست الأرض، فإسناده إلى الأرض جاء على سبيل المجاز العقلي، والذي سوَّغ هذا الإسناد هو أن الأرض محل الإخراج، ويسمى هذا المسوغ علاقة، وبناء على هذا نقول في إجراء المجاز في هذه الآية:

مجاز عقلي علاقته المحلية أو المكانية، ومثل الآية في الإسناد إلى المكان: سهر النادي حتى الصباح؛ فالنادي باعتباره مكانًا وجدرانًا لا يسهر، وإنما يسهر مَنْ هو فيه من الناس، ففي هذا المثال مجازٌ عقلي علاقته المكانية، ومثل ما كانت علاقته الزمانية:

تغنى كما صدحت أيكة ... وقد نبه الصبح أطيارها

الأيكة: الشجرة العظيمة، والصدح الغناء وفي هذا البيت مجازان عقليان:

أحدهما في إسناد الصدح للأيكة، والثاني في إسناد التنبيه للصبح.

والأول (صدحت أيكة) علاقته المكانية أما الثاني: (وقد نبه الصبح) فعلاقته الزمانية.

وقول الشاعر:

أشاب الصغير وأفنى الكبير  مرُّ الغداة وكـــرّ العشي

أسند الإشابة والإفناء إلى غير ما هما له، مرّ الغداة (الصبح) وكرّ العشي، وهما زمانان، وهما ليسا فاعلين حقيقيين، والمسوّغ لهذا الإسناد المجازي هو السببية؛ لأن فاعل الإشابة والإفناء الحقيقي هو الله ﷻ، أما الغداة والعشي فهما سببان لا فاعلان، والعلاقة في هذين المجازين هي السببية.

أما المجاز العقلي الذي علاقته المفعولية فمنه قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٧].

لأن العيشة مرضية لا راضية، فهي مفعول به، وأصل هذا المجاز أن يقال: رضي عيشته فهي مرضية، والفاعل: راض فهذه أربع صور من المجاز العقلي لها أربع علاقات: المكانية -الزمانية -السببية -المفعولية.

وكلها من باب وقوع الفعل من غير فاعله الحقيقي.

وللمجاز العقلي نوع آخر هو إيقاع الفعل على غير ما هو له، كقـــوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، وقوله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧].

فقد أوقع كلاً من السؤال والدعاء على القرية والنادي، والقرية لا تُسْأل، وكذلك النادي لا يُدعى، فالفعلان أُوقعا على غير ما هو لهما، والأصل: اسأل أهل القرية، وادع أهل النادي.

**نوعا السبب:**

والسبب الذي هو أحد علاقات المجاز العقلي نوعان:

سبب مؤثر، مثل: أهلك الناس الدينار والدرهم؛ لأنهما سببان مؤثران في حلول الهلاك (الإهلاك) بالناس؛ لأن حب الحصول عليهما يحمل الناس على السعي الشاقّ في جمعهما.

سبب آمر وهو جعل غير الفاعل فاعلاً؛ لأنه هو الآمر به ومنه قول فرعون لهامان: ﴿ابْنِ لِي صَرْحاً﴾ [غافر: ٣٦].

فهامان لا يبني الصرح بنفسه، وإنما يأمر العمال ببنائه.

وبلاغة المجاز العقلي: المبالغة في إثبات المعنى وإبرازه قويًا، وجعل غير الفاعل فاعلاً، وغير المفعول مفعولاً. ولذلك كثر وروده في القرآن الكريم، وفي الأدب العربي، جاهليـــّه، وإسلاميـــّه، كما أحدث أنماطًا واسعة من أساليب التعبير.

# إجابات نموذجية على أسئلة مقترحة

**الأسئلة:**

بيّن المجاز العقلي والحقيقة العقلية فيما يأتي مع العلاقة في المجاز:

١ – يزيدك وجهه حسنًا إذا ما زدتـــه نظـــرًا

٢– أقدمني بلدك حقٌّ لي على فلان. ٣– هزم الجنود جيش العدو.

٤– سرتني رؤيتك. ٥– هزم الأمير العدو.

٦– شفى الطبيب المريض. ٧– أخرج الشيطان أبوينا من الجنة.

**الإجابة:**

١– يزيدك وجهه حسنًا:

مجاز عقليّ علاقته السببية، والأصل أن يقال يزيدك الله حسنًا بسبب نظرك إلى المحبوب، والوجه فاعل مجازي.

٢– أقدمني بلدك حق لي على فلان:

مجاز عقلي علاقته السببية، والأصل أن يقال: أقدمني الله بلدك بسبب أخذ حق لي على فلان، الفاعل الحقيقي هو: الله، والمجازي: حق لي والعلاقة: السببية.

٣– هزم الجنود جيش العدو:

حقيقة عقلية؛ لأن الفعل هزم أسند إلى فاعله الحقيقي الجنود.

٤– هزم الأمير العدو:

مجاز عقلي علاقته السبب الآمر، والأصل: هزم الجنود العدو بسبب أمر الأمير وسياسته.

٦– شفى الطبيب المريض:

مجاز عقلي علاقته السببية، والفاعل الحقيقي هو الله.

٧– أخرج الشيطان أبوينا من الجنة:

مجاز عقلي علاقته السببية المؤثرة؛ لأن الشيطان أغراهما، والفاعل الحقيقي هو الله.

## ثانيًا: أحوال المسند إليه

تقدم أن المسند إليه هو المبتدأ في الجملة الاسمية، والفاعل في الجملة الفعلية، وحديثنا هنا عن المسند إليه في الجملة الاسمية، أي المبتدأ كما يسميه النحاة.

وله أحوال كثيرة، لكننا لن نتحدث عنها كلها؛ تاركين للدارس أن يستوعبها في مصادرها من كتب البلاغة[1].

فمن أحوال المسند إليه التقدم على المسند، أي الإتيان به مقدمًا؛ لأن رتبة المسند إليه هي التقدم، هذا هو الأصل، فيؤتى به مقدمًا على الأصل إذا لم يقتض المقام تقدم المسند عليه، فحينئذ يؤخر المسند إليه لدٍ بلاغي اقتضى تقدم المسند عليه.

ومن أمثلة الإتيان بالمسند إليه مقدمًا: ما جاء على الأصل كقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[سورة ٣٥]، ﴿**وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ**﴾ [نحل: ٧١]، وقوله ﷺ: "**النساء شقائق الرجال**"[2]، "**المسلم أخو المسلم**"[3].

وقول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا  بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وقول الآخر:

سُلَيْمَى أزمعت بينًا  فأين تقـــولها أينا

تقولها هنا بمعنى تظنها، أي هي عزمت على هجرانك فَهَجَرَتْك، فأين تظنها هي الآن، وفي أي مكان؟

---

(١) انظر كتاب الإيضاح للخطيب القزويني مبحث المسند إليه. ومفتاح العلوم للسكاكي مبحث نفسه.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة: باب في المرأة ترى في منامها (١/٥٩)(٢٣٦)، والترمذي في كتاب الطهارة: باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللا ولا يذكر احتلامًا (١/١٦٤)(١١٣)، والدارمي في كتاب الطهارة: باب في المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل (١/٢١٥)(٧٦٤) وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب المظالم: باب لا يظلم المسلم ولا يسلمه (٥/١١٩)(٢٤٤٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة والأدب: باب تحريم ظلمه (٤/١٩٩٦)(٥٨)، كلاهما عن ابن عمر.

"فـــالله" في الآيتين هو المسند إليه جيء به مقدمًا على الأصل، إذ لم يقتض المقام تقديم المسند عليه.

"والنساء" في الحديث الأول، والمسلم في الحديث الثاني هما المسند إليه، جيء به مقدمًا على الأصل؛ لخلوّ المقام من نكتة بلاغية تقتضي تأخيره.

أما بيت الشعر الأول ففيه جملتان اسميتان:

"بنونا بنو أبنائنا": أبناء الأبناء من عشيرة الأب.

والثانية: "وبناتنا بنوهن" أبناء الرجال الأباعد": يعني، أبناء بناتنا من عشيرة آباء أزواجهن.

فـــ: "بنونا" مسند إليه جيء به مقدمًا على الأصل.

و"بناتنا" مسند إليه جيء به مقدمًا على الأصل كذلك، والقاعدة التي تحكم هذا كله هي:

يؤتى بالمسند إليه مقدمًا دائمًا لأن تقديمه هو الأصل، إلا إذا دعا داع بلاغي إلى تقديم المسند، فيؤخر المسند إليه حينئذ.

وسيتضح ذلك مع التمثيل عند الحديث عن أحوال المسند.

ومن أحوال المسند إليه الذكر، لأن الذكر هو الأصل في الكلام كله، وكل الأمثلة التي تقدمت في تقديم المسند إليه صالحة لأن تساق أمثلة على ذكره، ومنه أي: من ذكر المسند إليه قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ**﴾ [البقرة: ٢٥٢]. فالمسند إليه "الله" جيء به مذكورًا لا محذوفًا، لأن الذكر هو الأصل وقوله: ﷺ: "**المسلم من سلم الناس من لسانه ويده**"[1] "فالمسلم" هو المسند إليه، جيء به مقدما على الأصل ومذكورًا لا محذوفًا على الأصل كذلك.

– ومن دواعي ذكر المسند إليه –غير أن الذكر هو الأصل–، إرادة تعظيمه وإظهار العناية به كقوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [لقمان: ٥].

أعيد ذكر المسند إليه في الجملة الثانية وهو "أولئك" مرة ثانية، وكان يكفي

---

(١) أخـــرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الإيمان: باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١/٦٨)(١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان: باب بيان تفاضل الإسلام وأيّ أموره أفضل (١/٦٥)(٦٤)، كلاهما عن ابن عمرو.

ذكره مرة واحدة، وهذا الذكر اقتضاه تعظيم المتحدث عنه، وإظهار لعناية به.

وقد يكون المقتضي لذكره تسجيل المقابح عليه، وشدة التهديد له، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [الرعد: ٥].

ذكر المسند إليه في الآية الكريمة ثلاث مرات، وكان يكفي ذكره مرة واحدة، وبلاغة ذكره في المرة الثانية والثالثة: شدة العناية بتسجيل هذه المقابح التي ذكرت مع كل مسند إليه "أولئك" ومضاعفة التهديد لهم كما ترى.

-ومن دواعي الذكر الشعور بالسعادة كما في قول موسى عليه السلام يخاطب ربه - حين سأله عما في يمينه: ﴿**هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى**﴾ [طه: ١٨].

كان موسى عليه السلام يشعر بسعادة غامرة في خطاب ربه؛ لذلك ذكر المسند إليه "هي" وكان يكفي أن يقول "عصاي".

ومنه قول الشاعر:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر

أعاد ذكر المسند مرة ثانية، وكان يكفي أن يقول: أم من البشر.

**ومن أحوال المسند إليه: الحذف**، وله دواع بلاغية، كذلك منها:

العلم به سواء ذكر أو لم يذكر، ومنه قوله تعالى: ﴿**عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**﴾ [التوبة: ٩٤].

فعلم الغيب والشهادة خاص بالله لا يشترك معه فيه أحد.

-ومن دواعي حذفه ضيق المقام كما في قول الشاعر:

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طـــويل

حذف المسند إليه في: "قلت عليل" والأصل: قلت: أنا عليل فحذف المسند إليه، وهو أنا.

وكذلك حذف المسند إليه في: "سهر دائم" والتقدير: حالي سهر دائم. فحذف المسند إليه وهو حالي؛ لأنه مريض، والمرض يحمل المريض على الملل وقلة الكلام أو اختصاره.

-ومن دواعي حذف المسند إليه: الخوف منه، أو الخوف عليه، أو الجهل به، أو الإشعار باحتقاره، مثل أن تقول: ملعون، وأنت تريد الشيطان، أو رجل ظالم، وأنت تريد شخصًا معينًا معروفًا بالظلم، فلم تقل: فلان رجل ظالم، بل تحذف المسند إليه وتكتفي بذكر المسند.

-وقد يحذف المسند إليه لظهوره من كلام سابق، مثل قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

أي هذا بلاغ، فحذف المسند إليه وهو: "هذا"؛ لقوة ظهوره من الكلام السابق عليه.

**ومن أحوال المسند إليه: التعريف**، ويكون لأغراض بلاغية، وليس البحث هنا عن أصل التعريف؛ لأن المسند إليه لا يكون إلا معرفة، وإنما عن نوعية التعريف، فهو الذي تتعلق به الخصوصيات البلاغية، وللتعريف -بوجه عام- طرق كالعلمية، والإضمار، والموصولية، والإضافة، واسم الإشارة، وهكذا.

-فتعريف المسند إليه باسمه العَلَم وهو الاسم الذي أطلق عليه ليميزه عمن عداه، والغرض البلاغيّ من التعريف باسم العلم يكون: لتمييز المسند إليه أكمل تمييز، ومثاله من القرآن الكريم: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ﴾ [القصص: ٤] فـ "فرعون" اسم إن هو المسند إليه، جاء معرّفًا باسمه العلم؛ لتمييزه عمن عداه أكمل تمييز.

ومنه قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]. فـ "محمد" ﷺ هو المسند إليه جاء معرفًا باسمه العلم لتمييزه أكمل تمييز؛ لأن المقام يقتضي ذلك، وبقية الآية وصف له ولأصحابه الأطهار.

ومنه: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ

وَفَضْلاً﴾ [البقرة: ٢٦٨]، "الشيطان" مسند إليه، وهو في قوة الاسم العلم لشهرته، وبالتعريف به تمييز له أكمل تمييز والمقام يقتضيه لزيادة التنفير منه.

و"الله" هو الاسم العلم للذات العلية، أوثر هنا من بين أسماء الله الحسنى؛ لأن فيه تمييزًا للمسند إليه أكمل تمييز، للترغيب في فضل الله ﷻ.

وقد يعرف المسند إليه بالضمير، إذا كان المقام مقام خطاب كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]. وقوله: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢]. والضمير هنا أنت في الآيتين.

أو مقام تكلُّم كقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾[طه: ١٤]. والضمير هنا الياء في "إنني".

أو مقام غيبه، كقوله تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[طه:٤٣].

فـــاخاء في "إنه" هي المسند إليه وجاء معرفا بالضمير؛ لأن المقام مقام غيبة.

ومن تعريف بالضمير قول بشار:

أنا المُرْعِث لا أخفى على أحد ... دَرَتْ بي الشمس تقاصي وتداني

وقول المتنبي:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ... وأسْمَعَـــتْ كلماتي من به صمم

-وقد يكون تعريفه بالاسم الموصول لدواعٍ بلاغية؛ كقول الشاعر:

إن الـــذين ترونهم إخـــوانكم ... يشفي غليل صدورهم أن تُصرعوا

وتعرض البلاغي هنا: التنبيه على خطأ وقع فيه المخاطبون؛ لأنهم حسبوا عدوهم صديقًا.

أو ليس له صفة يعرف بها إلا صلة الموصول، مثل قولك: الذي زارنا بالأمس حضر فأنت ومخاطبك لا تعرفان عن الرجل شيئًا. إلا بزيارته لكما بالأمس.

-وقد يُعرَّف المسند إليه باسم الإشارة لتمييزه أكمل تمييز، كقول الشاعر:

هذا أبو الصقر فردًا في محاسنه ... من نسل شيبان بين الضال و سلم

وهكذا، كل طريق من طرقه لها دلالة بلاغية من أجلها يكون التعريف بها.

## إجابات نموذجية على أسئلة مقترحة

**الأسئلة:**

استخرج المسند إليه وبعض أحواله من النصوص الآتية:

١- سأشكر عمرًا إن تراخت منيتي إيادي لم تمنن وإن هي جلت

فتى غير محجوب الغِنَى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

٢- "الله ولي الذين آمنوا"

٣- الناس سواسية كأسنان المشط.

٤- أنت ومالك لأبيك.

٥- أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

٦- "إن الإنسان لفي خسر"

٧- أمير الأمراء في المجلس.

**الإجابة:**

١- حذف المسند في النص الأول لاتباع الاستعمال الوارد عن العرب، والتقدير هو فتى؛ وذلك لأن العرب كانوا يحذفون المسند إليه الضمير إذا مدحوا شخصًا، ثم استأنفوا الحديث عنه.

٢- عُرِّفَ المسند إليه في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالاسم العلم تمييزًا له أكمل تمييز؛ وجيء به مقدمًا لأن تقديمه هو الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه هنا.

٣- جيء بالمسند إليه "الناس" مقدمًا؛ لأن التقدم هو الأصل، ومعرفًا بالألف واللام "الناس" لإفادة الشمول لكل أفراد الجنس.

٤- عرف المسند إليه بالضمير "أنت" لأن المقام مقام خطاب.

٥- عرف المسند إليه "أنا" بهذا الضمير لأن المقام مقام تكلم.

٦- عرف المسند إليه بالألف واللام للإشارة إلى معهود ذهنًا وفي خارج لذهن، وهو الإنسان المعروف.

٧- "أمير الأمراء في المجلس": عرف المسند إليه بالإضافة لإظهار المهابة والتعظيم من شأنه.

وهكذا، يكون وراء هذه التعريفات معانٍ وأسرار بلاغية، تختلف من طريق إلى طريق، وهذا من مرونة اللغة العربية التي اختارها الله تعالى وعاء لكتابه العزيز.

## ثالثًا: أحوال المسند

قلنا إن المسند هو الخبر في الجملة الاسمية، ويأتي الخبر على عدة صور:

أ – اسم مفرد وهو الغالب، والمراد بالاسم المفرد: ما ليس جملةً ولا شبه جملة وإن مثنى أو مجموعًا.

ب– جملة اسمية.

ج– جملة فعلية.

د – شبه جملة، جار ومجرور.

هـ– شبه جملة ظرف زمان أو مكان، وهذا النوع لا يأتي إلا مضافًا وإليك الأمثلة لصور الخبر:

**الصورة الأولى: الخبر المفرد ومنه قوله تعالى:**

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

والخبر هو "مرتان" ورغم أنه مثنى فهو اسم مفرد؛ لأنه ليس جملة ولا شبه جملة.

﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

الخبر أو المسند هو "الظالمون" وهو خبر مفرد رغم أنه جمع؛ لأن المراد بالإفراد في باب المسند ما ليس جملة اسمية ولا فعلية، ولا شبه جملة (جارًا ومجرورًا أو ظرفًا).

**الصورة الثانية: أن يكون الخبر جملة اسمية**، مثل: هذا الغلام كريم أبوه، فالخبر كريم أبوه وهو جملة اسمية.

**الصورة الثالثة أن يكون الخبر جملة فعلية** وهو كثير جدًا ومثاله: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

فالخبر يقبض وهو جملة فعلية.

**لصورة الرابعة: أن يكون الخبر شبه جملة (جارًا ومجرورًا)** مثل: ﴿ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ فالخبر هو "ففي رحمة الله"

**لصورة الخامسة: أن يكون الخبر شبه جملة (ظرفًا)** ومثاله: الجنود فوق الجبال و"فوق" ظرف وهو الخبر.

هذه هي صور الخبر الذي هو المسند في الجملة الإسمية.

أما المسند في الجملة الفعلية فهو الفعل، أما الفاعل فهو المسند إليه.

إذ تمهيد هذا: فإن أحوال المسند قريبة من أحوال المسند إليه، كالذكر والحذف والتقديم في غير الجملة الفعلية -كما سيأتي-، والتعريف، والتنكير، وإليك تفصيل ذلك كله:

**حذف المسند:**

قال الشاعر قيس بن الخطيم:

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأي مختلف

والتقدير: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راض

فحُذف راضون من الجملة الأولى وهو المسند، والداعي إلى حذف هو المحافظة على الوزن الشعري، ومنه قول الأعشى:

إن محلاً وإن مرتحلا... [1]

أي: إن لنا في الدنيا محلاً، أي: حلولاً ووجودًا، وإن لنا عنها رحيلاً، وهذا أسلوب من أساليب العرب كانوا إذا تكررت "إن" اكتفوا بالمسند إليه وحذفوا المسند، ولذلك يقول البلاغيون في هذا الأسلوب: اتباع الاستعمال الوارد عن العرب.

وقوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[يوسف: ١٨]، أي صبر جميل أجمل، فأجمل هو المسند ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[لقمان: ٢٥].

---

(١) تمامه: وإن في السفر إذ مضوا مهلا

أي: خلقهن الله، فحذف المسند وهو جملة فعلية، ويحتمل أن يكون التقدير: الله خلقهن: وعلى كلا التقديرين فالمحذوف هو المسند، سواء كانت الجملة اسمية أو فعلية.

وقد يكون المحذوف كذلك هو المسند إليه (المبتدأ) والتقدير: الله خالقهن أو: الخالق الله.

**ذكر المسند:**

يذكر المسند ليفيد الثبوت والدوام إن كان اسمًا، وليفيد التجدد والحدوث إن كان فعلاً، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]. جاء المسند اسمًا "خادعهم"؛ ليفيد أن مكر الله بهم مستمر غير مقيد بزمان ولا مكان.

أما مجيئه فعلاً فكما قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

في الآية الكريمة جاء المسند أربع مرات فعلاً وهي: (تؤتي- تنزع- تعز- تذل)؛ لأن الأحداث التي تدل عليها هذه الأفعال تتكرر وتتجدد حينًا بعد حين، إلى أن تقوم الساعة، فاقتضت البلاغة أن يكون المسند فعليًا للوفاء بالمعنى المراد.

ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾؛ لأن القبض والبسط يتجددان حسبما تقتضيه الحكمة الإلهية، فكان الفعل أوفى بالمعنى المراد.

ويرى البلاغيون أن مجيء المسند فعلاً له دلالات بلاغية غير التجدد والحدوث، وهي النص على الزمان الذي يقع أو وقع الحدث فيه، فقول الشاعر:

أوكلما وردت عكاظ قبيلة  بعثوا إلى عريفهم يتوسم

فالمسند في جملة "بعثوا" جاء فعلاً ماضيًا؛ ليدل على الزمن الماضي.

أما "يتوسم" فالمسند فيه فعل مضارع ليدل على أن الحدث يقع في الحال وفي الاستقبال. والفعل "يتوسم" أي يتعرف ويتفرس أحوال الشاعر، ليس مرة واحدة ولكن مرة بعد مرة... وهكذا، وقول الشاعر:

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا  لكـــن يمـــر علينا وهو منطلق

هو كناية لطيفة عن استمرار كرم قومه، لدرجة أن الدراهم تعاف المكث عندهم، ولكنها تسارع دائمًا إلى أيدي ذوي الحاجات من الناس، وقد توصل إلى هذا المعنى بمجيء المسند اسمًا وهو منطلق.

**أيهما أبلغ؟**

وهنا يرد سؤال: أيهما أبلغ؟ الثبوت والدوام أم التجدد والحدوث؟

**والجواب:** لا نزاع أن الدوام أثبت للمعنى من التجدد، ولكن النظرة العادلة في النقد البلاغي تسوّي بينهما إذا كان كل منهما مطابقًا للواقع، رغم ما بين الصيغ والأساليب من قوة وضعف.

**تنكير المسند**

يأتي المسند في الجملة الاسمية منكرًا لدواعٍ بلاغية مثل: ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ [البقرة: ٢]. المسند في هذه الآية "هدى" جيء به منكرًا لإرادة التعظيم والتفخيم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** ﴾ [الحج: ١]، فقد أفاد تنكير المسند: "شيء" التهويلَ والتفظيعَ، وأن أحداث الساعة لغرابتها، وعدم المعرفة السابقة بها تذهل الناس عن الصواب، ومنه قولنا: تصيبي من هذا مال شيء؛ فالمسند هو "شيء"، وجيء به نكرة للدلالة على التحقير والتقليل.

ومنه في غير المسند: ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ** ﴾ [النحل: ٧٣]. فـ: رزقًا وشيئًا جاءتا نكرتين لإرادة التقليل والتحقير؛ أي لا يملكون لهم رزقًا ولو كان شيئًا تافهًا.

**تعريف المسند:**

ويأتي المسند معرفًا لإفادة التخصيص كقولك: شوقي هو الشاعر، تريد تخصيصه بقول الشعر لا يشاركه في هذا المقام أحد؛ لأنه بلغ في الشعر منـــزلة عالية.

وجيء بضمير الفصل "هو" بين المسند إليه "شوقي" والمسند "الشاعر" لغرضين بلاغيين.

**الأول:** زيادة تقرير التخصيص.

**الثاني:** دفع توهم أن "الشاعر" وصف لا مسند؛ لأنه لو قيل: شوقي الشاعر لسبق إلى الذهن أن الشاعر وصف لا مسند، ولما زيد ضمير الفصل دفع هذا التوهم.

**تقديم المسند:**

يقدم المسند -اسمًا كان أو فعلاً، جملة فعلية وكذلك الجملة الاسمية- لأغراض بلاغية؛ منها:

قصر المسند إليه على المسند، بحيث لا يتعداه إلى غيره، كما في قوله تعالى: ﴿**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾[البقرة: ٢٨٤]، أي: له هو وحده لا لغيره، وقوله: ﴿**لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ**﴾ [الروم: ٤].

فـ: "الأمر" هو المسند إليه، والجار والمجرور لله هو المسند، وكان الأصل أن يقال: الأمر لله من قبل ومن بعد، لكن هذا لا يفيد اختصاص الأمر بالله، ولما قال "لله الأمر" أفاد أن الأمر خاص بالله لا بغيره، ولا شريك له فيه.

-ويقدم المسند على المسند إليه إذا كان المسند إليه نكرة، لدفع توهم أنه صفة لا خبر.

ومن ذلك قول حسان بن ثابت:

له همم لا منتـــهى لصغارها وهمته الكبرى أجل من الدهر

والشاهد: "له همم" المسند هو "له"، والمسند إليه: "همم" قُدِّم المسند "له" على المسند إليه "همم" لأنه نكرة، والنكرة لا تكون مبتدأ (مسندًا إليه) إلا بمسوغ. وهو هنا تقديم المسند على المسند إليه، وهو نكرة.

-وقد يفيد هذا التقديم مع المسند إليه الاختصاص، أي: له همم لا لغيره وتقديم المسند شبه الجملة على المسند إليه كثير جدًا في القرآن الكريم؛ فمنه قوله تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾ [فصلت: ٤٧]. أي إليه لا إلى غيره، وقوله تعالى: ﴿**إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ**﴾ [آل عمران: ٥٥]، أي: لا إلى غيري.

وهذا يعده البلاغيون طريقًا من طرق القصر، وسنذكره في مبحثه إن شاء الله.

ومنه قول الشاعر:

لله مني جانب لا أضيعه  وللهو مني والخلاعة جانب

هذا البيت فيه ثلاث ظواهر فنية بلاغية:

تقديم المسند في "لله مني جانب" فـ "جانب" هو المسند إليه، "ولله مني" هو المسند.

تنكير المسند إليه في "جانب لا أضيعه".

ثم تنكير المسند إليه في "للهو مني والخلاعة جانب" مع تقديم المسند عليه، وهو: "وللهو مني" فتقديم المسند في "لله مني جانب" كما تقدم في "له همم".

وكذلك تقديم المسند في "للهو مني" فما قلناه في له همم نقوله هنا.

أما تنكير المسند إليه وهو جانب مرتين، فالأول للتعظيم والتفخيم أي لله مني جانب عظيم.

أما تنكير "جانب" في "وللهو مني" فالمراد من التنكير فيه: التحقير والتهوين فإن سألت كيف يدل التنكير على التعظيم مرة، وعلى التحقير مرة أخرى، وكيف تميز بين الحالتين، والأداة المستعملة فيهما واحدة؟

فالجواب:

لا غرابة في ذلك، ومثل التنكير أسماء الإشارة، يختلف المراد منها باختلاف المقام، والمقام في "ولله مني جانب" هو مدرة وقرينة قوية على إرادة التعظيم؛ لأن الحديث هنا عن الله ﷻ أما جانب اللهو فهو كذلك قرينة قوية على أن المراد من التنكير فيها إفادة التهوين والتحقير.

ومثل هذا البيت قول الشاعر:

له حاجب عن كل شيء يشينه  وليس له عن طالب العرف حاجب

وقد يقدم المسند على المسند إليه لإحداث تشويق لمعرفة المسند إليه، مثل قول محمد بن وهب -يمدح المعتصم أحد خلفاء العباسيين:

ثلاثة تشرق الدنيـــا ببهجتها  شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

المسند هنا هو ثلاثة والمسند إليه شمس الضحى وأبو إسحاق، أي: المعتصم، وهو المقصود هنا بالتشويق إلى معرفته، والقمر.

- ويزيد هذا التشويق قوة كثرة الفصل بين المسند المقدم، والمسند إليه المؤخر بكلام طويل.

كما قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

ومن تقديم المسند، وهو فعل لا اسم، قول الشاعر:

سَعِدَتْ بغرة وجهك الأيام  وتزينت بلقائك الأعـــوام

قُدِّم المسند في البيت مرتين:

**الأولى:** "سعدت".  **والثانية:** "تزينت".

والسر البلاغي في هذا التقديم هو تعجيل المسرة؛ لأن كلاً من "سعدت وتزينت" مما يبعث البهجة في النفوس؛ ولذلك لم يقل الشاعر: الأيام سعدت والأعوام تزينت، ولك أن تقول: آثر الشاعر الجملة الفعلية على الجملة الاسمية لتعجيل المسرة والبهجة في النفوس.

أما تعجيل المساءة فأن تقول:

اشتعلت النيران قرب دارك، وعدا الذئب على غنمك.

واعلم أن هذه الأحوال التي درسناها في مبحثيْ المسند إليه والمسند، ليست هي كل أحوالهما، ولا هي خاصة بهما وحدهما؛ بل تتوارد على كثير غيرهما من الكلمات إذا اقتضى المقام ذكرًا؛ أو حذفًا؛ أو تقديمًا؛ أو تأخيرًا، أو تعريفًا؛ أو تنكيرًا؛ وهذا هو موضوع علم المعاني، الذي يسميه بعض المحدثين علم هندسة الأساليب؛ وهو جدير بهذه التسمية؛ لأن قواعده تسري في الكلام مسرى الروح في الجسد؛ ولذلك فإن تحقيق بلاغة الكلام تتوقف على مراعاة قواعده، وتطبيقها بكل وعي وحَذَق، وهو وعلم البيان مِفْتَاحَا فَهْمِ كتاب الله العزيز، وكذلك سائر الأساليب الرفيعة، ويشاركهما في ذلك بقدرٍ ما علم البديع.

## إجابات نموذجية على أسئلة مقترحة

**الأسئلة:**

١- ما هما نوعا المسند؟

٢- اذكر ما حصل في هذه الأساليب من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير للمسند والمسند إليه، وما أفاده ذلك من نكات بلاغية:

أ- أحمد يحب الخير لكل الناس.

ب- أشرقت بقدوم الإسلام الدنيا.

ج- حاز أبو الفضل مكارم الأخلاق.

د- قالت وقد رأت اصفراري من به وتنهـــــدت فأجبتها المتنهد

**الإجابة:**

**إجابة السؤال الأول:**

نوعا المسند هما: الخبر في الجملة الاسمية والفعل في الجملة الفعلية

﴿والكافرون هم الظالمون﴾. ﴿قد أفلح المؤمنون﴾.

**إجابة السؤال الثاني:**

أ- "أحمد يحب..."، المسند "يحب" وهو جملة فعلية، جيء به فعلاً لإفادة التجدد والحدوث.

ب- "أشرقت بقدوم الإسلام..." المسند "أشرقت" قدِّم على المسند إليه للتعجيل بالسرور.

ج- حاز مكارم الأخلاق، هو المسند وجيء به فعلاً لإفادة التجدد والحدوث.

د- المتنهد: يحتمل أن يكون مسندًا إليه، والمسند محذوف أي: المتنهد فعل ما. ويحتمل أن يكون من حذف المسند: أي فعل به المتنهد. وعلى كل فإن السر البلاغي للحذف فيهما هو ضيق المقام والمحافظة على الوزن الشعري.

## رابعًا: متعلقات الفعل

متعلقات الفعل كثيرة، من أبرزها المفعول به، والظرف زمانيًّا كان أو مكانيًّا، والجار والمجرور، والحال والتمييز، سواء كان الفعل لازمًا، مثل راكبًا جئت، ونفسًا طبت[1] أو متعديا، والنوعان يشتركان في كل المتعلقات فيما عدا المفعول فإنه خاص بالفعل المتعدي.

وأحوال هذه المتعلقات هي ما تقدم من الذكر والحذف والتقديم والتأخير... إلخ.

وفي أحوالها مع الفعل، أو مع بعضها بعضًا معان بلاغية ذات شأن عظيم، وهي تحتاج إلى مهارة وحذق حتى تكون دالة على هذه المعاني، للاعتبارات الدقيقة التي يراعيها البليغ في كلامه.

**أولاً: الذكر:**

-يذكر المفعول إذا كان غريبًا لا عهد للسامع به، ويؤدي حذفه إلى الجهل به دون الاهتداء إلى معرفته بأي حال.

وذلك كقول الشاعر:

ولو شئت أن أبكي دمًا لبكيته  عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

والذي يعرفه الناس أن البكاء يكون دموعًا لا دمًا، فلما أراد الشاعر أن يظهر شدة حزنه على "الفقيد" ادعى أنه لولا الصبر لبكى عليه دمًا لا دموعًا.

ولذلك أوجبت البلاغة عليه ذكر المفعول لغرابته[2].

وكثيرًا ما يذكر المفعول؛ لأن الذكر هو الأصل، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

---

(١) الفعل المتعدي هو الذي له مفعول أو أكثر، مثل حمل خالد السلاح، وأعطيت خالدًا وسامًا. واللازم ما لا يحتاج إلى مفعول مثل نام الطفل.

(٢) شرح التلخيص (ص٦٨) الخطيب القزويني – دار الجيل.

﴿التَّوَّابِينَ﴾[البقرة: ٢٢٢]. وقوله ﷻ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[البقرة:٣١]. آدم عليه السلام مفعول أول، والأسماء مفعول ثانٍ. وقُدِّم آدم على الأسماء وهما مفعولان لأن آدم هو قطب الحديث هنا، ومحط المعنى.

**ثانيًا: الحذف:**

يحذف المفعول لدواع بلاغية مختلفة منها:

أن يراد تعميم معنى الفعل، بحيث يشمل كل أنواع المفاعيل التي يصلح أن يقع عليها الفعل، ومنه قول الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى: ٢].

حُذف مفعولا خلق وسوَّى لإرادة العموم والشمول: أي خلق كل شيء، وسوَّى كل شيء.

وإذا قارنّا هذه الآية بقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧] رأينا الفرق شاسعًا بين ما حُذف فيه المفعول، وما ذكر فيه.

فآية الانفطار تتعلق بالإنسان فحسب في خلقه وتسويته وتعديله، بينما كانت آية الأعلى شاملة لكل مخلوق.

هذا، وإن كانت آية الأعلى أكثر تمجيدًا وتمدحًا لله، فلا يقال: إنها أبلغ دلالة من آية الانفطار؛ لأن كلاً من الآيتين جاءتا مطابقتين للمقام الذي وردت فيه كل واحدة منهما؛ إذ ليس في القرآن تفاوت في الأبلغية، بل هو مستوٍ في هذا المجال[1].

-ويحذف المفعول لدفع توهم غير المراد، ومنه قول أبي عبادة البحتري يمدح الخليفة المعتز:

شجو حسَّاده وغيظ عداه ... أن يرى مبصر ويسمع واعِ

يعني أن حزن حساد المعتز في إدراكهم أن في الدنيا مبصرًا وسامعًا؛ لأن محاسن

(١) بعض أسلاف الذين كتبوا في إعجاز القرآن يرون أن في القرآن تفاوتًا في الأبلغية. وهذا سهو لا يلتفت إليه.

الممدوح ملأت الدنيا، فالمبصر في أي مكان سيرى آثاره لكثرتها، والسامع في أي مكان سيسمع بها؛ لأنها كالشمس يملأ ضياؤها كل البقاع؛ لذلك حذف مفعول يرى ومفعول يسمع.

وفي البيت معنًى بلاغيٌّ آخر، حيث ادعى الشاعر أن المبصرين جميعًا لا تقع أبصارهم إلا على مآثر الممدوح، وأن السامعين جميعًا لا يسمعون إلا أخباره المجيدة.

ومنه قولنا في مثل هذا المقام: إن كنت ترى فقد رأيت، يعني إذا كنت قد حصلت لك الرؤية، فلابد أنك رأيت أفضال من تنكر أن له فضلاً، إذ ليس في الدنيا راءٍ لم ير أفضال هذا الرجل.

ومنه كذلك قول الشاعر:

وكم ذدت عني من تحامل حادث  وسـورة أيام حززن إلى العظم

المفعول المحذوف "اللحم" والتقدير: حززن اللحم إلى العظم. فاللحم هو المفعول المحذوف، والسبب في حذفه: دفع توهم غير المراد ابتداء؛ لأنه لو قال: حززن اللحم، لوقع في الوهم أن الحز لم يصل إلى العظم، وهذا قصور؛ لأن المقام مقام ثناء ومدح، يناسبه أن تكون الكوارث التي دفعها الممدوح عن الشاعر شديدة مؤلمة.

- وقد يحذف المفعول كراهة إيقاعه على المخاطب صراحة؛ تكريمًا له، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى واللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[الضحى:١-٣]. الشاهد في قوله "قلى" أي كره وبغض والقائل هو الله، والمخاطب هو محمد ﷺ.

لم يقل له: وما قلاك كما قال قبله: ما ودعك؛ لأن في إظهار المفعول المحذوف، وهو الكاف ما يجعل في الخطاب قسوة وجفوة، ينافي كمال التكريم، فحُذف المفعول دفعًا لهذه الاحتمالات، ويضاف إلى هذا المعنى: مراعاة الفواصل في الآيات التي قبلها والتي بعدها؛ لأنها كلها مسية على الألف المقصورة.

وبعض المفسرين يجعلون مراعاة الفواصل وحدها هي السبب في الحذف، وليس الأمر كذلك.

- وقد يحذف المفعول لاستقباح ذكره، إذا كان معناه منافيًا للحياء، وحينئذ إما أن يكنى عنه ولا يصرح به، وإما أن يحذف من الكلام نفسه.

ومما يستشهد به البلاغيون على حذف المفعول لهذا السبب: ما تواتر نقله عن أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها: "**كنا نغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد، فما رأيت منه ولا رأى مني**"[1].

فحذفت المفعول في موضعين؛ للوفاء بهذا الغرض العفيف والبيان الشريف.

وتقول أنت -إذا رأيت أحدًا مكشوف العورة علم أو لم يعلم: غطِّ يا رجل.

وهذا من أدب الإسلام الرفيع وأخلاقه السامية، ودواعي الحذف لا تقف عند هذا الحد الذي ذكرناه؛ أغضينا عنها توخيًا للإيجاز.

**ثالثا: تقديم المفعول:**

- يقدم المفعول وغيره، كالجار والمجرور، والظرف، والحال، والتمييز لأغراض تقتضيها البلاغة، وهي كثيرة؛ **منها:**

- رد خطأ وقع فيه السامع إذا فهم من كلامك غير ما أنت تريد، فتقول لمحو هذا الخطأ: عليًّا رأيت، إذا قلت أولاً رأيت عليًّا، فظن السامع أنك سهوت، وأنك رأيت غير علي، فتقول في الرد عليه: عليًّا رأيت، تقصر رؤيتك على عليٍّ دون غيره من الناس.

وتقول مؤكدًا: عليًّا رأيت لا غير عليٍّ.

وتقول مقدمًا الحال على عامله: راكبًا جئت، لمن ظن واعتقد أنك جئت ماشيًا.

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الغسل: باب هل يدخل الجنب يده في الإناء (١/٤٦٧)(٢٦٣)، ومسلم في كتاب الحيض: باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة (١/٢٥٦)(٤٥)، كلاهما بنحوه الأول.

وتقول في الجار والمجرور: في الدار أحمد، أي لا خارج الدار.

وتقول في الظرف: فوق الشجرة العصفور وهذه الصياغات كلها تفيد القصر أو التخصيص، وسيأتي ذلك مرة أخرى -إن شاء الله- عند الحديث عن القصر.

وقد يقدم المفعول لإرادة التوكيد، مثل أن تقول: خالدًا رأيته؛ لأن معنى هذا رأيت خالدًا رأيته، فذكرُ الرؤية واقع على خالد مرتين، ودليل ذلك أن "خالدًا" جاء منصوبًا في العبارة والنصب لا بد له من عامل يحدثه، ولا يصح أن يكون رأيته هو العامل في "خالدًا"؛ لأنه عمل النصب في الضمير المتصل به وهو الهاء، والعامل الواحد لا يعمل مرتين في آن واحد.

لذلك تعين أن عامل النصب في "خالدًا" هو فعل محذوف يفسره المذكور، وأن التعبير هو: رأيت خالدًا رأيته، وهذا من أقوى صياغات التوكيد.

ومن تقديم المفعول قول الشاعر:

أكلّ امرئ تحسبين امرأً ونارًا تأجـــج بالليل نارًا

والأصل أن يقال: أتحسبين كل امرئ امرأ، وكل نار تتأجج بالليل نارًا.

فقُدِّم المفعول "كل" لأن الاستفهام الداخل عليه إنكاري، وهو محط الإنكار؛ لأن الشاعر يُنكر على المخاطبة أن تنخدع وتحسب كل الناس شرفاء، وكل نار توقد ليلاً عندها كرماء.

- ومن تقديم بعض المعمولات على بعض لدواعٍ بلاغية قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[النور:٣٦].

قدِّم "له" على ما بعده، لأنه يحتوي على ضمير عائد على الله ﷻ.

ثم قُدِّم فيها لأن الضمير المجرور عائد على المساجد، وهي هنا قطب الدائرة في الكلام.

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾[النور:٣٦].

قدم "الغدو" عَلَى الآصال؛ لأن الغدو مبدأ استئناف العمل والنشاط، فتأمل أناقة الصنعة والبيان في هذا الكتاب المعجز.

## إجابات نموذجية على أسئلة مقترحة

الأسئلة:

بيّن -فيما يأتي- أحوال المسند إليه والمسند والإسناد، ومتعلقات الفعل، والأغراض البلاغية المرادة منها في إيجاز

١- لم يحضر كل الطلاب.

٢- كل الطلاب لم يحضروا.

٣- هل يصح أن تقول: رأيت أحمد وأنت تريد أنك لم تر غيره؟ وما هي العبارة الصحيحة في إفادة هذا المعنى؟

٤- ما رأيت منه وما رأى مني.

٥- شفى الطبيب المريض.

٦- سار النهر.

٧- عيشة راضية.

٨- ..... وسورة أيام حززن إلى العظم.

٩- أما ودعك ربك وما قلى؟.

١٠- أنزل الله من السماء ماء.

١١- له حاجب عن كل شيء يشينه وليس له عن طالب العون حاجب

١٢- سرتني رؤيتك.

الإجابة:

١- تأخر المسند إليه (الطلاب) على المسند (يحضر) ليفيد عموم النفي (عموم السلب)، أي لم يحضر منهم ولا طالب واحد، وهذا يسمى عند البلاغيين: عموم السلب.

٢- كل الطلاب لم يحضروا، تقدم المسند إليه (كل الطلاب) على المسند (لم يحضروا) ليفيد

هذا التقديم سلب العموم، أي نفي الحضور عن بعض الطلاب وإثباته للآخرين.

٣- لا يصح أن أقول: رأيت أحمد، وأنا أريد: لم أر أحدًا غيره، وإنما الصحيح أن أقول: أحمد رأيت؛ لأفيد قصر رؤيتي على أحمد دون أحد غيره؛ لأن عبارة: "رأيت أحمد" لا تمنع من رؤية غيره؛ لخلوّها من الدلالة على الاختصاص.

٤- أما: أحمد رأيت، فقدم المفعول "أحمد" على الفعل للدلالة على اختصاص الرؤية به.

٥- شفى الطبيب المريض، مجاز عقلي علاقته السببية؛ لأن الشافي الحقيقي هو الله.

٦- سار النهر، مجاز عقلي علاقته المكانية، والأصل أن يقال سار الماء في النهر.

٧- عيشة راضية، مجاز عقلي علاقته المفعولية، والأصل أن يقال: عيشة مرضية، وهو من الإسناد غير الحقيقي.

٨- حزز إلى العظم، حذف المفعول، وهو اللحم أي حزز اللحم إلى العظم؛ لئلا يقع في الوهم أن الحز توقف عند اللحم و لم يصب العظم، وهذا غير مراد.

٩- "وما قتى" حذف المفعول لئلا يقع فعل الكراهية صريحًا على رسول الله ﷺ؛ تكريمًا له ورفقًا بمشاعره الكريمة ﷺ.

١٠- "أنزل الله"، إسناد حقيقي، حقيقة عقلية؛ لأن هذا الفعل مختص بالله ﷻ.

١١- "حاجب" الأول نُكّر فيه المسند إليه للتعظيم والتفخيم.

أما "حاجب" الثاني فنُكّر فيه المسند إليه للتحقير.

١٢- سرتني رؤيتك، مجاز عقلي علاقته السببية، أي سرني الله بسبب رؤيتك.

# خلاصة الوحدة الرابعة

**درسنا معًا في المبحث الأول من هذه الوحدة ما يلي:**

- الإسناد الخبري.
- الإسناد الإنشائي.
- الإسناد الحقيقي (الحقيقة اللغوية).
- الإسناد المجازي (المجاز العقلي).
- علاقة المكانية.
- علاقة الزمانية.
- علاقة السببية.
- علاقة المفعولية.
- علاقة المجاز العقلي.
- المبالغة في إثبات المعنى.
- التوسع في إحداث أساليب جديدة من التعبير الرفيع.

**كما درسنا كذلك في المبحث الثاني:**

- المسند إليه في الجملة الإسمية.
- تقدم المسند إليه، جريًا على الأصل مع رتبته في التركيب.
- ذكر المسند إليه؛ لأن الذكر هو الأصل.
- ذكره لتعظيمه وإظهار العناية به.
- ذكره لتهويل شأنه وشدة التهديد له.
- ذكره لشعور المتكلم بالنشوة والسعادة.
- حذف المسند إليه لظهوره.
- حذف المسند إليه لضيق المقام ودفع الملل.
- حذف المسند إليه للخوف منه، أو الخوف عليه، أو الجهل به.
- تعريف المسند إليه؛ لأن المقام مقام تكلم، أو خطاب، أو غيبة.
- تعريف المسند إليه لتمييزه أكمل تمييز.

**كما درسنا كذلك في المبحث الثالث:**

- وقد وقفت على قدر كبير من أحوال المسند:

فعرفت متى يذكر ومتى يحذف، متى يأتي جملة اسمية ومتى يأتي جملة فعلية؟ ومتى يأتي معرفًا، ومتى يأتي منكرًا، ومتى يأتي مقدمًا، ومتى يأتي مؤخرًا.

وعرفت الأسرار البلاغية التي من أجلها كانت هذه الأحوال، فكن حريصًا على تثبيت هذه الأحوال في ذهنك وأكثر من التطبيقات عليها، ليتمكن العلم في ذاكرتك أكمل تمكُّن؛ فحياة العلم مذاكرته.

متعلقات الفعل: كثيرة منها: المفعول به، والظرف زمانيًا أو مكانيًا، والجار والمجرور، والحال، والتمييز، سواء كان الفعل لازمًا أو متعديًا.

وأحوال هذه المتعلقات هي الحذف، والذكر، والتقديم، والتأخير.

**أولاً: الذكر:** يذكر المفعول به إذا كان غريبًا لا عهد للسامع به ويؤدي حذفه إلى الجهل.

**ثانيًا: الحذف:** يحذف المفعول لدواع بلاغية منها: أن يراد تعميم معنى الفعل بحيث يشمل كل أنواع المفاعيل التي يصلح أن يقع عليها الفعل، ويحذف لدفع توهم غير المراد، ولكراهة إيقاعه على المخاطب صراحة، وقد يحذف لاستقباح ذكره.

**ثالثًا: يقدم المفعول:** وغيره كالجار والمجرور، والظرف، والحال، والتمييز لأغراض منها: رد خطأ وقع فيه السامع إذا فهم من كلامك غير ما تريده، وقد يقدم لإرادة التوكيد.

# اختبار الوحدة الرابعة

**أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:**

**ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:**

١- "لله الحمد". قدم المسند لإفادة التخصيص.

٢- "لله مني جانب لا أضيعه... ". قدم الجار والمجرور "لله" للاختصاص.

٣- أمير الأمراء حضر: جاء المسند إليه معرفًا بالإضافة لتربية المهابة عند السامع.

٤- ليلاي منكن أم ليلى من البشر.

٥- الله يعطي ويمنع: حذف مفعول يعطي ويمنع للدلالة على العموم.

٦- إن محلاً وإن مرتحلاً: حذف المسند في هذه العبارة في الموضعين للاختصاص.

٧- الإسناد لغة هو: الضم والإلصاق.

٨- الإسناد اصطلاحًا هو: ضم كلمة إلى أخرى على وجه يفيد إثبات مفهوم إحداهما للأخرى أو نفيه عنها.

٩- الإسناد قسمان: خبري وإنشائي.

١٠- الإسناد نوعان: حقيقي ومجازي.

١١- الإسناد الحقيقي هو: إسناد الفعل أو ما في معنى الفعل إلى ما هو لـــه في الواقع.

١٢- الإسناد المجازي هو: إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له.

١٣- يشترط في الفاعل المجازي أن يكون محلاً للفعل، أو زمانًا لـــه أو سببًا فيه أو مفعولاً له.

١٤- من أحوال المسند إليه: تقديمه جريًا على الأصل مع رتبته في الترتيب.

١٥- من أحوال المسند إليه ذكره؛ لأنه هو الأصل.

١٦- من أحوال المسند إليه ذكره؛ لتعظيم شأنه وإظهار العناية به.

١٧- من أحوال المسند إليه ذكره؛ لشعور المتكلم بالنشوة والسعادة

١٨- من أحوال المسند إليه حذفه؛ لظهوره أو لضيق المقام أو لدفع الملل.

١٩- من أحوال المسند إليه حذفه؛ للخوف منه أو عليه أو الجهل به.

٢٠- من أحوال المسند إليه تعريفه؛ لتمييزه أكمل تمييز.

٢١- من أحوال المسند إليه تعريفه؛ لكون المقام مقام تكلم أو خطاب أو غيبه.

٢٢- يجوز ذكر المسند ويجوز حذفه.

٢٣- يجوز أن يأتي المسند جملة اسمية أو فعلية.

٢٤- يجوز أن يأتي المسند معرفًا أو منكرًا مقدمًا أو مؤخرًا.

٢٥- يحذف المفعول به لدواع بلاغية منها: تعميم معنى الفعل، ولدفع التوهم، ولاستقباح ذكره.

**ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:**

**١- الإسناد اصطلاحًا هو:**

أ- ضم كلمة إلى أخرى على وجه يفيد إثبات مفهوم إحداهما للأخرى أو نفيه عنها.

ب- عزل كلمة عن أخرى على وجه يفيد إثبات مفهوم إحداهما للأخرى أو نفيه عنها.

ج- كلاهما خطأ.

**٢- الإسناد نوعان:**

أ- خبري وإنشائي. ب- مجازي وحقيقي.

**٣- الإسناد الحقيقي هو: إسناد الفعل أو ما في معناه إلى:**

أ- ما هو لـــه في الواقع. ب- غير ما هو له.

**٤- الإسناد المجازي هو: إسناد الفعل أو ما في معناه إلى:**

أ- ما هو لـــه في الواقع. ب- غير ما هو له.

**٥- يشترط في الفاعل المجازي أن يكون:**

أ- محلاً للفعل أو زمانًا له. ب- سببًا فيه أو مفعولاً له. ج- كلاهما صحيح.

٦- من بلاغة المجاز العقلي:

أ- المبالغة في إثبات المعنى وإبرازه قويًا.

ب- جعل غير الفاعل فاعلاً وغير المفعول مفعولاً.

ج- كلاهما معًا.

٧- من أحوال المسند إليه:

أ- تقديمه جريًا على الأصل مع رتبته.

ب- تأخيره جريًا على الأصل مع رتبته.

ج- كلاهما صحيح.

٨- من أحوال المسند إليه:

أ- ذكره لتعظيم شأنه، والعناية به.

ب- ذكره لتهويل شأنه، وشدة التهديد به، ولشعور المتكلم بالنشوة.

ج- كلاهما معًا.

٩- من أحوال المسند إليه:

أ- حذفه؛ لظهوره، أو لضيق المقام، أو لدفع الملل.

ب- حذفه للخوف منه، أو عليه، أو الجهل به.

ج- كلاهما معًا.

١٠- من أحوال المسند إليه:

أ- تعريفه؛ لتمييزه أكمل تمييز.

ب- تعريفه؛ لكون المقام مقام تكلم أو خطاب أو غيبه.

ج- كلاهما معًا.

١١- المسند، لـــه أحوال منها:

أ- جواز ذكره وحذفه.

ب- يجوز ذكره، ولا يجوز حذفه.

ج- يجوز حذفه، ولا يجوز ذكره.

**١٢- من أحوال المسند:**

أ- يأتي جملة اسمية أو فعلية.

ب- يأتي جملة اسميه وليس فعليه.

ج- يأتي جملة فعلية وليس اسمية.

**١٣- من أحوال المسند:**

أ- إتيانه معرفًا أو منكرًا، مقدمًا أو مؤخرًا.

ب- إتيانه معرفًا لا منكرًا، مقدمًا لا مؤخرًا.

ج- إتيانه منكرًا لا معرفًا، مؤخرًا لا مقدمًا.

**١٤- يذكر المفعول به:**

أ- إذا كان غريبًا لا عهد للسامع به.

ب- إذا أريد تعميم معنى الفعل.

ج- كلاهما صواب.

**ثالثًا: الأسئلة المقالية:**

**١- بيّن المسند إليه والأحوال التي جاء عليها في هذه الأمثلة:**

أ- الله خالق كل شيء.

ب- أصحاب رسول الله كالنجوم في الليل المظلم.

ج- هذا صراط الله المستقيم.

د- هو الحق فاتبعوه.

هـ- الذي له ملك السماوات حقيق بالولاء.

و- هذا يومُ ينفع الصادقين صدقهم.

ز- الشيطان عدو مبين.

ح-بنـــونا بنو أبنائنـــا وبناتنا  بنوهـــن أبنـــاء الرجال الأباعد

ط-إن الذين ترونـــهم إخوانكم  يشفي غليل صدورهم أن تُصرعوا

**٢- كوِّن في كراستك العبارات الآتية.**

أ- مسندًا إليه في جملة تامة معرّفًا بالإضافة، وآخر معرفًا باسم الإشارة (هذا) مبيِّنًا سره البلاغيّ.

**٣- حلل البيت الآتي بلاغيًا:**

لا تقـــل قد ذهـــبت أربـــابه  كل من سار على الدرب وصل

**٤- بين الحال التي عليها "المسند" فيما تحته خط فيما يأتي ودلالته البلاغية:**

أ- همتي همة الملوك ونفسي  نفس حر ترى المذلة كفرا

ب- وليس الذكر كالأنثى.  ج- لله الحمد في السماوات و لأرض.

د- خالد بن الوليد سيف الله البتار.  هـ- أبو الفضل يعطي العطاء جزيل.

و- إن الرسول لنور في الظلمات.  ز- هذا أبو الصقر فردًا في محاسنه.

ح- الطيب أنت.  ط- ختامه مسك.

ى- صلاح الآباء ينفع الأبناء.

# النشاط التعليمي للوحدة الرابعة

**عزيزي الدارس:** حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

- اقرأ مبحث المسند إليه في كتاب الإمام عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز فصليْ: التقديم والتعريف، وفي كتاب الإيضاح للخطيب القزويني.
- اكتب ملخصًا موجزًا لما درسته هنا، وما فهمته من الكتابين المذكورين.
- اعمد إلى فصل من كتاب، أو قصيدة من الشعر واقرأ الفصل أو القصيدة بتأنٍّ، ثم دوِّن كل ما تقع عليه عينك من مسند، وتعرَّف على حاله الذي جاء عليه من: تعريف وتنكير، وتقديم وتأخير، وذكر وحذف، مشيرًا إلى الدلالات البلاغية التي فهمتها من السياق.
- اختر واحدة من القصائد الثلاث الآتية أسماؤها، وهي: قصيدة "الأطلال" لإبراهيم ناجي، "وُلد الهدى" لأمير الشعراء أحمد شوقي،

يا ليلُ الصبُّ متى غده أقيام الساعة مـــوعده

للشاعر الحصري القيرواني، وعين ما يظهر لك منها من الإسناد الحقيقي والمجاز العقلي، وبعضٍ من المسند إليه والمسند وأحوالها، والمعاني المرادة منها، وبعض من أحوال متعلقات الفعل، واعرض كل ذلك على أستاذ المادة ليوجهك لما عسى أن تقع فيه من مجانبات للصواب، مع الاستعانة قبل التحليل بكتاب: دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني في مباحث: الذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير ... إلى آخره.

# الوحدة الخامسة

## القصر وطرقه

## الفصل والوصل

# الوحدة الخامسة

## القصر وطرقه - الفصل والوصل

**مبررات دراسة الوحدة:**

**عزيزي الدارس:** القصر فن عظيم من فنون علم المعاني خاصة والبلاغة عامة، تجد جملة القصر فيه بمنـــزلة جملتين اثنتين لكل منهما معنى مغاير للآخر، وفي أسلوب القصر تؤدي الجملة الواحدة المعنيين معًا تثبت المعنى لشيء ثم تنفيه عن شيء آخر في الوقت نفسه، وهذا شكل من أشكال الكثافة في الدلالة يشيع في القرآن الكريم، والحديث الشريف، وعيون الأدب العربي قديمًا وحديثًا، وأنت في هذه الوحدة سوف تتعرف على طرق القصر جميعها بالنفي، والاستثناء، وإنما، وبلا ولكن، وبل، وغيرها من طرق القصر، ثم سوف تتعرف على أنواع القصر في الأسلوب العربي، كقصر الصفة على الموصوف، وقصر الموصوف على الصفة، والقصر حقيقي، والقصر الادعائي، وقصر القلب، وقصر التعيين، وقصر الإفراد، كما سوف تطوف بك الوحدة على المقصور والمقصور عليه وموقعهما من الجملة والأسباب التي يترتب عليها الفصل بين الجمل؛ لذا - عزيزي الدارس- أدعوك لدراسة هذه الوحدة.

**الأهداف التعليمية للوحدة:**

**عزيزي الدارس:** يرجى منك بعد دراسة هذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١- تعرف القصر لغة واصطلاحًا.

٢- تذكر كيفية القصر بالنفي والاستثناء.

٣- تبين كيفية القصر بإنما.

٤- توضح بعض طرق القصر بتقديم ما حقه التأخير، وبلا ولكن وبل، وبضمير الفصل بين الطرفين.

٥- تذكر بعض أنواع القصر.

٦- تشرح المقصود بقصر الصفة على الموصوف وعكسه.

٧- تقارن بين كل من القصر الحقيقي، والقصر الادعائي، وقصر القلب، وقصر التعيين.

٨- تبين شروط الوصل بين الجمل.

٩- تذكر الأسباب التي يترتب عليها الفصل بين الجمل.

١٠- توضح معنى التوسط بين الكمالين في حالتي الاتصال والانقطاع مع التمثيل لكل منهما.

# الوحدة الخامسة
# القصر وطرقه

**أولاً: القصر وطرقه.**

- تعريف القصر وطرقه.
- من طرق القصر: النفي والاستثناء- إنما- تقديم ما حقه التأخير- العطف بلا ولكن وبل- تعريف الطرفين- ضمير الفصل بين الطرفين.
- أنواع القصر: قصر صفة على موصوف وعكسه. قصر حقيقي وادعائي- قصر قلب- قصر تعيين- قصر إفراد.
- المقصور في "النفي والاستثناء" هو ما قبل حرف الاستثناء والمقصور عليه هو ما بعده.
- المقصور في "إنما" هو ما وقع بعدها مباشرة، والمقصور عليه هو المتأخر.
- المقصور عليه في "لكن"، "وبل" هو ما وقع بعدها.

**ثانيًا: الفصل بين الجمل.**

- تعريف الفصل بين الجمل
- الأسباب التي يترتب عليها الفصل بين الجمل.

**ثالثًا: الوصل بين الجمل.**

- التوسط بين الكمالين (الاتصال – الانقطاع).

## أولاً: القصر وطرقه

القصر فنٌّ عظيم من فنون علم المعاني خاصة، والبلاغة عامة، تجد جملة "القصر" فيه بمنـــزلة جملتين اثنتين، لكل منهما معنًى مغاير للآخر.

والأصل في اللغة أنَّ تأديةَ المعاني تكون بجملة تفيد الإثبات، وأخرى تفيد النفي، **مثال الأولى:**

عاد أحمد من السفر، أفادت هذه الجملة العودة من السفر لأحمد، و لم تُفد شيئًا آخر غير هذا المعنى.

ومثال الثانية: لم يتأخر أحمد في الخارج، أفادت هذه الجملة نفي تأخر أحمد خارج البلاد، هذا هو الأصل في تأدية المعاني.

لكن أسلوب القصر تؤدي الجملة الواحدة فيه المعنيين معًا، تثبت المعنى لشيء، ثم تنفيه عن شيء آخر في الوقت نفسه.

وهذه الكثافة في الدلالة هي وظيفة أساليب القصر، الذي له شيوع واسع في القرآن الكريم، والحديث النبوي، والأدب العربي (قديمه وحديثه)، فمثلاً إذا قلت: شوقي شاعر، أثبتّ الشاعرية لشوقي دون أن تتعرض لأحدٍ سواه بنفي أو إثبات، سواء كان معه شاعر آخر في الوجود أو لم يكن.

لكن إذا قلت: ما شاعر إلا شوقي خرجت عن الحديث الخاص بشوقي إلى سواه؛ لأن هذه العبارة بمثابة جملتين، لكل منهما معنى خاص بها.

فهي أولاً تثبت الشاعرية لشوقي. وثانيًا تنفي الشاعرية عن غير شوقي، والجملة: "ما شاعر إلا شوقي" جملة قصرية، وتتكون من ثلاثة أركان.

**الأول:** المقصور، معنًى أو ذات (شخص).

**والثاني:** المقصور عليه، معنى أو ذات كذلك.

**والثالث**: أداة القصر، أو طريقه، اسمًا كان أو أداة، مثل غير وإنما.

هذه لمحة سريعة عن أسلوب القصر قدمناها إنعاشًا للذاكرة، قبل أن نأخذ في دراسة هذا الفن دراسة مفصلة.

**تعريف القصر:**

ما هو القصر؟ ويقال له: التخصيص كذلك، وهذا السؤال التمهيدي جوابه هو ذكر التعريف الجامع المانع، الذي وضعه البلاغيون لفهم حقيقة القصر، وقد عرفوه بقولهم:

القصر لغة هو الحبس، وفي الاصطلاح البلاغي هو: "تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص"[1].

**شرح هذا التعريف:**

التخصيص جَعْلُ الشيء خاصًا بأمر لا يشاركه فيه أمر آخر.

والشيء الأول هو الأمر المقصور.

والشيء الثاني هو الأمر المقصور عليه.

أما الطريق المخصوص فهو الأمر الذي حصل به التخصيص أو القصر.

فقولنا: "ما شاعر إلا شوقي"، جملة قصرية المقصور فيها هو الشاعرية، والمقصور عليه شوقي، وأداة القصر هي "ما - إلا" أي النفي والاستثناء، وهو أشهر طرق القصر ومثله من القرآن الكريم: ﴿ **مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ** ﴾[يس: ١٥].

وتحليل هذه الجملة، إلى عناصرها القصرية غير خافٍ عليك بعد ما تقدم.

وينوع القصر إلى عدة أنواع يختلف فيها موضعا المقصور والمقصور عليه

---

(١) الإيضاح (٢ ٤) شرح د/ عبد المنعم خفاجي

وهاكم بيانها مقرونًا ببيان طرق القصر.

**طرق القصر هي:**

-النفي والاستثناء.

-إنما.

-تقديم ما حقه التأخير.

-العطف بلا وبل ولكن.

-تعريف الطرفين المسند إليه والمسند.

-ضمير الفصل بين الطرفين.

وإليك الحديث عنها بالتفصيل على الترتيب المذكور.

**أولا: النفي والاستثناء:**

يقول تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾[آل عمران:١٤٤].

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعرًا أصبح الدهر منشدا

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

لا ينهض بهذا الأمر إلا جمال.

هذه أربع جُمل قصرية، طريق القصر فيها النفي (ما) والاستثناء (إلا) وإليك تحليلها: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾: "محمد" مقصور، و"رسول" مقصور عليه، و"ما وإلا" طريق القصر، ونوع القصر هنا قصر موصوف "محمد" على صفة "رسول".

وما الدهر إلا من رواة قصائدي ...

"الدهر" مقصور، و"من رواة قصائدي" مقصور عليه، والنفي والاستثناء هو طريق القصر، وهو قصر موصوف على صفة.

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

"أنت" مقصور، "إصبع" مقصور عليه، وطريق القصر: النفي والاستثناء، مع ملاحظة أن الجملة، خلت من أداة نفي صريح؛ بل الموجود هو "هل" وهي للاستفهام الإنكاري، وهو يقوم مقام النفي الصريح.

لا ينهض بهذا الأمر إلا جمال

النفي والاستثناء هو طريق القصر هنا وحرف النفي الصريح هو "لا".

"والنهوض" هو المقصور.

و"جمال" هو المقصور عليه، قصر صفة على موصوف.

لاحظ أن النفي لا يكون بـــ"ما" وخبرها بل كل الأدوات تصلح له، كالاستفهام الإنكاري، وكذلك الاستثناء لا يتوقف على "لا".

بل يكون بغير وسوى كذلك، مثل: ما جاء غير فريد. أو: ما رأيت سوى عمي. وتقوم "غير" و"سوى" مقام "إلا".

**موضع المقصور والمقصور عليه في هذا الطريق:**

في طريق النفي والاستثناء يكون موضع المقصور هو ما قبل "إلا" وموضع المقصور عليه هو ما بعد "إلا".

وكل ما تقدم من أمثلة هذا الطريق من قصر الموصوف على الصفة، أما عكسه وهو قصر الصفة على الموصوف فمن أمثلته:

-"ما شاعر إلا شوقي". المقصور هو شاعر، والمقصور عليه هو شوقي، قصر صفة على موصوف.

-"لا كريم إلا سعيد"؛ فالكرم مقصور، وسعيد مقصور عليه، قصر صفة على موصوف، ولاحظْ أن المراد بالصفة في مبحث القصر ليس النعت أو الصفة النحوية؛ بل أعمّ.

-وقد مرَّ بك هذا المثال: "هل أنت إلا إصبع" من قصر الموصوف على الصفة، والإصبع ليست صفة في الواقع؛ بل هي اسم جامد[1].

**ثانيا من طرق القصر إنما:** طريق القصر الثاني هو "إنما" وهي كثيرة الاستعمال في الأساليب القصرية، في جميع أنواع الكلام، ومن أمثلتها في الذكر الحكيم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾[الرعد: ٧].

فـ"إنما" أداة القصر، و"أنت" هو المقصور، والمقصور عليه "منذر" قصر موصوف على صفة.

-وقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر: ٢٨].

المقصور هو خشية الله، والمقصور عليه "العلماء" قصر صفة على موصوف، والمقصور -كما ترى- اسم معنى، أما المقصور عليه فهو اسم ذات.

ومنه قول الشاعر يخاطب رجلاً أنزله منـــزلة الوالد:

إنما أنت والد والأب القاطع  أحنى من واصـــــل الأولاد

والمعنى ما أنت إلا والد، والوالد حتى لو كان قاطعًا بره عن أولاده فهو أشد عطفًا عليهم ممن يصلهم من غير الآباء فـ"إنما" هي أداة القصر، و"والد" مقصور عليه، أما المقصور فهو "أنت" هذا، وينبغي أن تعلم أن المقصور في طريق "إنما" هو الذي يذكر بعدها مباشرة، أما المقصور عليه فهو المؤخر دائمًا، فإذا قلت: إنما جئت يوم الجمعة. كان المجيء هو المقصور ويوم الجمعة مقصورًا عليه، فإذا أضفت إليه قولك: صباحًا. كان المقصور عليه صباحًا، فإذا أضفت إليه قولك: راكبًا. كان المقصور عليه هو الركوب... وهكذا. فالذي يلي "إنما" مباشرة هو المقصور دائمًا. وما يأتي في آخر الكلام هو المقصور عليه، قالوا: وقد

(١) الاسم الجامد هو: ما ليس مشتقا من غيره كأسد وجمل وبحر.

أفادت "إنما" القصر؛ لأنها بمعنى النفي والاستثناء قاله المفسرون وتابعهم البلاغيون.

والفرق بين هذين الطريقين، أن النفي والاستثناء الأصل فيه أن يستعمل فيما فيه إنكار أو شبه إنكار، أما طريق إنما فيستعمل في المعلوم غير المنكر.

ولذلك ورد في القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾[البقرة:٢٥٢].

لأن وحدانية الله ﷻ من الأمور التي يجادل فيها كثير من الناس في كل عصر، ومثال "إنما" قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[النحل:١١٥].

لأن هذه الأحكام مُسَلَّمٌ بها، ولا نزاع فيها، وإن اعتقد النصارى حلَّية لحوم الخنازير، وهذا أمر يخصهم وحدهم ولا جدال فيه بينهم وبين غيرهم من المسلمين أو غير المسلمين.

**ثالثًا: ومن طرق القصر:**

**تقديم ما حقه التأخير:**

هذا هو الطريق الثالث للقصر، وهو: تقديم ما حقه التأخير كتقديم المسند على المسند إليه، وتقديم المعمول على العامل فيه.

وهاك التمثيل لذلك كله:

**- تقديم المسند على المسند إليه:**

﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾[آل عمران: ٢٦] الجار والمجرور "بيدك" هو المسند و"الخير" هو المسند إليه (المبتدأ).

فقدم المسند وكان الأصل أن يقال: الخير بيدك، والذي اقتضى هذا التقديم هو إرادة القصر، أي: الخير بيدك لا بيد أحد غيرك.

والمقصور هو "الخير" والمقصور عليه هو "يدك" قصر صفة "الخير" على

موصوف "يدك"، وقد جامع طريق التقديم هنا طريق آخر هو تعريف الطرفين.

ومنه قول الشاعر:

خالي لأنت ومن جرير خاله ينل العلاء ويكرم الأخـــوال

الجملة القصرية هي: "خالي لأنت" والأصل أن يقال: لأنت خالي، ومن أجل تحقيق القصر والاختصاص قُدِّم المسند على المسند إليه.

و"خالي" مقصور، و"أنت" مقصور عليه، قصر صفة على موصوف.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ قدم المسند في الجملتين: "لكم" على المسند إليه: "دينكم – دين" لإفادة القصر، أي دينكم مقصور عليكم لا يتعداكم لغيركم، وديني مقصور علي لا يتعداني لغيري من غير المسلمين، قصر صفة على موصوف في الموضعين ومنه أن تقول: مسلم أنا، والأصل: أنا مسلم فتقدم المسند "مسلم" على المسند إليه "أنا" لتفيد قصر الإسلام عليك، إذا لم يكن في المجلس مسلم غيرك، وهو قصر صفة على موصوف.

ومن تقديم المفعول لإفادة القصر قوله ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فلما أريد القصر فصل الضمير المتصل (الكاف) وجيء بالضمير المنفصل بدلاً منه، وقدِّم الضمير المنفصل على الفعل فصار التركيب: "إياك نعبد وإياك نستعين" أي لا نعبد إلا أنت ولا نستعين إلا بك.

وكذلك نصنع بالحال فنقول ساعيًا على الأقدام حضرت، وشاكرًا لله أمسيت. كل هذه التقديمات يلازمها القصر، إذا صدرت عن البليغ.

وبقيت في التقديم مسائل مهمة، أولاها البلاغيون عناية خاصة، هذه المسائل تتفرع عن تقديم المسند إليه إذا كان خبره جملة فعلية، ولي المسند إليه أداة نفي أو لم يله، سواء كان المسند إليه اسمًا ظاهرًا أو مضمرًا، معرفة أو نكرة.

**تقديم المسند إليه على خبره الفعلي:**

يندرج تحت هذا المصطلح مسائل كثيرة، ينبغي على الدارس أن يُلمّ بها، بل أن يحذقها؛ لأهميتها في الدرس.

أما المسند إليه فيها فيكون معرفة ونكرة، اسمًا ظاهرًا أو مضمرًا، سواء كان في الكلام حرف نفي وليه المسند إليه: أو لم يله، أو لم يكن في لكلام نفي قط، وإليك التمثيل لكل ذلك:

| | |
|---|---|
| ١- محمد قام<br>٢- محمد لم يقم | المسند إليه هنا اسم ظاهر وقد خلا الكلام من النفي، وهذا التركيب يفيد: إما القصر، وإما تقوية الحكم، عند الإمام عبد القاهر، فيفيد الاختصاص إن كان للمخاطب ظن خلاف ما أنت تقول، يعني إذا كان يظن أن محمدًا غير قائم، ويفيد مجرد تقوية الحكم إذا لم يكن للمخاطب ظن خلاف ما أنت تقول، وعند السكاكي هو لمجرد التقوية فحسب. |
| ٣- ما محمد قام | للتخصيص عند الإمام عبد القاهر ولتقوية الحكم عند السكاكي. |
| ٤- أنا قمت<br>٥- أنا ما قمت | للتخصيص وللتقوي عند عبد القاهر وللاختصاص عند السكاكي إذا قدر الكلام مقدمًا من تأخير: أي ما قمت أنا وقمت أنا. |

يعني السكاكي يشترط لإفادة القصر هنا أن يكون "أنا" مقدمًا من تأخير على أن يكون توكيدا للضمير في "قمت" فإن لم يقدر كذلك كان الكلام لمجرد تقوية الحكم.

| | |
|---|---|
| ٦- رجل قام<br>٧- رجل لم يقم | للتخصيص وللتقوي عند الإمام عبد القاهر، وللتخصيص فقط عن السكاكي إذا لم يمنع منه مانع. |
| ٨- ما رجل قام | للتخصيص عند الإمام عبد القاهر وعند السكاكي بلا شرط. |

| | |
|---|---|
| ٩- ما أنا قمت | للتخصيص فقط عند عبد القاهر ولم يشترط عند السكاكي أي شرط من تقديم أو من تأخير. |

هذه المسائل لم يذكرها البلاغيون في باب القصر بهذه الدقة، وإن لم يهملوا تقديم ما حقه التأخير.

وقد ذكرنا هذه المسائل مجتمعة في باب القصر؛ لأنها من صميم مسائله بدلاً من ذكرها مفصولة عنه في مبحث التقديم بوجه عام[1].

تردد في المسائل المذكورة أن التقديم فيها يفيد تقوية الحكم، فما وجه هذه الإفادة؟

تأمل معي هذا التحليل:

محمد قام: محمد مسند إليه (مبتدأ) وقام فعل ماض، فاعله ضمير مستتر تقديره: هو يعود على محمد، والجملة من الفعل قام والفاعل هو في محل رفع خبر المبتدأ، ومعنى هذا أن الفعل أسند إلى محمد مرتين: مرة على أنه خبر عنه، ومرة إلى ضميره؛ على أنه فاعل له، وهذا الإسناد المتكرر في قوة: محمد قام، محمد قام. وهذا يعني توكيد نسبة المسند إلى المسند إليه، وهذا هو معنى تقوية الحكم المقصودة من الكلام، أما لو قلت:

قام محمد فالفعل مسند إلى "محمد" مرة واحدة فلا تقوية للحكم فيه.

هذا، ولما كان تكرار الإسناد يفيد تقوية الحكم كما رأيت -خصه البلاغيون جميعًا بمقامات يذكر فيها هي:

قال الخطيب في الإيضاح: "ومما يدل على أن هذا التقديم يفيد التأكيد أن هذا الضرب من الكلام يجيء:

(١) انظر الإيضاح للخطيب القزويني (ص٦٠ -٦٦) شرح وتعليق د/ محمد عبد المنعم خفاجي.

-- فيما اعترض فيه شك، كأنك لم تعلم بالذي تقول، فتقول في الرد عليه: أنت تعلم أن الأمر على ما أقول.

فقولك "أنت تعلم" تكرر فيه الإسناد بقصد التأكيد؛ لأن الفعل "تعلم" أسند إلى المسند إليه مرتين كما تقدم: مرة إلى ضمير المسند إليه على أنه فاعل له، ومرة على أن الجملة من الفعل والفاعل خبر المسند إليه.

وعلى هذا جاء قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥] وفي تكذيب مدع، كقوله تعالى:﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾[المائدة: ٦١] فقوله تعالى: ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا﴾ تكذيب لقولهم "آمنا".

-وفيما يقتضي الدليل ألا يكون، كقوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[النحل:٢٠] ففي قوله تعالى:﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ دفع لقولهم أن يكون للأصنام استحابة لدعاء.

- وفيما يستغرب وينكر: فلان يدعي الكثير وهو يعيا بالقليل.

- وفي الوعد والضمان كقولك لأخيك: أنا أقضي لك حاجتك.

- وفي المدح والافتخار كقولهم: وهم يفرشون اللبد كل عشية...[1].

وقول الآخر:

هم يضربون الكبش يبرق لونه...[2]

وقول طرفه بن العبد مفتخرًا:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى  لا ترى الأدب منا ينتقر[3]

---

(١) تمامه: وأحرد سباح يبذ الحالما.

(٢) تمامه: على وجهه من الدماء سبائب.

(٣) المشتاة: الشتاء. والجفلى: الدعوة العامة. ينتقر: الدعوة الخاصة. يصف قومه ونفسه بالكرم والمحامد.

**رابعًا: ومن طرق القصر: العطف بلا وبل ولكن:**

هذا هو الطريق الرابع من طرق القصر وهو "العطف".

وللعطف أدوات كثيرة، لكن الذي يدخل معنا في باب "القصر" منها ثلاث:

العطف بـــ"لا". العطف بـــ"بل". العطف بـــ"لكن".

- ومن العطف بـــ"لا" أن تقول: جاء بكر لا خالد، قصرت المجيء على بكر ونفيناه عن خالد.

والمقصور عليه في العطف بـــ"لا" هو ما قابل ما بعد "لا" وهو هنا "بكر" لأنه يقابل ما بعد "لا" في كونها اسمية لا فعلية فإذا قلت: بكر جاء لا ذهب، كان المقصور عليه ما قابل ما بعد" لا" وهو هنا المجيء؛ لأنه قابل ما بعد "لا" في كونها فعلية لا اسمية:

- ومن العطف بـــ"بل" قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة:١٥٤].

قصر حال الشهداء على الحياة بعد الشهادة.

والمقصور عليه "هم الذين قتلوا في سبيل الله"، والمقصور هو: "أحياء" قصر موصوف على صفة، وأداة القصر هي: "بل"، ويشترط في إفادة القصر ببل أن يتقدم عليها نفي أو نهي، كما في هذه الآية، وتقول:ما قصَّر أحمد في أداء الواجب بل قام به.

"فأحمد" مقصور عليه، "وقام به" مقصور، وأداة القصر "بل".

- أما إرادة القصر بـــ" لكن" فكقوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ [الأحزاب:٤٠].

"محمد" ﷺ مقصور، و"رسول الله وخاتم النبيين" مقصور عليه.

وتقول أنت: ما جاءني علي لكن أحمد.

"فالمجيء" مقصور، "وأحمد" مقصور عليه كما يفهم من سياق الكلام.

- ويشترط في إفادة القصر بـ"لكن" أن يتقدم عليها نفي وما أشبهه، وإلا كانت لمجرد العطف.

**خامسًا: ومن طرق القصر:**

**القصر بتعريف الطرفين:** أي المسند إليه والمسند، أيًا كان التعريف، بالعَلَميّة، أو الموصولية، أو الإضمار أو الإضافة، أو كان بالألف واللام أو اسم الإشارة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ**﴾[البقرة: ٣٢]. المسند إليه في هذه الآية هو الكاف في "إنك" فهو معرف بالإضمار، والمسند هو "العليم" وهو معرف بالألف واللام.

وتعريف الطرفين طريق من طرق القصر والمقصور عليه في الآية هو: "الكاف" وهو كناية عن الله ﷻ.

والمقصور هو "العليم" وما عطف عليه ومما زاد القصر قوة هنا ضمير الفصل "أنت" وفي هذا الطريق: إذا كان أحد الطرفين ذاتًا والثاني معنًى، كان المقصور عليه هو الذات، تقدم أو تأخر، والمعنى هو المقصور تقدم أو تأخر وذلك مثل:

سعيد الكريم، والكريم سعيد، فإن "سعيد" هو المقصور عليه في "الموضعين و"كريم" هو المقصور فيهما.

ومثله: الشهداء هم الفائزون، والفائزون هم الشهداء، فإن المقصور عليه هم "الشهداء"، والمقصور "هم الفائزون" في الجملتين معًا.

وبعض البلاغيين يقول في تعريف الطرفين: إن كلا الطرفين يكون مقصورًا ومقصورًا عليه.

فمثلاً قولنا: العلماء الناس، والناس العلماء، وهما ذاتان يكون العلماء مقصورًا على الناس والناس مقصورًا على العلماء، وهذا يكون في الثروات، وفي غيرها، وهذا غير سديد.

- ومن تعريف الطرفين في القرآن الكريم قوله ﷻ: ﴿**أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[لقمان:٥]، وأولئك الثانية في الآية الكريمة هي الطرف الأول (المسند إليه)، والمفلحون هي الطرف الثاني (المسند) وهما معًا معرفتان.

"وأولئك هم" مقصور عليه "والمفلحون" مقصور أي لا مفلح غيرهم.

ومثله قوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾[البقرة:١٥٧].فأولئك الثانية هي الطرف الأول، و"هم المهتدون" هي الطرف الثاني، والمقصور في الآية الهداية، والمقصور عليه هو "أولئك" قصر صفة على موصوف.

**سادسا: ومن طرق القصر:**

ضمير الفصل، وهو الذي فصل بين متصلين، مثل الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر، فقليل من البلاغيين يرى أنه يفيد القصر إذا انفرد و لم تكن معه أداة قصر أخرى.

والصواب أنه يفيد التوكيد وحده دون القصر، مع كثرة وجوده في الكلام البليغ، كما في قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿**فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ**﴾[المائدة: ١١٧]، فضمير الفصل هو "أنت" بين كنت والرقيب وهو لإفادة التوكيد فحسب.

وكذلك قول شوقي في مدح الرسول ﷺ:

وإذا رحمت فأنت أم أو أب  هذان في الدنيا هما الرحماء

ضمير الفصل "هما" فصل بين المسند إليه: "هذان" والمسند "الرحماء"، وهو لإفادة التوكيد لا القصر، وهو الأصوب.

**أنواع القصر:**

للقصر أنواع من المهم الإحاطة بها وها نحن نذكرها مع التمثيل لها واحدًا واحدًا ليتضح للدارس أمرها:

**١- قصر الموصوف على الصفة:**

ومن أشهر أمثلته: قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾[آل عمران:١٤٤].

الآية تنفي عن محمد ﷺ كل الصفات، إلا صفة الرسالة، وهذا النوع من القصر لا يكاد يوجد؛ لأن لكل مخلوق صفات لا تحصر.

فـ"محمد" مثلاً من صفاته أنه رجل، وزوج، وأب، وعربي، ومسلم، وبشر... إلخ، فكيف ننفي عنه كل الصفات يا ترى؟

الإجابة على هذا السؤال سيترتب عليها نوعان آخران من أنواع القصر، سيأتي الحديث عنهما قريبًا -بإذن الله.

**٢- قصر الصفة على الموصوف:**

ومثاله: "لا إله إلا الله"، قصرنا صفة الألوهية على اسم الجلالة "الله" قصر صفة على موصوف، قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا؛ لأن صفة الألوهية لا يوصف بها أحد إلا الله، وإذا وصف بها غيره فعلى طريق التزوير الخالي من الصحة.

ويسمى هذا القصر: حقيقيًّا تحقيقيًّا؛ لأنه يخلو تمامًا من الشركة فيه مع الله، وسوف يتضح شأنه أكثر مما يأتي.

ومنه قول امرئ القيس:

لقد علمت سلمى وجاراتها ما قطُّ الفارس إلا أنا

قصَّر: قطَّع ومزق، والصفة المقصورة هي "التقطير"، والمقصور عليه هو "أنا" قصر صفة على موصوف.

ومنه كذلك:

وما أنا أسقمت جسمي به ... وما أنا أضرمت في القلب نارًا

في هذا البيت قصران طريقهما: تقديم المسند إليه على خبره الفعلي وَالِيًا حرف النفي، وقد تقدم الحديث عن هذا بتوسع.

والشاعر هنا ينفي عن نفسه بطريق القصر أن يكون هو الذي أحدث السقم بنفسه، وأن يكون هو الذي أشعل في قلبه النار، وإنما الذي فعل به هذين هي: المحبوبة. والجملة القصرية -مهما كانت- تنفي المعنى عن أمر وتُثبته ضمنًا لأمر آخر، كما في هذا البيت.

ولذلك لا يصح أن يقال: ما أنا أسقمت جسمي به ولا غيري؛ لأن المعنى الذي نفاه عن نفسه ثابت في الوجود، وكل أمر ثابت في الوجود لابد له من فاعل، والقصر هنا قصر صفة السقم والإضرام على موصوف.

وفي هذا البيت تعريض بمحبوبة الشاعر بأنها هي التي أسقمت جسمه بقسوتها عليه، وهجرها إياه، وأوقدت النار في قلبه من طول الحرمان.

**٣- القصر الحقيقي:**

ومن أرسخ أمثلته قولنا: "لا إله إلا الله"، وقد تقدم، وهو قصر حقيقي؛ لأنه مطابق لما في الوجود؛ إذ ليس في الوجود إله حقيقي إلا الله ﷻ.

ومثله أن تقول: ما آخر النبيين والمرسلين إلا محمد.

فهذا قصر -كذلك- مطابق للواقع في الوجود؛ لقوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾[1]. قصرت فيه

(١) عرفت أن القصر الحقيقي هو ما كان مطابقًا للواقع، أما التحقيقي فهو في قصر الصفة على الموصوف، اختصاص تلك الصفة بالموصوف بلا تأويل، وكذلك في قصر الموصوف على الصفة.

صفة آخرية النبيين، على محمد ﷺ، قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا.

وقد يقول قائل: لماذا قال "النبيين" و لم يقل المرسلين؟

والجواب: النبيون أعم من المرسلين، فلو قيل المرسلين لاحتمل المقام أنه ليس آخر النبيين، وهذا باطل واقعًا وعقيدة، أما حين قال: "النبيين" فقد تضمن المرسلين، أي خاتم النبيين وخاتم المرسلين؛ لأن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

وهذا من الإعجاز اللغوي البلاغي في كتاب الله العزيز.

وكذلك قولك: "ما أبى السجود لآدم إلا إبليس".

هذا قصر حقيقي تحقيقي؛ قصرت فيه صفة الامتناع عن السجود لآدم على إبليس اللعين، فالمقصور هو عدم السجود الذي أمر الله به، والمقصور عليه هو: إبليس، قصر صفة على موصوف.

ومنه: "ما قتل حمزة إلا وحشي" هذا كذلك قصر حقيقي تحقيقي، مطابق للواقع، قصر صفة وهي "القتل" على موصوف، وهو وحشي.

**القصر الادعائي:**

هو في قصر الصفة على الموصوف ألا تعتد بالصفات القائمة بغير المقصور عليه، وفي قصر الموصوف على الصفة ألا تعتد بصفات الموصوف غير الصفة التي قصرها عليه.

توضيح ذلك أن نقول: لا فارس إلا خالد تدعي انفراده بالفروسية غير معتد بفروسية غيره، وتنـــزلها منـــزلة العدم قصرت صفة الفروسية على موصوف هو "خالد" قصرًا ادعائيًّا، قائمًا على عدم الاعتداد بالموصوفين بهذه الصفة غير خالد، وتقول في قصر الموصوف على الصفة قصرًا ادعائيًّا:

ما خالد إلا فارس، لا شك أن "خالد" له صفات كثيرة غير الفروسية،

لكنك لم تعتدّ بها فكأنها غير موجودة فيه بالنسبة لصفة الفروسية التي بلغت فيه من الكمال درجة لا تنافس.

**القصر الإضافي:**

القصر الإضافي يكون بقصر صفة بالنظر لصفة أخرى، أو بقصر موصوف بالنظر لموصوف آخر.

فقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾ ليس القصر فيه عامًّا بحيث نثبت له صفة الرسالة وننفي عنه كل الصفات غيرها.

ولكن أثبتت له صفة الرسالة بالنظر إلى صفة واحدة أخرى؛ لأنهم لما استبعدوا موته وقتله نُزِّلوا منزلة من اعتقد أنه خالدٌ لا يموت (إله)، فأثبتت له الرسالة؛ لأنها لا تكون إلا للبشر.

فالقصر -هنا- إضافي، أي إثبات صفة بالنظر لصفة أخرى.

وتقول: إنما شوقي شاعر فقصر الشاعرية على "شوقي" بالنظر إلى صفة واحدة أخرى كالخطابة مثلاً وهذه العبارة في قوة قولك: شوقي شاعر لا خطيب.

وسمي إضافيًا: أي بالنظر إلى صفة أخرى أو موصوف آخر، وليس عامًا في كل الصفات وفي كل الموصوفين. فافهم هذا.

**٥- قصر القلب:**

إذا خاطبت أخاك قائلاً له: أنا قضيت حاجتك، وكان هو يعتقد أن الذي قضى حاجته هو فلان لا أنت، وكنت أنت فعلاً الذي قضيت حاجته كان في هذه العبارة: قصر قلب، أي قلب وتعكيس لما كان يعتقده أخوك.

**٦- قصر التعيين:**

وإذا كان أخوك مترددًا في معرفة الذي قضى حاجته، أنت أم غيرك كان

في العبارة: **قصر تعيين**، يعني تعيين الذي قضى الحاجة بعد التردد فيه.

**٧- قصر الإفراد:**

وإذا كان أخوك يعتقد أنك وفلانًا قضيتما حاجته كان في العبارة: قصر إفراد... وهكذا.

فقصر القلب يخاطب به من يعتقد العكس، وقصر التعيين يخاطب به المتردد، وقصر الإفراد يخاطب به من يعتقد الشركة، وهذا التقسيم صالح لأنواع القصر كلها.

**أسس تنويع القصر:**

تقدم أن القصر أنواع، وهنا ينبغي أن تعرف أسس تنويع القصر إتمامًا للفائدة، وهي: بالنسبة لقصر الصفة على الموصوف، وقصر الموصوف على الصفة هو النظر إلى حال الصفة والموصوف معًا، أما القصر الحقيقيّ والادعائيّ والإضافيّ فهو: النظر إلى الواقع الخارجي، وبالنسبة إلى قصر القلب والتعيين والأفراد فإن أساس هذا التنوع هو حال المخاطب، فافهم هذا فإنه مبحث مهم في درس القصر.

## إجابات نموذجية على أسئلة مقترحة

**الأسئلة:**

بيّن المقصور والمقصور عليه وأداة القصر ونوعه في العبارات الآتية:

١- أنا الذائد الحامي الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

٢- ما لنا إلا اتباع أحمدَ.

٣- وما الدهر إلا من رواة قصائدي.

٤- هل أنت إلا إصبع دميت.

٥- ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه﴾[البقرة:٢٥٥].

٦- ﴿وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾[القصص ٨٠].

٧- ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[البقرة.١١].

٨- ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[الحجرات:٧].

٩- أنت الصديق الوفي.

١٠- ما أنت بغيض إلينا بل أنت محبوب.

**الإجابة:**

١- "وإنما يدافع": أداة القصر "إنما"، والمقصور: "يدافع"، والمقصور عليه: "أنا"، قصر صفة على موصوف، وهو قصر ادعائي.

- "أنا الذائد": أداة القصر تعريف الطرفين، والمقصور: "الذائد"، والمقصور عليه: "أنا"، قصر صفة على موصوف، قصر ادعائي.

٢- "مالنا": هو المقصور، "اتباع" مقصور عليه، أداة القصر النفي والاستثناء قصر صفة على موصوف، قصر حقيقي.

٣- "الدهر" مقصور، "من رواة" مقصور عليه. وطريق القصر النفي والاستثناء قصر موصوف على صفة ادعائي.

٤- "هل أنت": المقصور "أنت" المقصور عليه "إصبع" موصوف على صفة، قصر حقيقي وأداة القصر النفي والاستثناء.

٥- "من ذا الذي": المقصور: الشفاعة، والمقصور عليه: إلا بإذنه، أداة القصر: النفي والاستثناء قصر صفة الشفاعة على موصوف هو الذي أذن له الله.

٦- المقصور "يلقّاها"، يعني: الحسنة المقصور عليه "الصابرون". قصر صفة على موصوف، وطريق القصر النفي والاستثناء.

٧- إنما أداة القصر، المقصور نحن، المقصور عليه هو الإصلاح. فهو موصوف على صفة. أداة القصر هي: إنما، ادعائي.

٨- "أولئك هم" المقصور عليه: "هم" المقصور: "الراشدون". طريق القصر تعريف الطرفين، قصر صفة على موصوف.

٩- "أنت الصديق الوفي". المقصور: "أنت" المقصور عليه: "الصديق" أداة القصر: تعريف الطرفين، صفة على موصوف.

١٠- "ما أنت بغيض إلينا بل أنت محبوب" "أنت" مقصور "محبوب" مقصور عليه، أداة القصر "بل" قصر موصوف على صفة.

## ثانيًا: الفصل بين الجمل

الفصل والوصل فنّانِ بلاغيّان من علم المعاني، وهما خاصان بنوع من الجمل هي التي ليس لها محل من الإعراب، كالجملة الابتدائية، والتفسيرية، وصلة الموصول والجملة، الواقعة جوابًا لشرط غير جازم والجملة الواقعة جوابًا للقسم، وبنوع خاص من حروف العطف هو الواو دون غيره.

وقد جرت عادة البلاغيين أن يتحدثوا عن فنـــيْ الفصل والوصل في مقام واحد، أو فصلٍ واحد، أما نحن فقد آثرنا هنا أن ندرس كل فن منهما في مبحث واحد؛ لأن في ذلك تيسيرًا لدراستهما، وتقريبًا للفهم.

**تعريف الفصل:**

هو ترك العطف بالواو بين جملتين لا محل لهما من الإعراب؛ لداع اقتضى ذلك الترك (عدم العطف)

وهذا الداعي يراعى وجوده في الجملتين المفصولتين معًا.

**والأسباب التي يترتب عليها الفصل بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب هي:**

**كمال الانقطاع:**

أي الانقطاع بين الجملتين المفصولتين، أي اللتين لم يتوسط بينهما حرف العطف "الواو".

– ويتحقق هذا الانقطاع بينهما إذا كانت إحداهما خبرية، والثانية إنشائية نحو أن تقول: "سافر أخي رعاه الله". فإن جملة "سافر" خبرية لفظًا ومعنى، وجملة "رعاه الله" خبرية لفظًا إنشائية معنى؛ لأنها في قوة "اللهم ارعه".

وكذلك قولك: "اجتهد فلان في طلب العلم، إلحق به". فالجملة الأولى

خبرية لفظًا ومعنى، والثانية إنشائية لفظًا ومعنى؛ لذلك فصل بينهما؛ لأن بين الجملتين كمال الانقطاع؛ لأن الخبر مغاير تمامًا للإنشاء.

ومنه قول الشاعر:

وقال قائلهم أرسوا نـــزاولها  فحتف كل امرئ يجري بمقدار

فصلت جملة "نـــزاولها"؛ لأنها خبرية لفظًا ومعنى عن جملة: أرسوا، لأنها إنشائية لفظًا ومعنى.

وكذلك فصلت جملة، "اهدنا الصراط المستقيم " عما قبلها "إياك نعبد وإياك نستعين"؛ لأن ما قبلها خبرية لفظًا ومعنى، و"اهدنا" إنشائية لفظًا ومعنى، فاختلاف الجملتين في الخبرية والإنشائية هو الصورة الأولى من صور كمال الانقطاع، والعطف بالواو يقتضي التناسب بين الجملتين، ولا تناسب في كمال الانقطاع.

- ومن صور كمال الانقطاع أن لا يكون بين الجملتين تناسب، في المسند إليه، أو المسند أو فيهما معًا.

مثل قولنا: العلماء ورثة الأنبياء، أبوك سافر.

هاتان الجملتان اتفقتا في الخبرية، ومع هذا فبينهما كمال الانقطاع؛ لأنهما لا تناسب بينهما لا في المسند إليه ولا في المسند؛ لذلك لم تعطف الثانية على الأولى، لكمال الانقطاع.

- ومن صور كمال الانقطاع أن يكون في عطف جملة على ما قبلها ما يؤدي إلى فهم غير المقصود، وذلك مثل قول الشاعر:

وتظن سلمى أنني أبغي بها  بدلاً، أراها في الضلال تهيم

لم يعطف جملة "أراها في الضلال تهيم" على أبغي؛ لأن عطفها عليها يوهم

عطفها على تظن، وهذا العطف يؤدي إلى خلاف المراد؛ وذلك لأن سلمى لها ظن واحد، هو أن الشاعر يفكر في غيرها بدلاً منها.

ولو توهم متوهم أن جملة "أراها" معطوفة على جملة "تظن" لفهم من هذا أن سلمى لها ظنان:

الأول: أن الشاعر يحب غيرها.

الثاني: أن الشاعر يراها تميم في الضلال، مع أنها لم تظن هي هذا الظن الثاني، بل هو كلام مستأنف من كلام الشاعر.

وهذه الصورة معدودة من صور كمال الانقطاع، لأنه منع العطف فيها مانع طارئ.

**كمال الاتصال:**

ومن دواعي الفصل بين الجمل كمال الاتصال، وهو عكس كمال الانقطاع، وله عدة صور، بيانها كالآتي:

- أن تكون الجملة الثانية مُنـــزّلة مَنـــزلَة التوكيد مما قبلها كقول الشاعر:

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا  وإلا فكن في السر والجهر مسلمًا

فإن جملة "لا تقيمن عندنا" منـــزّلة منـــزِلة التوكيد من جملة "ارحل" لأن معنييهما واحد، فالأولى جملة أمْر، والثانية جملة نهي.

هذا هو كمال الاتصال والعطف بالواو يقتضي المغايرة؛ لذلك امتنع العطف لكمال الاتصال بين الجملتين، والجملة الثانية توكيد معنوي للجملة الأولى.

ومن التوكيد المعنوي قول الشاعر:

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا  لكـــن يمـــر عليها وهو منطلق

فجملة: "لا يألف الدرهم" أكدت بقوله: "لكن يمر عليها" فالجملتان معناهما واحد، أكدت الثانية معنى الأولى.

وجملة "لا يألف" لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جملة "ابتدائية".

وكذلك الحال في الشواهد التي سبقتها.

- ومن الفصل لكمال الاتصال على سبيل التوكيد قوله تعالى: حكاية عن نسوة يوسف عليه السلام: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:٣١]. فقوله: "إن هذا إلا ملك كريم" يتضمن توكيدًا لقوله: "ما هذا بشرًا"؛ وذلك أنه إذا كان ملكًا لم يكن بشرًا.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة:٦]. فقوله: "لا يؤمنون" توكيد لقوله: "سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم"، وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[البقرة:١٤]. فقولهم: "إنما نحن مستهزئون" توكيد لقوله "إنا معكم".

- ومن صور كمال الاتصال أن تُنزل الجملة الثانية منزلة عطف البيان مما قبلها، وذلك كثير، وبخاصة في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾[الحجر:٦٦]؛ لأن جملة "وقضينا إليه ذلك الأمر" فيها بعض الغموض، فجاء قوله تعالى: "أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين" مبينًا وشارحًا للأمر، والبيان بعد الإبهام له حلاوة في النفوس لا تخفى على المتذوقين.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى﴾[طه:١٢٠]؛ وذلك لأن قول اللعين: "هل أدلك على شجرة الخلد" تفسير وبيان لقوله تعالى: "فوسوس إليه الشيطان" والسر في ترك

العطف أن التفسير والمفسَّر والبيان والمبيَّن شيء واحد، والعطف بالواو، كما تقدم يتضمن مغايرة المعطوف للمعطوف عليه، فوجب الفصل.

- ومن صور كمال الاتصال أن تنـــزل الجملة الثانية منـــزلة البدل مما قبلها.

وذلك كقوله تعالى:﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾[الشعراء: ١٣٢-١٣٣]، فجملة "أمدكم بأنعام وبنين" بدل بعض من كل من قوله: "أمدكم بما تعلمون"، والبدل سواء كان بدل كل من كل، أو بدل بعض من كل، شيء واحد هو والمبدل منه، كالشيء الواحد لا يعطف على نفسه، والعطف بالواو يقتضي المغايرة، ولا مغايرة بين البدل والمبدل منه.

ومنه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فالجملة الثانية نـــزلت منـــزلة بدل الكل من الكل مما قبلها.

- ومن صور كمال الاتصال قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[آل عمران ٩٧]

فجملة: "من استطاع إليه سبيلا" بدل بعض من كل، من "ولله على الناس حج البيت"؛ لأن المستطيعين السبيل بعض الناس لا كل الناس.

- ومن صور كمال الاتصال: بدل الاشتمال، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس:٢٠-٢١].

الجملة "قال يا قوم..." لا محل لها من الإعراب، لم تعطف عليها جملة "اتبعوا من لا يسألكم أجرًا..."؛ لأن بين الجملتين كمال الاتصال؛ لأنها بدل اشتمال مما قبلها، والبدل أيًا كان... هو والمبدل منه شيء واحد.

- **شبه كمال الاتصال**، ويسمى: الاستئناف البياني كذلك، سبب من أسباب الفصل بين الجمل، وضابطه البلاغي هو: أن تُنـــزَّل الجملة، الثانية

منـــزلة جواب عن سؤال مقدر تضمنته الجملة الأولى.

ومن أمثلته القرآنية قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

لما قال: "وما أبرئ نفسي" تضمنت هذه الجملة سؤالاً مقدرًا لا صورة له في الكلام، بل كأن سائلاً سأله، ولماذا لا تبرئ نفسك؟ فقال: "إن النفس لإمارة بالسوء".

فكان هذا هو الجواب عن ذلك السؤال فبين الجملتين شبه كمال الاتصال وسر فصل جواب السؤال المقدر هنـ تنـــزيل السؤال المقدر منـــزلة السؤال المصرح به، فهو لا يُعطف عليه جوابه، وكذلك السؤال المقدر.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ﴾ [هود:٦٩]؛ لأن الجملة الأولى: "قالوا سلامًا" تضمنت سؤالاً تقديره: ماذا قال إبراهيم عليه السلام؟

- فجاءت جملة "قال سلام"، جوابًا عن هذا السؤال، ففصلت عن الأولى كما يفصل الجواب عن السؤال الصريح، وهذا كثير في القرآن الكريم، ويرى الإمام عبدالقاهر الجرجاني: أن كل "قال" في القرآن فصل عما قبله فهو استئناف بياني، يعني جوابا عن سؤال مقدر، حتى ولو سبقه سؤال صريح؛ وذلك لأن السؤال الصريح يثير في النفس ذلك السؤال المقدر.

ومن شبه كمال الاتصال قول الشاعر:

وما عفت الديار له محلاً  عفاه من حدا بهمُ وساقا

لما نفى أن تكون الرياح هي التي عفت محله -دمرته- تولد عن هذا الكلام سؤال تقديره: إذن فمن الذي عفاه؟ فجاءت الجملة "عفاه من حدا بهم وساقا" مفصولة عما قبلها لشبه كمال الاتصال، يعني: الذي عفا المحل محبُّوه الذين حدوا به مطيهم وساقوها حوله.

وهذا كناية عن كثرة محبيه، وكثرة شوقهم إلى دار المحبوب.

وكذلك قول الشاعر:

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

لما قال: "عليل"، تولد عن هذا القول سؤال تقديره:

ما سبب علتك التي تشكو منها؟

قال: سهر دائم.

ففصلت الجملة عما قبلها؛ لأنها جواب ذلك السؤال.

فبين الجملتين (السؤال المقدر وجوابه) شبه كمال الاتصال، أو الاستئناف البياني كما عرفت من قبل، وقد مر بنا هذا الشاهد في مبحث حذف المسند إليه والمسند.

هذا، وقد تكون الجملة، التي تولد عنها السؤال محذوفة، فتعامل معاملة المذكورة ومثالها:

زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف

أي لهم عشرة طيبة، وليس لكم عشرة طيبة

فالجملة التي تولد عنها السؤال محذوفة تقديرها: كذبتم في ادعائكم أن قريشًا إخوتكم، والسؤال المقدر هو: ولماذا كذبنا؟ قال: لهم إلف وليس لكم إلاف؛ ولذلك فصلت جملة "لهم ألف"، ومثل هذا قول الشاعر:

ملكته حبلى ولكنه ألقاه من زهد على غاربي

وقال إني في الهوى كاذب انتقم الله من الكاذب

تولد عن جملة "إني في الهوى كاذب" سؤال تقديره.

ماذا تقول في هذه التهمة التي اتهمك بها غريمك؟

فقال: انتقم الله من الكاذب. والمرء لا يدعو على نفسه، ففهم من هذا الكلام أن غريم الشاعر هو الكاذب، بدليل الدعاء عليه بأن ينتقم الله منه، لذلك فصلت جملة الجواب عما قبلها لشبه كمال الاتصال.

وقال شاعر آخر:

زعم العواذل أنني في غـــمرة  صدقوا ولكنْ غمرتي لا تنقضي

لما قال: "زعم العوازل"، تخيل أن سائلاً سأله: هل صدقوا أم كذبوا؟ فقال صدقوا.

ومثال شبه الاتصال، أو الاستئناف البياني من الحديث النبوي قوله ﷺ: "**قاتل الله اليهود: اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**"[1].

قاتل الله اليهود، هذا دعاء عليهم بالهلاك قد تولد عن هذه الجملة سؤال تقديره: لماذا استحق اليهود هذا العقاب؟

فكان الجواب: "اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، ففصلت هذه الجملة عما قبلها؛ لأنها استئناف.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب النهي عن بناء المساجد على القبور (١/ ٣٧٦)(٢٠)، عن أبي هريرة بنحوه.

## إجابات نموذجية على أسئلة مقترحة

الأسئلة:

١- لا تحسبَنْ هندًا لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند

٢-﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾.

٣- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِه إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّه أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

٤- تعاللت كي أشجى وما بك علة تريدين قتلي، قد ظفرت بذلك

٥- هيهات أن يأتي الزمان بمثله إن الزمـــان بمـــثله لبخيل

٦- قال لـــي إن رقيـــبي سيئ الخـــلق فـــداره

قلت دعني وجنبك نـــ جنة حـــفت بالمكـــاره

الإجابة:

١- "لا تحسبن هندًا..." فصلت عنها جملة "كل غانية هند"؛ لأن بين الجملتين كمال الاتصال، فالثانية توكيد للأولى.

٢- فصلت جملة "مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا" عن جملة "وما كانوا مهتدين"؛ لأن الجملة الثانية توكيد للأولى، فبين الجملتين كمال الاتصال.

٣- فصلت جملة: "قالوا أتتخذنا هزوًا" لشبه كمال الاتصال؛ لأن الجملة الثانية جواب عن سؤال مقدر كما تقدم.

وكذلك جملة: "قال أعوذ بالله..." كأن سائلاً سأل: فماذا قال موسى؟

٤- فصلت جملة "قد ظفرت بذلك" عن جملة تريدين؛ لأنها تأكيد لما قبلها.

٥- فصلت جملة "إن الزمان بمثله لبخيل" عما قبلها لشبه كمال الاتصال؛ لأنها جواب عن سؤال مقدر هو: لماذا لا يجود الزمان بمثله؟

٦- "قلت دعني"، مفصولة عما قبلها لشبه كمال الاتصال؛ لأنها جواب عن سؤال مقدر.

## ثالثًا: الوصل بين الجمل

الوصل بين الجمل قسيم الفصل بينها، وشروطهما واحدة:

- أن يكون الوصل بالواو دون غيرها من أدوات العطف.
- وأن تكون الجملتان المتعاطفتان لا محل لهما من الإعراب.
- وأن يدعو للفصل داع في معنى الجملتين أو في نوعيهما.

وقد تقدم أن دواعي الفصل بين الجمل هي:

كمال الاتصال بصوره التي درسناها في الفصل الثاني بالتفصيل.

وكمال الانقطاع بصورتيه.

وشبه كمال الاتصال وله صورة واحدة، وهي أن تتضمن الجملة الأولى سؤالاً مقدرًا تكون الجملة الثانية هى الجواب عنه.

ألا يكون بين الجملتين تناسب، وقد مر بنا تفصيل ذلك بكل وضوح.

أما الوصل بين الجمل فله داعيان بلاغيان:

**الأول: التوسط بين الكمالين:**

أي بين كمال الاتصال، وكمال الانقطاع فهو حالة وسطى كما ترى إذا أدى العطف إلى غير المراد من الكلام.

وهذه الصورة نظير ترك العطف (الفصل) التي تقدمت في الفصل الثاني، ومثالها:

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلاً  أراهـــا في الضـــــلال تهيم

فارجع إليها إن شئت.

ومعنى "التوسط بين الكمالين": هو أن تتفق الجملتان في الخبرية أو في الإنشائية، فتكونان خبريتين، أو تكونان انشائيتين لفظًا ومعنى.

ففي هاتين الحالتين تعطف الثانية على الأولى باتفاق ما لم يمنع من العطف مانع.

أمثلة الوصل لاتفاق الجملتين في الخبرية:

﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:١٣-١٤] وصلت الجملة (وإن الفجار) بجملة (إن الأبرار)؛ لأن كلاً منهما خبرية لفظًا ومعنى فكانت العلاقة بينهما هي التوسط بين الكمالين.

وقوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

وصلت جملة: "والله غني حليم" بجملة: "قول معروف ومغفرة"؛ لأن كلاً من الجملتين خبرية لفظًا ومعنى، فوجب الوصل بينهما بلاغة.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران: ١٢٩]، في هذه الآية الكريمة، أربع جمل اتفقت في الخبرية لفظًا ومعنى:

الأولى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[النساء: ١٧٠].

الثانية: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[آل عمران:١٢٩].

الثالثة: ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾[البقرة:٢٨٤].

الرابعة: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[البقرة:٢١٨].

والثانية منها مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

وقد وصلت بها الجملتان، الثالثة والرابعة فعطفتا عليها بالواو؛ لأن بين هذه الجمل علاقة التوسط بين الكمالين؛ لاتفاقها في الخبرية في اللفظ والمعنى.

ولم تعطف الثانية على الأولى لعدم التناسب؛ لأن الأولى بشأن عام من شئون الله ﷻ، والثلاث التي بعدها شئون خاصة؛ ولأن الأولى مقيدة بقيد هو القصر الذي طريقه تقديم المسند على المسند إليه.

ومنه هذه الآيات: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾[القمر: ١-٤].

تحقق في هذه الآيات شرط التوسط بين الكمالين، فتوسطت الواو فيها، عاطفة اللاحق على السابق؛ لأن كلاً منها خبرية في اللفظ والمعنى بدءاً من "وانشق القمر" وانتفاء عدم التناسب بينها.

وإذا جربت سقوط "الواو" بينهما ظهر حسن وجودها، انظر مثلاً لو قلت:

اقتربت الساعة انشق القمر، وهكذا تجد ذكر الواو بين هذه الجمل كلها هو معقد الحسن، وتمام البلاغة.

**أمثلة الجمل الإنشائية:**

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة: ١١٩].

إذ اعتبرنا العطف (الوصل) بادئًا من قوله تعالى: "وكونوا مع الصادقين" كانت الجملة المعطوف عليها "اتقوا الله" وهما جملتان لا محل لهما من الإعراب؛ لأن الأولى جملة ابتدائية، لأنها مستأنفة، والثانية تابعة لها.

وقد اتفقت هاتان الجملتان في الإنشائية، فكل منهما فعل أمر، فكانت العلاقة بينهما هي: **التوسط بين الكمالين**، وهو يقتضي الوصل بينهما، وقدمت التقوى على الصدق؛ لأنها أعم منه.

ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٦].

في هذه الآية الكريمة توالت الجمل الإنشائية التي لا محل لها من الإعراب،

والعلاقة بينها هي التوسط بين الكمالين؛ لذلك جاءت موصولة بالواو... وهكذا.

﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً﴾.

- الجملة الأولى نهي، والثانية مثلها، والجملة الثالثة: وما عطف عليها فعل أمر، واعف عنا، واغفر لنا، وارحمنا، أما جملة "أنت مولانا" فهي جملة خبرية لذلك امتنع عطفها على ما قبلها؛ لأن الخبر لا يعطف على الإنشاء، ولا الإنشاء يعطف على الخبر، إلا قليلاً.

ومن شواهد العطف بين الجمل من غير القرآن ما يأتي:

دَع عنك لومي فإن اللوم إغراءُ ... وداوني بالـــتي كانت هي الداء

هذا القول من شعر أبي نواس الخليع، يرد به على من لامه على شرب الخمر، قائلاً دع لومي على شربها وآتني بها، فإنها هي الدواء.

وفي البيت جملتان إنشائيتان العلاقة بينهما التوسط بين الكمالين هما:

"دَعْ": فعل أمر.

"داوني": فعل أمر كذلك.

وقد وصل بينهما بالواو كما ترى.

وقال آخر:

أفِدْ طبعك المكدود بالفكر راحة ... يجم، وعـــلله بشيء من المزح

هذا البيت من شعر الحكمة، يوجه فيه الشاعر نصيحة، لمن يجهد فكره طويلاً، فيقول له: امنح عقلك راحة يسترد بها نشاطه، وعلله: يعني: سلِّيه بقليل من المزح؛ لأنه يعيد للفكر قوته ونشاطه.

وقد جاء في البيت جملتان إنشائيتان لفظًا ومعنى، وهما:

"أفِدْ": فعل أمر.

"علله": فعل أمر كذلك.

ولما كانت العلاقة بين هاتين الجملتين هي التوسط بين الكمالين، عطف الثانية على الأولى بـ"الواو"، وفاء بحق هذه العلاقة.

ومن أمثلة الجمل الخبرية من غير القرآن ما جاء للدارمي من شعر الحماسة:

لحافي لحاف الضيف والبيت بيته ... ولم يلهني عنه غزال مقنع

أحدثه، إن الحديث من القرى ... وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

في البيت الأول وصلت جملة "البيت بيته" بجملة: "لحافي لحاف الضيف" لأن بينهما **التوسط بين الكمالين**، حيث إنهما اتفقتا في الخبرية أما جملة "إن الحديث من القرى" ففصلت عن جملة "أحدثه"؛ لأنها نزلت منها منزلة جواب لسؤال قد تضمنته جملة "أحدثه" كأن قائلاً قال ولماذا تحدثه؟ فالعلاقة بينهما شبه كمال الاتصال، أما جملة "ولم يلهني عنه غزال مقنع" فوصلت بجملة "لحافي لحاف الضيف" كذلك للتوسط بين الكمالين.

أما جملة "وتعلم نفسي" فوصلت بجملة، "أحدثه" **للتوسط بين الكمالين** كذلك، ومنه قول أبي عبادة البحتري يمدح المتوكل على الله:

الله أعطاك المحبّة في الورى ... وحباك بالفضل الذي لا ينكر

ولأنت أملأ في العيون لديهم ... وأجلّ قدرًا في الصدور وأكبر

دقق النظر في البيتين تجد فيهما ثلاث جمل وصلت بالواو؛ لأن بينها التوسط بين الكمالين، وهي لا محل لها من الإعراب.

الجملة الأولى:

"الله أعطاك"... جملة ابتدائية.

"وحباك"... موصولة بما قبلها.

"ولأنت أملأ":... موصولة بما قبلها.

لأن هذه الجمل اتفقت في الخبرية، ولم يمنع من العطف فيها مانع، فكان من الحتم عطف اللاحق منها على السابق عليها.

**الثاني: كمال الانقطاع:**

بقيت صورة أخرى للوصل بين الجمل، وهي أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع لاختلافهما في الخبرية والإنشائية، ولكن إذا فصلنا الثانية عن الأولى أدى الفصل إلى خلاف المقصود من الكلام فنعدل عن الفصل إلى الوصل لاستقامة المعنى، وذلك مثل أن يقول رجل لآخر: ألا تنـــزل عندنا لتستريح؟

فيقول: لا وأكرمك الله، هاتان الجملتان كان الأصل فيهما الفصل هكذا:

لا أكرمك الله، فـــ"لا" رمز إلى جملة خبرية تقديرها –مثلاً-: لا أستطيع النـــزول، فاكتفينا بـــ"لا" اختصارًا وقلنا "لا".

والجملة الثانية خبرية لفظًا إنشائية معنى معناها: أكرم هذا الرجل يا الله، ولو قلنا: لا أكرمك الله لوقع في الظن أن النفي بـــ"لا" مسلط على الجملة الدعائية فيتحول الكلام من دعاء للرجل إلى دعاء عليه، وهذا غير مراد، ولدفع هذا الفهم غير السديد وصلنا بين الجملتين فقلنا: لا وأكرمك الله؛ ليكون حرف الوصل "الواو" مانعًا من تسلط المنفي على الجملة التي بعده.

وكثيرًا ما يقع الناس في أحاديثهم اليومية في هذا الخطأ، ولا يفطنون إلى موقع هذه الواو من البلاغة وسلامة الأداء.

ومثل هذه العبارة قول العامة: لا شكرًا، قصدهم أن يوجهوا الشكر إلى المخاطب، ولكن إسقاط الواو من الكلام يعرضه للفساد، وقد يدرك العامة هذا المعنى، ولكنهم لا يهتدون إلى كيفية تحاشيه.

**ولكن لماذا الواو خاصة؟**

تقدم أن المعوّل عليه في الفصل والوصل هو حرف العطف "الواو" دون أدوات العطف الأخرى، فما هو السر في هذا؟

السر أن أدوات العطف غير "الواو" لها معان خاصة، تفهم منها بمجرد ذكرها في التراكيب، ولا تحتاج إلى قرينة أخرى فـ"الفاء": تفيد الفورية والترتيب كما إذا قلت: جاء علي فخالد، أي أن مجيء خالد كان بعد مجيء علي، وفي إثره دون مسافة زمنية فاصلة بينهما.

كذلك إذا قلت: توضأت ثم صليت، أفادت "ثم" أن الوضوء كان قبل الصلاة بفترة من الزمن؛ لأن "ثم": تفيد الترتيب مع التراخي.

وهكذا بقية أدوات العطف: أما الواو فليست لها معان وضعية تفاد من مجرد ذكرها في التراكيب، فهي للعطف مطلقًا، يعطف بها اللاحق على السابق، والمتصاحبان، ويعطف بها السابق على اللاحق.

لذلك احتاجت إلى قواعد خاصة بها وهي العلاقات بين الجمل التي مر بنا ذكرها من كمال الانقطاع، وكمال الاتصال وشبه كمال الاتصال في الفصل بين الجمل، وكان كل ذلك سببًا في سقوط الواو من الكلام.

والتوسط بين الكمالين سبب في الوصل بين الجمل.

وقد عرف من دراسة هذه الأساليب أن العطف بالواو وترك العطف خاص بالجمل التي لا محل لها من الإعراب، ولا يدخل بين المفردات، لأن محل الفصل والوصل لا شأن لها بها.

**ولماذا الجمل التي لا محل لها من الإعراب؟**

الجمل التي لا محل لها من الإعراب فيها غموض يحتاج إلى كشف، وقد

تكفل بهذا الكشف الفصل والوصل، اللذان يحددان حقيقة تلك الجمل والعلاقات بينها؛ إذ يكفي أن تعلم أن هذه الجملة -إذا كانت مفصولة عما قبلها- يكفي أن تعرف أنها منـــزّلة منـــزلة التوكيد مما قبلها، أو البدل، أو عطف البيان.

أما الجمل التي لها محل من الإعراب فأمرها واضح من مجرد النظر في التركيب الذي هي فيه، إذ يكفي أن تعرف أنها خبر لما قبلها أو صفة أو حال.

فمثلاً قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ تدرك بسرعة، إن جملة "يقبض" خبر عن "الله".

وإن جملة "يبسط" لما عطفت عليها بالواو أشركتها في الخبرية عن "والله".

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ وردت فيه جملتان: الأولى خبر عن "الله"، والثانية عطفت عليها لتشركها في الخبرية عن "الله" ﷻ.

وتقول: جاء صديقي وهو يضحك، فإن جملة "وهو يضحك" جملة حالية.

وتقول: رأيت رجلاً يشع النور من وجهه.

فإن جملة "يشع" وقعت صفة لـــ"رجلاً"، وهكذا تجد الجمل التي لها محل من الإعراب لا يخفى عليك شأنها؛ لذلك كانت في غنى عن أدوات تجلي أمرها.

وهذه الجمل لها ضابط عند البلاغيين أو تعريف هو:

أن الجمل التي لا محل لها من الإعراب هي الواقعة موقع الاسم المفرد، يعني أنه من اليسير أن تحولها إلى مفرد، مثل: الله قابض باسط في: "والله يقبض ويبسط".

وتقول في "وهو يضحك" وهو ضاحك، هذا وفي الوصل بين الجمل خاصة يشترط وصف جامع بين الجملتين اللتين تعطف إحداهما على الأخرى، والجامع هو المناسبة؛ ولذلك: أجمع النقاد على تخطئة....

لا والذي هو عالم أن النوى صَبْرٌ، وأن أبـــا الحسين كريم

لأنه لا مناسبة بين علم الله بمرارة النوى وكرم أبي الحسين.

وحاول بعض المتعجلين أن يروا عدم المناسبة التي تصحح العطف في قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

على أساس تفاوت الجمل المعطوفة والمعطوف عليها في المسند إليه وفي المسند، وهذا قصور عظيم منهم؛ لأن المناسبة بين هذه الجمل لا تحتاج إلى إيضاح، والجامع الذي يجمع بينها: أن هذه الآيات التي يلفت القرآن الأنظار إليها تشترك جميعها في الدلالة على قدرة الله الفائقة في المخلوقات، التي تستقطب مدارك العقول والأفهام، فالإبل -المدوء بها- خلقها الله على أنماط فريدة في مشيها وحملها وصبرها الطويل وقوة احتمالها، وكذلك الجبال والسماء والأرض، إنها مخلوقات من أكبر دعائم الإيمان، وهي كلها آيات بالغة لله ﷻ، فليس بينها تنافر أو عدم مناسبة؛ لأنها تتضافر على بث العظة والاعتبار في القلوب، والإقناع في العقول، والإمتاع في المشاعر، ولكن كثيرًا من الناس عن هذا غافلون.

والقرآن كله -مهما تنوع عرضه وبيانه- مشكاةٌ مضيئة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

## خلاصة الوحدة الخامسة

- القصر هو تخصيص معنىً بذات، أو ذات بمعنىً.
- القصر له ثلاثة أركان المقصور، والمقصور عليه، وأداة القصر.
- طرقه (أدواته): النفي – الاستثناء – إنما – التقديم – التأخير – العطف بلا وبل ولكن – تعريف الطرفين (المسند إليه والمسند).

**أنواع القصر:**

- قصر صفة على موصوف. – قصر موصوف على صفة.
- قصر حقيقي. – قصر ادعائي.
- قصر قلب. – قصر تعيين. – قصر إفراد.

المقصور في النفي والاستثناء هو ما قبل حرف الاستثناء، والمقصور عليه هو ما بعده.

المقصور في "إنما" هو ما وقع بعدها مباشرة، والمقصور عليه هو المتأخر.

المقصور عليه في العطف بـ"لا" هو ما قابل ما بعدها.

المقصور عليه في "لكن" هو ما وقع بعدها.

المقصور عليه في "بل" هو ما وقع بعدها.

- فصل هو ترك العطف بالواو بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب للأسباب الآتية:
- كمال الانقطاع، ويكون باختلاف الجملتين خبرًا وإنشاءً. أو لعدم المناسبة بين الجملتين.
- كمال الاتصال بأن تنزل الجملة الثانية منزلة التوكيد، أو البدل، أو عطف البيان مما قبلها.
- شبه كمال الاتصال بأن تنزل الجملة الثانية منزلة جواب على سؤال مقدر تضمنته الجملة الأولى.
- ومن دواعي الفصل أن يكون عطف الجملة على ما يصح عطفها عليه مؤديًا إلى فهم غير المقصود.

# اختبار الوحدة الخامسة

## أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

**ضع علامة(✓)أمام العبارة الصحيحة وعلامة(×)أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:**

١- القصر هو تخصيص معنى بذات، أو ذات بمعنى.

٢- أدوات القصر هي: النفي والاستثناء، وإنما.

٣- للقصر أنواع عدة هي: قصر صفة على موصوف وعكسها، وحقيقي، وادعائي، وقلب، وتعيين، وإفراد.

٤- للقصر أنواع عدة هي: قصر صفة على موصوف وعكسها فحسب.

٥- للقصر أنواع عدة هي: حقيقي وادعائي، وقلب، وتعيين فحسب.

٦- المقصور في "النفي والاستثناء"، هو: ما قبل حرف الاستثناء والمقصور عليه هو ما بعده.

٧- المقصور في "النفي والاستثناء"، هو: ما بعد حرف الاستثناء والمقصور عليه هو ما قبله.

٨- المقصور في "إنما" هو ما وقع بعدها مباشرة والمقصور عليه هو المتأخر.

٩- المقصور عليه في العطف "بلا" هو ما قابل ما بعدها.

١٠- المقصور عليه في "لكن" هو ما وقع بعدها.

١١- المقصور عليه في "بل" هو ما وقع بعدها.

١٢- الفصل هو ترك العطف بالواو بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب.

١٣- كمال الاتصال يكون بأن تنزل الجملة الثانية منزلة التوكيد، أو البدل، أو عطف البيان مما قبلها.

١٤-كمال الاتصال يكون بأن تنـــزل الجملة الثانية منـــزلة جواب على سؤال مقدر تضمنته الجملة الأولى.

١٥-شـــبه كمال الاتصال يكون بأن تنـــزل الجملة الثانية منـــزلة جواب على سؤال مقدر تضمنته الجملة الأولى.

١٦- شـــبه كمال الاتصال يكون بأن تنـــزل الجملة الثانية منـــزلة التوكيد أو البدل أو عطف البيان مما قبلها.

١٧- مـــن دواعـــي الفصل أن يكون عطف الجملة على ما يصح عطفها عليها مؤديًا إلى فهم غير المقصود.

**ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:**

**١- القصر هو:**

أ- تخصيص معنى بذات. ب- تخصيص ذات بمعنى. ج- كلاهما معًا.

**٢- للقصر:**

أ- ركنان اثنان. ب- ثلاثة أركان. ج- أربعة أركان.

**٣- طرق القصر وأدواته هي:**

أ- النفي والاستثناء، وإنما، والتقديم والتأخير.

ب- العطف بلا، وبل وتعريف الطرفين.

ج- كلاهما معًا.

**٤- للقصر أنواع هي:**

أ- قصر صفة على موصوف وعكسها، وقصر حقيقي، وادعائي.

ب- قصر قلب، وتعيين، وإفراد.

ج- جميع ما سبق.

**٥- المقصور في النفي والاستثناء هو:**

أ- ما بعد حرف الاستثناء، والمقصور عليه هو ما قبله.

ب- ما قبل حرف الاستثناء، والمقصور عليه هو ما قبله.

**٦- المقصور في "إنما" هو:**

أ- ما وقع بعدها مباشرة، والمقصور عليه هو المتأخر.

ب- ما وقع قبلها مباشرة، والمقصور عليه هو ما قبلها.

**٧- المقصور عليه في العطف بلا هو:**

أ- ما قابل ما بعدها.

ب- ما قابل ما قبلها.

**٨- المقصور عليه في العطف بـ "لكن" هو:**

أ- ما وقع بعدها. ب- ما وقع قبلها.

**٩- المقصور عليه في العطف بـ "بل" هو:**

أ- ما قبلها. ب- ما بعدها.

**١٠- الفصل هو:**

أ- ترك العطف بالواو بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب.

ب- ترك العطف بالواو بين الجمل التي لها محل من الإعراب.

**١١- الفصل بين الجمل يكون لأسباب منها:**

أ- كمال الاتصال. ب- كمال الانقطاع.

ج- شبه كمال الاتصال. د- جميع ما سبق.

**١٢- كمال الانقطاع يكون:**

أ- باختلاف الجملتين خبرًا وإنشاءً.

ب- باتفاق الجملتين خبرًا وإنشاء.

**١٣- كمال الاتصال يكون:**

أ- بأن تنـــزل الجملة الثانية منـــزلة التوكيد من الأولى.

ب- بأن تنـــزل الجملة الثانية منـــزلة البدل من الأولى.

ج- بأن تنـــزل الجملة الثانية منـــزلة عطف البيان مما قبلها.

د- جميع ما سبق.

**١٤- شبه كمال الاتصال يكون:**

أ- بأن تنـــزل الجملة الثانية منـــزلة التوكيد من الأولى.

ب- بأن تنـــزل الجملة الثانية منـــزلة البدل من الأولى.

ج- بأن تنـــزل الجملة الثانية منـــزلة جواب على سؤال مقدر تضمنـــته الأولى.

**١٥- من دواعي الفصل أن يكون عطف الجملة على ما يصح عطفها عليه:**

أ- مؤديًا إلى فهم المقصود. ب- مؤديًا إلى فهم غير المقصود.

ج- كلاهما خطأ.

**١٦- للقصر:**

أ- ثلاثة طرق. ب- طريقان. ج- أربعة طرق.

**١٧- مكان المقصور في "إنما":** أ- المؤخر. ب- الذي يليها مباشرة.

**١٨- يستعمل النفي والاستثناء في:**

أ- ما شأنه أن يكون معلومًا. ب-ما شأنه أن يكون مجهولاً.

**١٩- ما أنا فعلت هذا:**

أ- يصح أن يعطف عليه: "ولا غيري".

ب- لا يصح أن يعطف عليه: "ولا غيري".

**٢٠- ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾**[يوسف:٥٣] **فصلت جملة** "إن النفس" عما قبلها لأن بين الجملتين:

أ- شبه كمال الاتصال. ب- كمال الانقطاع. ج- التوسط بين الكمالين.

**٢١- للتوسط بين الكمالين:** أ- صورة واحدة. ب- صورتان.

**٢٢- الفصل والوصل يكونان في الجمل:**

أ- التي لها محل من الإعراب. ب- التي لا محل لها من الإعراب.

**ثالثًا: الأسئلة المقالية:**

١- أنا قضيت حاجتك:

- متى تكون هذه العبارة قصر قلب؟

- ومتى تكون قصر إفراد؟

- ومتى تكون قصر تعيين؟

٢- فرق بين القصر الادعائيّ والقصر الحقيقي، مع التمثيل لكل منهما بمثال.

٣- هل يحضرك معنى القصر الإضافي، اذكره.

٤- هل يصح أن تقول: ما أنا فعلت هذا ولا غيري؟

٥- أين يكون موضع المقصور والمقصور عليه مع: إنما - والنفي والاستثناء.

٦- ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[يس:١٥]. بيّن المقصور والمقصور عليه ونوع القصر وأداته في الآية.

٧- ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[يس:١٥]. حلل الآية قصريًّا.

**-كَوِّن من إنشائك الجمل الآتية:**

١- جملتان فصلت ثانيتهما عن الأولى؛ لأنها نـــزلت منها منـــزلة التوكيد.

٢- جملتان فصلت الثانية منهما عن الأولى؛ لأن بين الجملتين شبه كمال الاتصال.

٣- جملتان فصلت الثانية منهما عن الأولى؛ لأن بين الجملتين كمال الانقطاع.

٤- جملتان ترك العطف فيهما؛ لأن الجملة الثانية نـــزلت من الأولى منـــزلة بدل بعض من كل.

٥- جملتان فصلت الثانية عن الأولى؛ لأنها نـــزلت منها منـــزلة عطف البيان.

٦- جملتان فصلت الثانية منهما عن الأولى لعدم التناسب بينهما.

# النشاط التعليمي للوحدة الخامسة

**عزيزي الدارس:** حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

- اختر سورة متوسطة الطول من سور القرآن الكريم، وحاول أن تستخرج منها الجمل المفصولة عن بعضها، مع بيان السبب الذي اقتضى ذلك الفصل، على ضوء ما درست في هذه الوحدة من قواعد وتمرينات.
- أعد بحثًا عن أنواع القصر.

# الوحدة السادسة

## الخبر والإنشاء

# الوحدة السادسة

# الخبر والإنشاء

**مبررات دراسة الوحدة:**

**عزيزي الدارس:** الخبر والإنشاء من الدروس البلاغية الأساسية والهامة، وقد يكون الخبر صادقًا وقد يكون كاذبًا، والخبر قد يطابق النسبة الخارجية فيكون صادقًا وقد لا يطابقها عمدًا فيكون كاذبًا، ذاك هو الأصل في دلالة الخبر في الوضع اللغوي الحقيقي، لكن دوره في الأداء البلاغي لا يقف عند هذا الحد، بل يتجاوزه إلى آفاق بيانية أرحب وأوسع من الدلالات الوضعية اللغوية، وأنت -عزيزي الدارس- في هذه الوحدة سوف تعرف نوعي الخبر ودلالتيه الحقيقية (فائدته، ولازم فائدته)، وسوف تعرف متى يخرج الخبر عن دلالتيه إلى التشكوى، أو التحسر، أو الافتخار، أو الهجاء، أو الاستعطاف، أو التذلل لله ﷻ؟ كما سوف تتعرف من خلال هذه الوحدة على أساليب الإنشاء باستخدام فعل الأمر أو المضارع المجزوم بلام الأمر، أو باستخدام أسماء أفعال الأمر، كما سوف تعرف كذلك من أساليب الإنشاء: النداء، والتمني، والرجاء، والاستفهام؛ لذ - عزيزي الدارس- أدعوك للإقبال على هذه الوحدة بجدك واجتهادك المعهودين.

**أهداف دراسة الوحدة:**

**عزيزي الدارس:** يرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١- تعرّف الخبر لغة واصطلاحًا.

٢- تذكر نوعيْ الخبر: (الكاذب والصادق).

٣- توضح دلالات الخبر الحقيقية.

٤- تفرق بين فائدة الخبر، ولازم فائدة الخبر.

٥- تبين متى يخرج الخبر عن دلالتيه الحقيقيتين؟

٦- تمثل لخروج الخبر عن دلالتيه إلى الشكوى، والتحسر، والاستعطاف والهجاء.

٧- تعرف الإنشاء لغة واصطلاحًا.

٨- تقارن بين الخبر والإنشاء.

٩- تعدد بإيجاز أدو ت الإنشاء.

١٠- تذكر بالتفصيل بعض أدوات الإنشاء كالأمر بفعل الأمر أو بالمضارع المجزوم بلام الأمر.

١١- تستخدم بعض أدوات الإنشاء كالنهي، والتمني، والرجاء، والاستفهام، والنداء، استخدامًا بلاغيًا سليمًا.

# الوحدة السادسة
# الخبر والإنشاء

**أولاً: الخبر.**

- الخبر نوعان: صادق وكاذب.
- للخبر دلالتان حقيقيتان هما: فائدة الخبر- لازم فائدة الخبر.
- يخرج الخبر عن دلالتيه إلى: الشكوى- التحسر- الافتخار- الهجاء- الاستعطاف- التذلل لله ﷻ.
- الإنشاء هو ما له نسبة خارجية.

**ثانيًا: الإنشاء.**

- تعريف الإنشاء.
- الفرق بين الخبر والإنشاء.
- من أدوات الإنشاء ما يلي:
- فعل الأمر.
- المضارع المجزوم بلام الأمر.
- أسماء أفعال الأمر .
- النداء — التمني- الرجاء- الاستفهام.

# أولاً: الخـــبر

**تعريف الخبر:**

قبل الحديث عن تعريف الخبر يحسن بنا أولا أن نعرف بين يديه:

الفعل الماضي وهو: ما دل على حدث وقع وانقطع قبل زمن التكلم.

وهذا التعريف صادق على نسبة كبيرة من الأفعال الماضية، كقولك:

- حضرتُ من السفر.
- نجح أحمد في الاختبار.
- أشرقت الشمس منذ ساعة.
- شربت من ماء زمزم شربة هنيئة.

إذا تأملت هذه الأفعال وجدتها تدل على معان وقعت وانقطعت قبل زمن التكلم بها.

وصلة تعريف الفعل الماضي بالخبر وثيقة؛ لأن المخبر يخبر دائمًا بأحداث حصلت قبل أن يخبر بها.

فمثلاً قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فيه خبران من الله لنا:

الأول: فرض الصيام علينا.

الثاني: أن هذا الصيام فرض كذلك على الذين من قبلنا من الأمم، وهو خبر صادق؛ لأنه مطابق للواقع.

وقوله ﷻ: ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦].

خبر كذلك مطابق للواقع من خَلْق الإنسان، فموضوع الأخبار هو الإخبار

عن وقائع حدثت قبل الإخبار بها.

فأساس الخبر هو الأفعال الماضية.

ومعنى "وقع وانقطع قبل زمن التكلم" أن دلالة "وقع" لازمة في تحقيق تعريف الخبر، أما دلالة: وانقطع فليست بلازمة؛ لأن الحدث كثيرًا ما يكون مستمرًّا عند التكلم به وبعد التكلم.

كما إذا قلت: انطلقت السيارة، فالخبر صحيح، سواء توقفتْ قبل زمن التكلم، أم ما تزال منطلقة، ويشارك الفعل المضارع الفعل الماضي في الدلالة على الخبر في صورتين:

**الأولى:** أن يكون المتحدث عنه بالفعل المضارع بدأ في صنع الحدث قبل زمن التكلم، وفي أثناء زمن التكلم، وبعد زمن التكلم، وذلك مثل قولك: محمد يكتب رسالة مهمة، فدلالة المضارع "يكتب" هنا صالحة للماضي، بأن يكون محمد قد بدأ في الكتابة قبل زمن التكلم، متصلاً بالحال والاستقبال. فهذا خبر صادق لمطابقته للواقع.

**الثانية:** أن يكون المضارع ليس للحال، ولكن للاستقبال كقولك لصديق: "سأزورك غدًا"، فهذا خبر رغم أن معناه سيحدث بعد زمن التكلم.

**عدم مطابقة الخبر للواقع:** وهذا الكلام لابد له من بيان، وهو كما يلي:

تأمل معي هذه العبارة: أمطرت السماء سيولاً جارفة.

هذه العبارة لها ثلاث نِسَب:

**الأولى:** النسبة الكلامية، وهي المعنى الذي يتضمنه هذا التركيب، وهو نزول الماء من السماء بغزارة مذهلة.

**الثانية:** النسبة الذهنية، وهي تخيُّل السامع هذا المعنى في ذهنه.

**الثالثة:** النسبة الخارجية، أي خارج الذهن، وهي نـــزول الماء من السماء فعلاً

وبهذه الصورة، هذه النسب الثلاث يتضمنها هذا التركيب ضرورة، أعني التركيب الخبري.

وما ورد في التعريف "الخبر ما له نسبة خارجية يراد مطابقتها -يعني في الخبر الصادق- أو عدم مطابقتها، -يعني في الخبر الكاذب-، هذه النسبة الخارجية لا وجود لها إلا في الخبر؛ لأن هذا الكلام وعد من المتكلم للمخاطب، فالحدث هنا لم ينقطع قبل زمن التكلم كما ترى.

هذه توطئة مهمة لفهم تعريفات الخبر التي نبدأ في بيانها الآن:

**التعريف الأول: الخبر هو ما احتمل الصدق والكذب لذاته:**

أي بصرف النظر عن قائله، سواءٌ كان مقطوعًا بصدقه لم يجرب عليه كذب قط أو يكون مشهورًا بالكذب، قَلّما يصدق في كلامه فمن يقول مثلاً:

سافرت اليوم إلى الرياض.

هذا الخبر بالنظر إلى صيغته محتمل للصدق والكذب، والواقع الخارجي هو الذي يحدد إن كان الخبر صادقًا أو غير صادق.

وهذا التعريف يعزى إلى علماء المنطق.

التعريف الثاني: الخبر هو ما له نسبة خارجية يراد مطابقتها، **أو الخبر يعتمد تصوّره وتحقيقه على النسبة الخارجية؛ إذ ليس في الكلام هذه النسبة الخارجية إلا الخبر.**

ويكون الخبر صادقًا إذا أراد المتكلم به مطابقة النسبة الخارجية، ويكون الخبر كاذبًا إذا لم يرد المتكلم مطابقة تلك النسبة عامدًا متعمدًا.

انظر هذه الآية: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا**

﴿عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[البقرة:٧٨] تجد فيها أربعة أخبار إلهية، لكل خبر منها نسبة خارجية أريدت مطابقتها على خير وجه؛ لأنها كلام الله.

والخبر يتردد في ثنايا الكلام كثيرًا؛ لأنه عمدة الكلام، ومحط الفائدة كما يقول العلماء بالأساليب.

انظر قول الشاعر:

صـــدفت عنه و لم تصدف مواهبه ... عـــني وعـــاوده ظني فلم يخب

كالغيـــث إن جئته وافـــاك رُيَّقه ... وإن ترحلـــت عنه لح في الطلب

وهكذا ترى الأخبار تتوالى في الكلام قصُر أم طال.

وفي القرآن سورة من سطر واحد اشتملت على خبرين، وهي سورة الكوثر: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[الكوثر].

قال ابن مالك -صاحب الألفية:

الخـــبر الجـــزء المـــتم الفـــائدة ... كـــالله بـــر والأيـــادي شاهدة

في هذا البيت -كما ترى- خمسة أخبار، في الشطر الثاني منه أربعة أخبار متوالية.

**ما المراد من الخبر في وضع اللغة؟**

لكلٍّ فن قوليّ معنًى أراده منه واضع اللغة، والخبر أحد الفنون اللغوية الجليلة الشأن، فما المراد بالخبر عند واضعي اللغة؟

وُضِع الخبر في اللغة للدلالة على أحد أمرين:

**أحدهما:** فائدة الخبر.

**والثاني:** لازم فائدة الخبر، وإليك البيان:

**فائدة الخبر:**

يراد من فائدة الخبر: إفادة المخاطب مضمون الجملة، الخبرية لأول مرة، أي

أن المخاطب لا علم له بمضمون الكلام إلا من إلقاء الخبر إليه، وهذا هو الأصل في دلالة الخبر.

فقولك لمخاطبك: أبوك عاد من السفر.

أردت به إخباره بحضور أبيه لأول مرة، يعني أنه لا علم عنده بعودة أبيه من السفر إلا بإخبارك إياه بهذه العودة.

والله تعالى حين قال لنا: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[البقرة:١٨٣]، أعلمنا بفرض الصيام علينا بنـــزول هذه الآية لا قبلها.

وحين قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[الإسراء: ١٥]. أخبرنا لأول مرة بأن الإنذار سابق على المؤاخذة، واستعمال الخبر في الدلالة على فائدته التي عرفت دلالة وضعية، وضعها واضع اللغة، وهو يضع الأسماء إزاء مسمياتها كما وضع "أسد" للحيوان المفترس... وهكذا.

ومنه شعرًا:

كل جريح ترجى سلامته ... إلا جريحًا دهته عـــيناها

تبل خدي كلما ابتسمت ... مـــــن مطر برَّقه ثناياها

ففي البيت الأول خبر أفاد فائدة الخبر لأول مرة، وهو: "كل جريح ترجى سلامته".

وفي البيت الثاني خبر كذلك، وهو: "تبل خدي كلما ابتسمت".

وقول الآخر:

وإذا اهتز للندى كان بحـــــرًا ... وإذا اهتز للوغى كان نصـــلا

وإذا الأرض أظلمت كان شمسًا ... وإذا الأرض أمحلت كان وبْلا

وهذه أربعة أخبار -كذلك، لم يرد منها إلا فائدة الخبر، وهي إفادة

المخاطب مضمون الكلام لأول مرة.

**أما لازم فائدة الخبر، وهو الغرض الثاني لواضعي اللغة من الخبر**، فإن معناه أن يكون رجلٌ غيرك عالمـًا بخبر، وفي نفس الوقت يعلم أنك غير عالم به، فتريد أنت أن تعلمه بأنك عالم به لا جاهل فتقول له: أنت نجحت في المسابقة، ولا تريد بهذا أن تعلمه بنجاحه في المسابقة؛ لأنه عالم به لكن أردت أن تعلمه أنك عالم بما يرى هو أنك لست عالمـًا به.

والفرق بين فائدة الخبر ولازم فائدته أنك في الأول تعلمه بالخبر نفسه.

أما في الثاني فإنك لا تعلمه بالخبر نفسه، ولكن بأنك تعلم الخبر كما يعلمه هو، واستعمال لازم الفائدة قليل في الكلام بالنسبة لفائدة الخبر؛ لأن فائدة الخبر الأصل في الواقع، ولازم الفائدة هي الفرع.

ذاك هو الأصل في دلالة الخبر في الوضع اللغوي الحقيقي، لكن دوره في الأداء البلاغي لا يقف عند هذا الحد، الذي هو فائدة الخبر ولازم فائدته، بل يتجاوزها إلى آفاق بيانية أرحب وأوسع من الدلالات الوضعية اللغوية ومن المعاني التي يخرج إليها الخبر عن دلالاته الوضعية ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ**﴾[آل عمران: ٣٦]؛ فأم مريم تعلم أن الله يعلم أنها وضعت أنثى، فهي لا تريد أن تخبره لا بفائدة الخبر ولا بلازمها، وإنما أرادت أن تشكو إليه حالها؛ لأنها كانت تطمع أن تضع ذكرًا لتفي بنذرها، فتهبه للخدمة في بيت المقدس، وكان لا يعمل فيه إلا الذكور، فلما وضعت أنـثى فات المقصود لها فحزنت وتحسرت.

وقد مزجت الشكوى والتحسر بالاعتذار إلى الله، أنها لم تف بنذرها لمانع

لا دخل لها فيه، وكانت قد قالـــت:﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً﴾ [آل عمران: ٣٥]، وقد خرج الخبر في الآية الكريمة، عن معناه الوضعي إلى معنى مجازي كما ترى.

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[النمل: ٤٤]، هذا كلام ملكة سبأ، حين استقدمها وقومها سليمان عليه السلام ورأت المعجزة الكبرى (نقل عرشها من سبأ إلى الشام دون أن يصيبه سوء) وعلمت أن سليمان رسول الله حقًّا.

وفي قولها هذا خبران خاطبت بهما الله ﷻ:

**الأول**: اعترافها بأنها ظلمت نفسها، والثاني: بأنها أسلمت مع نبي الله سليمان عليه السلام، والله يعلم أنها ظلمت نفسها بصدها عن سبيل الله، ويعلم أنها أسلمت مع سليمان لله رب العالمين، وملكة سبأ تعلم أن الله يعلم من قبل قولها هذا أنها ظلمت نفسها ثم أسلمت، فهذان الخبران لم ترد منهما ملكة سبأ إعلام الله بفائدة الخبر، ولا بلازم فائدته.

إذن، ما هو المعنى المجازي الذي خرج إليه الخبر هنا؟

لا ريب أنه التضرع والدعاء والاعتراف بما كان منها من كفر، فهي قدمت ظلمها لنفسها، ثم أعلنت توبتها بالإسلام لله رب العالمين، مع رسول الله سليمان عليه السلام.

والذي يكشف عن المعاني التي يخرج إليها الخبر هو المقام أو سياق الكلام، وهذا أمر لا نـــزاع فيه.

- وفي الحديث الشريف: "**من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو**

**كمثل الحمار يحمل أسفارًا"**[1].

فهذا الخبر يتضمن الذم والتهديد كما ترى، وليس لمجرد الإخبار بمضمونه.

- ومن ذلك قول الفرزدق يخاطب جريرًا:

أولئك آبائي فجئني بمثلهـــم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فهذا الخبر استعمل في الفخر بالنسبة لقائله الفرزدق، وفي الهجاء بالنسبة للمقول له جرير.

- وقول الآخر:

إلهي عبدك العاصي أتـــــاك ... مقرًّا بالذنـــوب وقد دعاك

فإن تغفر فأنت لـــذاك أهـــل ... وإن تأخذ فمن يُرجى سواك

هذه الأخبار أريد بها الاستعطاف والتذلل لله ﷻ.

- ومنه قول النابغة الذبياني:

قومي هم قتلوا أُمَيْمَةَ أخي ... فإذا رميت يصيبني سهمي

يخاطب الشاعر ابنته (أميمة) متضجرًا؛ لأن قومه هم الذين قتلوا أخاه، فإذا انتقم لأخيه من قومه أصابه سهمه كما يصيبهم؛ لأن من يقتل منهم من عشيرة الشاعر المُوتور، فهذا الخبر: "فإذا رميت يصيبني سهمي" أريد منه التحسر ومرارة الشكوى، لا فائدة الخبر، ولا لازم فائدته.

- وقول الشاعر يمدح:

ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجـــــاد بها، فليتق الله سائله

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٠)، عن ابن عباس، وهو حديث حسن.

أراد بهذا الخبر المبالغة في وصف الممدوح بالكرم، فهو لا يرد سائله خائب الرجاء أبدًا؛ لأنه يجود بروحه إذا خلت يده من المال.

- وكذلك قول الشاعر:

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

لم يرد الشاعر من هذين الخبرين لا فائدة الخبر، ولا لازم الفائدة، وإنما أراد الافتخار بقومه، وهو عمرو بن كلثوم.

- ومثله قوله:

إذا ما أعرنا سيدًا من قبيلة ذرا منبر، صلى علينا وسلما

أراد به الافتخار بقومه، وفي البيت مبالغة ممقوتة، هي قوله: "صلى علينا وسلما" حيث شبه قومه بالرسل.

هذا، وبقيت معان كثيرة يخرج إليها الخبر من الكلام البليغ، وفي مقدمته القرآن الحكيم، والحديث النبوي، والشعر العربي في الجاهلية والإسلام، وهذه المعاني مجازية من المجاز المرسل، الذي علاقته الإطلاق والتقييد، وسيأتي بيان ذلك في علم البيان -بإذن الله.

## ثانيًا: الإنشـــاء

الإنشاء في اللغة: هو إحداث الشيء بعد أن لم يكن، سواء كان معنويًا أو حسيًا.

أما في الاصطلاح البلاغي، فهو الكلام الذي يطلب به إحداث شيء، أو معنى لم يكن له وجود وقت الطلب.

وهو عكس الخبر الذي تقدمت دراسته من قبل.

وهو قسيم الخبر في الكلام؛ لأن الكلام قسمان: خبر، ثم إنشاء.

وفي مبحث الخبر تقدم أن الأدوات المستعملة فيه هي:

الفعل الماضي: وهو الأصل في الدلالة على الخبر، مثل: انفضّ الاجتماع.

ثم الفعل المضارع في بعض استعمالاته مثل: سأخلص لك الود.

**الفرق بين الخبر والإنشاء:**

وقبل الاستمرار في الحديث عن الإنشاء نشير إلى الفرق بين الخبر والإنشاء، فنقول:

تقدم أن الخبر له ثلاث نسب: (الكلامية، والذهنية، والخارجية).

أما الإنشاء فليس له إلا نسبتان، هما: النسبة الكلامية، والنسبة الذهنية، فإذا قلت لصاحبك: أحضر السيارة، فإن النسبة الكلامية هي: إحضار السيارة.

أما النسبة الذهنية: فهي تخيُّل السامع صورة سيارة تُحْضَر.

ولا نسبة خارجية لأساليب الإنشاء وقت التكلم به، وإنما تحدث نسبة الخارجية بعد التكلم إذا امتـــثل المخاطب الأمر؛ ولذلك لا يقال في الإنشاء: ما له نسبة خارجية يراد مطابقتها أو عدم مطابقتها كما تقدم في الخبر، وهذا هو الفرق الجوهري بين الخبر والإنشاء، فاحرص على فهمه، فإنه شديد الأهمية في تحصيل المعرفة والتمييز بين فنونها.

**أدوات الإنشاء:**

أما أدوات الإنشاء أو صوره فهي:

١- فعل الأمر، مثل: اتق الله.

٢- اسم فعل الأمر، مثل: حذار، هَلُمَّ بمعنى: احذر، تعال.

٣- الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر، مثل: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُم﴾[الحج:٢٩].

٤- النهي، مثل: لا تعص الله.

٥- التمني، مثل: ليت لي مالاً.

٦- الرجاء، مثل: لعلي أحقق ما أريد.

٧- الاستفهام، مثل: كم عمرك.

٨- النداء مثل: ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ﴾[القصص:٣١].

وهذه الصيغ لها معان وضعية في اللغة، تستعمل فيها على وجه الأصالة، ولها معان مجازية تخرج إليها مثلما تقدم في الخبر، وسنبين ذلك عند الحديث المفصل عن كلٍ منها:

**١- الإنشاء بفعل الأمر:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ورد فعل الأمر في هذه الآية مرتين هما:

"اتقوا الله"، "وكونوا مع الصادقين".

وهذا خطاب موجه إلى "الذين آمنوا" وهم حين خوطبوا لم يخلوا من تقوى الله، ولم يخلوا من صدق.

فلماذا خوطبوا لتحقيق ما هو حاصل منهم؟

إن الأمر هنا إما بزيادة التقوى، وإما بالدوام والاستمرار، وكل من الزيادة والاستمرار أمران لم يكن لهما وجود ساعة التكلم.

وكذلك الأمر بالكينونة مع الصادقين وإما أن يكون المراد من الأمر في الموضعين التثبيت، أي تثبيت المؤمنين على تقوى الله وكونهم مع الصادقين.

والأصل في الإنشاء عمومًا هو الطلب، طلب إيجاد الشيء، أو طلب إعدامه حسب الصيغة المستعملة فيه، والأمر دلالته الحقيقية إيجاد المأمور به على وجه الوجوب، فورًا أو على التراخي، فقوله تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾[الحج: ٣٠]، المراد من فعل الأمر فيه: المسارعة إلى اجتناب الرجس وقول الزور على وجه الوجوب الفوري، يعني في الحال بلا تراخٍ؛ لأن كلاً من الرجس وقول الزور محرمان تحريمًا قاطعًا، وكذلك قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[النساء:٥٩]، فهذه الطاعات المأمور بها واجبة النفاذ مطلقًا وبلا شرط في طاعة الله وطاعة رسوله، وبشرط ألا يدعونا ولاة الأمر إلى معصية الله ورسوله، فإن دعونا لما فيه معصية لله ورسوله فلا طاعة لهم علينا.

هذا هو الأصل في الأمر، دلالته الوجوب الفوري إما مرة واحد، أو مرات متكررة بحسب المأمور به.

فقوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾[البقرة:٤٣]، يتكرر الأمر بإقامة الصلاة بعدد الصلوات المكتوبة في اليوم والليلة، ويتكرر إيتاء الزكاة بعدد تكرار موجبها كل عام مرة... وهكذا.

**٢- الإنشاء باسم فعل الأمر:**

أما اسم فعل الأمر فهو كالأمر في الدلالة كما في قولك: حذار حذار أن تفعل كذا. أي: احذر احذر.

وقولك لمن لك عليه سُلطة: صه يا فلان، يعني: توقف عن الكلام الذي تقوله الآن، وصه يا فلان، يعني توقف عن كل كلام.

وقول المؤمن الورع يوم القيامة ﴿**هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**﴾[الحاقة: ١٩].

**٣- الإنشاء بالمضارع المجزوم بلام الأمر:**

ومثال الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾[النساء: ٩]

في الآية ثلاثة أفعال مضارعة مجزومة بـــ"لام الأمر" هي: (وليخش- فليتقوا- وليقولوا)، وهي بمنـــزلة فعل الأمر في المعنى المقصود بها، وهو:

وجوب الخشية، وجوب التقوى، وجوب القول السديد.

وكذلك قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾[النساء: ١٠٢].

وكذلك قوله تعالى: ﴿لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾[الحجرات: ١١] نهي صريح عن السخرية بالناس، لأي داع من الدواعي؛ لأن الله وحده يعلم الفاضل من المفضول كذلك قوله: ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾[الحجرات:١٢] التجسس هو: محاولة الاطلاع على أسرار الناس، والاغتياب هو: الطعن في شئون الناس وهم غائبون عن المجلس.

ومنه قول الشاعر:

لا تعجبي يا سَلْمُ من رجل[1] ضحك المشيب برأسه فبكى

والفعل المنهي عنه هنا هو: "لا تعجبي" ينهاها الشاعر معتذرًا عن بكائه؛ لأن الشيب علا رأسه، فلم يعد له عند الغواني نصيب، وفي الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ﴾ [النساء: ١٠٢] ست أفعال مضارعة مجزومة -كذلك- بـــ"لام الأمر" ومعناها وجوب الامتثال الفوري بلا تراخ؛ لما ورد فيها من أوامر.

---

(١) سلم اسم امرأة أصلها "سُلمى".

والأمر -كما علمت- يراد منه طلب الفعل وإيجاد معناه.

**٤- النهي:**

أما النهي، فهو من أشهر صيغ الإنشاء ويطلب به إعدام الفعل المنهي عنه فورًا، ويعبر عن هذا الإعدام بالمنع، فيقال النهي هو طلب الكف عن الفعل.

ومن أمثلته في القرآن الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ١٣٠].

فصيغة النهي فيها هي: "لا تأكلوا الربا"، والمطلوب الكفّ عن الفعل أو إعدامه فورًا امتثالاً للنهي، ومثله قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ...**﴾ [الحجرات: ١١].

**٥- التمني:**

ومن أساليب الإنشاء التمني، وهو يكون في طلب المستحيل، أو ما فيه عسر، كقول الفقير:

ليت لي مالاً فأصنع الخيرات، وأداة التمني الرئيسية: "ليت".

ومن التمني قول الكافر يوم القيامة: ﴿**يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً**﴾ [النبأ: ٤٠].

وقوله هذا -حيث يرى بطلان ما كان عليه في الدنيا من كفر ومعاص: ﴿**لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً**﴾ [الفرقان: ٢٧].

ومنه قول الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يومًا فأخبره بما فعل المشيب

فعودة الشباب من الأمور المستحيلة؛ لذلك استعمل الشاعر معه حرف التمني "ليت".

وقد يتمنى بـ"لو" بديلاً لـ"ليت" مثل أن تقول: لو كان قوة لفعلت كذا وكذا.

٦- الرجاء:

ومن أساليب الإنشاء الرجا، وهو طلب الممكن، وأداته المستعملة فيه هي "لعل" وها ورود كثير في القرآن الكريم مستعملةً في هذا الغرض، سواء في كلام الناس المحكيّ عنهم في القرآن أو في كلام الله غير المحكي عن أحد، وفاعل الرجاء في هذين النوعين من الكلام هم المخلوقون، فمثلاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

أي تتوقعون التقوى أن تحصل لكم إذا صمتم.

وكقول فرعون: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]. يعني يرجو من بناء الصرح بلوغ الأسباب، أي أخذًا بالأسباب التي تمكنه من رؤية إله موسى.!

٧- الاستفهام:

ومن أساليب الإنشاء: الاستفهام، وهو فن قولي عظيم الشأن، وفرع من أفرع السؤال بوجه عام.

وله في القرآن الكريم مهامّ بيانية سامية المقدار، في تحصيل المعرفة، ومعرفة المجهول، وله أدوات كثيرة، منها:

- همزة، مثل: أأنت شاعر؟
- وهل، مثل: هل معك أحد؟
- ومتى، مثل: متى حضرت؟ ويسأل بها عن الزمن.
- وما، مثل: ما الذي دعاك إلى الحضور؟
- وأين، ويسأل بها عن المكان، مثل: أين تقيم؟
- وكيف، ويسأل بها عن الحال، مثل: كيف أنت؟

- وأيان، ويسأل بها عن الزمان كذلك، مثل قول منكري الساعة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢].

- وأنَّى، ويسأل بها عن ما يشبه السبب مثل أن تقول: أنَّى لك هذا؟

**٨- النداء:**

ومن أساليب الإنشاء: النداء بجميع أدواته وهي الهمزة، ويا، ويا أيها.

والأصل في النداء هو طلب الإقبال الحسي، وهو الانتقال من مكان إلى مكان.

وذلك مثل قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾[القصص: ٣١].

فالإقبال الذي أمر الله به موسى حركة مادية إقبال من إدبار بالجسم، وهذا كثير الوقوع في حياة الناس اليومية، أما في القرآن فللنداء مساحات واسعة في البيان، وهو كثير فيه كثرة مستفيضة، ولكنه يراد به الإقبال المعنوي لا الحسي إلا نادر.

وسوف نعرض لنماذج منه عند الحديث عن المعاني المجازية، التي يخرج إليها النداء والإنشاء بوجه عام.

**المعاني المجازية للإنشاء:**

تقدم أن الأساليب الإنشائية مثل الأساليب الخبرية لها دلالتان:

**وضعية:** حقيقية كمجيء الأمر للوجوب.

**ومجازية:** كمجيء الأمر للإرشاد.

ونكتفي -هنا- بعرض نماذج من المعاني المجازية لبعض أساليب الإنشاء، ليقاس عليها غيرها مما لم نذكره.

**معاني الأمر المجازية:**

قد يخرج الأمر عن دلالة الوجوب التي هي دلالته اللغوية الوضعية إلى معان

مجازية منها:

- الإرشاد، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ففعل الأمر "اكتبوه" خرج عن دلالة الوجوب إلى مجرد الإرشاد إلى أفضل وسيلة لحفظ الديون، نص على ذلك كثير من العلماء.

- وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[البقرة:٢٣]. أي بمثل القرآن الكريم، والأمر: "فأتوا" ليس للوجوب، بل المراد به تعجيز الذين زعموا أن القرآن ليس كلام الله، فأراد الله أن يظهر عجزهم ويلزمهم بالحجة، الدافعة بأن ليس للقرآن مصدر إلا الله.

- وقد يأتي الأمر للتهديد لا للوجوب مثل قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت:٤٠]، فلا وجوب هنا، وإنما هو تهديد للمخاطبين، ووعيد شديد بأن لهم سوء المصير.

- وقد يأتي الأمر للإباحة كما في قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، فالأمر هنا لمجرد الإباحة.

وقد يخرج الأمر إلى الدعاء كما في قوله تعالى:﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

ومن خروج النهي عن معناه اللغوي وهو الكف اللازم عن تلبسه بالفعل المنهي عنه، قوله ﷻ: ﴿وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾، ﴿وَلاَ تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ﴾. [البقرة: ٢٨٢] هذه الأفعال الثلاثة خرج فيها النهي من الوجوب إلى الندب، فإن

كتابة الدائن في الآية ليست واجبة لرفع الحرج عن الناس في المعاملات، فكتابة الدين حق للدائن، ولصاحب الحق أن يسقط حقه إذا وثق في المدين.

ومنه -كذلك- قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾[البقرة:٢٨٦]. خرج النهي إلى الدعاء، والتضرع في الأفعال الثلاثة في الآية.

- ومن ذلك خروج النهي إلى الالتماس إذا كان المخاطب به مساويًا للمتكلم، مثل قولك لصديق: لا تَحرِمْنَا من رؤيتك، ولا تَغبْ عنا طويلاً.

- أما النداء في القرآن والحديث، والنتاج الأدبي شعره ونثره، فأكثر استعمالاته في المعاني المجازية، وقد سبق القول: إن المعنى اللغوي الحقيقي للنداء هو: إرادة الإقبال الحسي المادي، أي: الانتقال الجسمي من المكان الذي فيه المخاطب، إلى المكان الذي فيه المنادي، أما استعمالاته في المعاني مجازية معنوية فمثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[البقرة:١٨٣]، فليس المراد من هذا النداء الإقبال الحسي بالانتقال من مكان إلى مكان، بل المراد الإقبال الذهني والتخلص من كل الشواغل النفسية التي تحول دون المخاطب ودون شدة الانتباه لما يعقب النداء، وهو في هذا الموضع فرض الصيام عليه، وما يتعلق ببعض أحكامه، هذا وقد ورد هذا النداء "يا أيها الذين آمنوا" في القرآن سبعًا وثمانين مرة، كلها مستعملة استعمالاً مجازيًّا.

والاستعمال المجازي في القرآن للنداء لا يقتصر على نداء "يا أيها الذين آمنوا" بل يعمّ كل النداءات التي صدرت عن الله لعباده ومخلوقاته، وكذلك نداءات الناس بعضهم لبعض فمثلاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ١].

لم يُرد منهم الإقبال بأجسامهم، بل أراد تهيئة مشاعرهم لما يُتلى عليهم.

وكذلك قول يعقوب ليوسف -عليهما السلام: ﴿يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ [يوسف: ٥]. وقوله: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

- أما خروج الاستفهام إلى المعاني المجازية فحدث عنه ولا حرج، وبخاصة في القرآن الكريم، حيث بلغت صوره أكثر من ١٢٠٠ صورة، وهو من أعظم فنون علم المعاني، ويتشابك معه علم البيان في دلالاته المجازية كسريان الروح في الجسد، والماء في العود الأخضر، ومن أمثلة خروجه إلى المعاني المجازية قوله جل شأنه في خطاب اليهود، حيث يأمرون الناس بالبر وعمل الصالحات وهم -أي اليهود- لا يعملونها: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]. وهذا الخطاب موجه إلى علمائهم.

وفي الآية استفهامان مجازيان:

**الأول**: "أتأمرون الناس بالبر". **والثاني**: "أفلا تعقلون".

- وقد خرج الاستفهام الأول إلى معنًى مجازيّ هو الإنكار، فالله ينكر عليهم أمرهم الناس بالخير مع تركهم هم العمل به.

- والاستفهام الثاني "أفلا تعقلون" خرج إلى الذم مع الحث على الإفاقة من هذه الغفلة، التي تشبه حالة من ذهب عقله فأخذ يخبط خبط عشواء.

- والأصل في الاستفهام أن يكون من جاهل بمضمون الكلام ليعلمه العالم به إياه، فالذي يقول لآخر: ما اسمك؟ يجهل اسم المسئول، ويريد العلم به، هذه هي دلالة الاستفهام الحقيقية أن يكون من جاهل لعالم، أو لمن توقع أنه عالم بحقيقة المستفهم عنه.

والمستفهم في الآية هو الله، والله عليم بكل شيء، وقد يضم إلى دلالات

الاستفهام المجازية في الآية: التوبيخ والتقريع، كقوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾[البقرة: ٢١١].

تقدم أن دلالة "كم" أن يُسأل بها عن العدد، وهي في الآية ليست استفهامًا حقيقيًا عن عدد مجهول الكمية عند المتكلم ويريد أن يعرف كميته من عالم بها، بل خرج الاستفهام بها إلى معنًى مجازيّ هو الكثرة، يعني آتينا بني إسرائيل آيات بينات كثيرة فلم تثمر فيهم تلك الآيات، وبدلاً من شكر الله عليها كفروا بها.

هذا هو المعنى المجازي الذي خرج إليه الاستفهام هنا، ليثبت انحراف بني إسرائيل وكفرانهم لنعم الله عليهم.

ويضاف إلى هذا المعنى معنى مجازي آخر هو النعي على بني إسرائيل بسوء المنقلب وتوجيه التوبيخ إليهم.

وقال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ﴾[المائدة: ١١٦]. فسؤال الله -سبحانه- لعيسى ليس حقيقيًا؛ فالله لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء.

والاستفهام الذي فيه خروج إلى معنًى مجازيّ هو البلاغة في ذورتها؛ ذلك لأن النصارى الذين اتخذوا عيسى إلهًا من دون الله ينتظرون يوم القيامة ثمرة عقيدتهم وما قدموه على هداها من أعمال، فأراد الله أن يبين لهم ضلال مسعاهم، فيسأل عيسى هذا السؤال، ليجيب عيسى بما أجاب، فيظهر لمن اعتقد أنه إله

ضلال معتقده وسوء عاقبته من أقصر الطرق، وعلى لسان عيسى عليه السلام.

وتأمل الآيات:

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة ٥٨-٥٩].

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[الواقعة٦٣-٦٤].

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة ٦٨-٦٩].

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ [الواقعة: ٧١-٧٢].

تأمل هذه الاستفهامات العشرة التي فوق الخط، هل هي حقيقية يسأل الله عنها عباده عن أشياء ليعلموه بها؟! كلا؛ فالله بكل شيء عليم. إنما هي استفهامات مجازية ليست في حاجة إلى جواب من أحد.

-والمعاني المجازية التي خرجت هذه الصور هي تقرير عباده بعجزهم، والتمدح بقدرة الله عز وجل.

- ومن واحات الاستفهام الممتعة في القرآن التي استُعْملتْ استعمالاً مجازيًا رائعًا هذه الآيات: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ

يَدَيْ رَحْمَتِه أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّه تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّن يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٥٩-٦٤].

هذا الفيض البياني المتدفق تفجر في مواجهة المشركين حين سوَّوْا بين أصنامهم العقيمة التي لا تملك خيرًا ولا شرًّا، ولا نفعًا ولا ضرًّا وبين الله ذي الجلال والكمال والجمال، واتخذ القرآن من الاستفهام الإنكاري والتقريري وسائل لإفحام الخصوم، فجاءت هذه الاستفهامات المجازية -غير المحتاجة إلى إجابات- كرجوم الشياطين الحارقة، أشبعت دعوى الشرك إماتة وإفناء، ورفعت كلمة التوحيد عالية خفاقة، تسحق كل باطل وتمحق كل ضلال.

عُدْ إلى قراءة الآيات السابقة، وتأمل ما فيها من هدي وبيان، قطعت الأشواط فريدة جوَّابة في الأفق، تمتع النفوس وتقنع العقول، وترهف المشاعر وتملأ القلوب نورًا وعرفانًا.

ذلكم هو عطاء الاستفهام، حين يستخدمه القرآن نصيرًا للحق وقيم الإيمان، وداحرًا للباطل وأماني الشيطان.

ومن الشعر نسوق النماذج الآتية:

أأترك -إن قلَّتْ دراهمُ خالدٍ- زيارتَهُ؟ إني أذن للئيـــم

هذا الاستفهام معناه الإنكار (النفي).

- وقول الآخر:

تريـــدين كيما تجمعيني ومالكًا وهل يُجمع السيفان ويحك في غمد

ومعناه الإنكار، ينكر عليها أن تجمعه ومالكًا في موضع واحد، مشبهًا نفسه ومالكًا بالسيف، والسيفان لا يجمعان في غمد واحد.

- أما قول الشاعر (النابغة الذبياني) وهو:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

فهو يمدح المخاطبين بالفروسية (ركوب المطايا) والجود (أندى العالمين بطون راح)، والاستفهام في البيت للتقرير (الإثبات) فهو مجازيٌّ لا حقيقي.

وقول الفرزدق يهجو جريرًا:

كم عمة لك يا جرير وخالة عجفاء قد حلبت علي عشاري

تقدم أن "كم" يسأل بها عن العدد، أيّ عدد، وقد خرج الاستفهام هنا عن معناه اللغوي الوضعي إلى معنًى مجازيّ هو: التكثير، يعني: ما أكثر عماتك وخالاتك يا جرير اللاتي حلبن عليَّ عشاري من فقرهن وعوزهن؟

- ومثله قول أبي فراس يخاطب سيف الدولة.

وكم لك عندي من أياد وأنعم رفعت بها قدري وأكثرت حُسَّدِي

خرجت "كم" عن السؤال عن العدد إلى معنى الكثرة؛ لأن المقام هنا مقام مدح وثناء على سيف الدولة الحمداني.

وفي الختام: انظر إلى هذه الأبيات من قول الشاعر المتدلِّه في الحب:

أقول لظبي مرَّ بي وهْو هائم أأنت أخو ليلى؟ فقال يقال

فقلت أفي ظل الأراكة والغضى يقالُ ويستظلّ؟ فقال يقال

فقلت وهل يعفى الغريب بأرضكم إذا ما جنى ذنبًا؟ فقال يقال

ليست هذه الاستفهامات مستعملة في معانيها الحقيقية التي عرفْتها، وإنما هي استفهامات مجازية، أملتها على الشاعر لواعج الحب والتدلُّه فيه: وقد أجاد في سبك الأبيات والتأنق فيها.

و"يقال" في قافية البيت الأول من القول، يعني: يقال إنني أخو ليلى، وفي البيت الثاني من القيلولة، أما في الثالث فمن الإقالة من الذنب.

## خلاصة الوحدة السادسة

- الخبر: هو ما كان له نسبة خارجية يراد مطابقتها أو عدم مطابقتها، فالأول هو الخبر الصادق، والثاني هو الخبر الكاذب.
- يؤدَّى الخبر بالفعل الماضي، وبالمضارع في بعض الحالات، مثل قولك: سأزورك غدًا، سأعطيك كتابًا.
- للخبر في الوضع اللغوي دلالتان حقيقيتان: فائدة الخبر، ولازم فائدته.
- يخرج الخبر عن هاتين الدلالتين كثيرًا إلى معان مجازية غير فائدة الخبر ولازم فائدته، مثل:
  - الشكوى. - التحسر.
  - الافتخار. - الهجاء.
  - الاستعطاف. - التذلل لله ﷻ ... إلخ.
- الإنشاء هو ما ليس له نسبة خارجية يراد مطابقتها أو عدم مطابقتها وقت التكلم به.
- أساليب الإنشاء هي: فعل الأمر، والمضارع المجزوم بلام الأمر، وأسماء أفعال الأمر مثل: حذار، وهلمّ، والنداء، والتمني، والرجاء، والاستفهام.
- لكل أداة من أدوات الإنشاء معنًى لغويّ تستعمل فيه، وكثيرٌ ما تخرج هذه الأدوات إلى معانٍ مجازية كخروج الأمر للإرشاد، والنداء للإقبال الذهني دون الحسيّ المادي.
- في أدوات الاستفهام يجب أن يلي الأداة: المسئول عنه من المعاني اللغوية والمجازية.
- كل استفهام صادر عن الله في القرآن هو استفهام مجازي لا حقيقي؛ لأن الله بكل شيء عليم.

# اختبار الوحدة السادسة

**أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:**

**ضع علامة(✓)أمام العبارة الصحيحة وعلامة(×)أمام العبارة الخطأ في كل مما يأتي:**

١- الخبر هو: ما كان لـــه نسبة خارجية يراد مطابقتها أو عدم مطابقتها.

٢- الخبر الصادق هو: ما كان لـــه نسبة خارجية يراد مطابقتها أو عدم مطابقتها.

٣- يؤدى الخبر بالفعل الماضي والمضارع في بعض الحالات.

٤- للخبر في الوضع اللغوي دلالتان حقيقيتان هما: فائدة الخبر ولازم فائدته.

٥- للخبر في الوضع اللغوي دلالة حقيقية واحدة هي: فائدة الخبر.

٦- يخـــرج الخبر عن دلالتيه الحقيقيتين إلى معان مجازّية؛ كالشكوى، والتحسر، والهجاء، والفخر.

٧- الإنشاء هو ما ليس لـــه نسبة خارجية يراد مطابقتها أو عدم مطابقتها وقت التكلم به.

٨- ليس من أساليب الإنشاء: أسلوب التمني، والرجاء، والاستفهام.

٩- كل استفهامات القرآن الكريم استفهامات مجازية لا حقيقية.

**ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:**

**١- الخبر هو:**

أ- ما كان لـــه نسبة خارجية يراد مطابقتها أو عدم مطابقتها.

ب- ما ليس لـــه نسبة خارجية يراد مطابقتها أو عدم مطابقتها.

**٢- الخبر الصادق هو:**

أ- ما كان لـــه نسبة خارجية يراد مطابقتها.

ب- ما ليس لـــه نسبة خارجية يراد مطابقتها.

ج- كلاهما خطأ.

**٣- الخبر الكاذب هو:**

أ- ما كان لـــه نسبة خارجية يراد مطابقتها.

ب- ما كان ـــه نسبة خارجية يراد عدم مطابقتها.

**٤- يؤدى الخبر بـــ:**

أ- الفعل الماضي. ب- الفعل المضارع. ج- كلاهما صحيح.

**٥- للخبر في الوضع اللغوي:**

أ- دلالتان حقيقيتان هما: فائدة الخبر ولازم فائدته.

ب- دلالة حقيقية واحدة هي فائدة الخبر.

ج- كلاهما خطأ.

**٦- يخرج الخبر عن دلالتيه الحقيقيتين إلى معان مجازية هي:**

أ- الشكوى والتحسر. ب- الهجاء والفخر. ج- كلاهما.

**٧- الإنشاء هو:**

أ- ما ليس له نسبة خارجية يراد مطابقتها أو عدم مطابقتها وقت التكلم به.

ب- ما له نسبة خارجية يراد مطابقتها أو عدم مطابقتها وقت التكلم به.

**٨- أساليب الإنشاء هي:**

أ- فعل الأمر، والمضارع المجزوم بلام الأمر، واسما فعل الأمر.

ب- النداء، و لتمني، والرجاء، والاستفهام.

ج- جميع ما سبق.

**٩- استفهامات القرآن الكريم جميعها:**

أ- حقيقية. ب- مجازية. ج- منها ما هو حقيقي ومنها ما هو مجازي.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

**أولاً: عين الأخبار في العبارات الآتية موضحًا دلالة كل خبر منها:**

١- ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣].

٢- "من يسَّر على مُعْسر يسر الله عليه".

٣- علمت أنك ناجح.

٤- أنا المرعث لا أخفى على أحد...

٥- فإنك شمس والملوك كواكب...

٦- قوم إذا أبصر الأضياف نارهم قالوا لأمهم بولي على النار

٧- هذا الذي إن عاش لا يُعنى به وإن مات لا يحزن عليه أقاربه

٨- "الخيل معقود في نواصيها الخير".

٩- "لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب أو صورة".

١٠- ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث كانا

**ثانيًا: عيِّنْ الأساليب الإنشائية، ونوعها، والمعاني المرادة منها فيما يأتي:**

١- احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرهْ

فلربما انعكس الزمان فكان أعلم بالمضرهْ

٢- لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

٣- ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[البقرة:٢٠١].

٤- يا عظيمًا يرجى لكل عظيم.

٥- يا ليت أيام الصبا رواجعا.

٦- لعل الله يهديني إلى سواء السبيل.

٧- وتقول لمن يساويك في المنزلة. تعطَّ ْ علينا بالسؤال عنا.

٨- لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد.

# النشاط التعليمي للوحدة السادسة

**عزيزي الدارس:** حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

- أعدَّ بحثًا عن الخبر والإنشاء مبرزًا نسب الخبر الثلاث: الكلامية والذهنية، والخارجية.

# الوحدة السابعة

# المساواة والإيجاز والإطناب

# الوحدة السابعة

# المساواة والإيجاز والإطناب

**مبررات دراسة الوحدة:**

**عزيزي الدارس:** أنت أمام وحدة هامة من وحدات هذا المقرر فهي تشتمل على ثلاثة موضوعات جليلة: (طرفين وواسطة) أما الطرفان فالإيجاز والإطناب وأما الواسطة فالمساواة، وأنت في هذه الوحدة سوف تتعرف على معاني كل ما أشرنا إليه لغويًا واصطلاحيًا، وسوف تعرف متى يكون كل منهما محمودًا ومتى لا يكون كذلك، وسوف تعرف نوعي الإيجاز (إيجاز القصر وإيجاز الحذف) وسوف تتعرف على كثير من الشواهد القرآنية والحديثية والأدبية لكل ذلك، كما سوف تتعرض الوحدة لبعض فنون الإطناب ومعاني التذييل والاعتراض والتكميل والتكرار وعطف لعام على الخاص.

فإلى دراسة هذه الوحدة لتكون معينًا لك على الإيجاز، فقديمًا قال العرب: البلاغة الإيجاز.

**الأهداف التعليمية للوحدة:**

**عزيزي الدارس:** يرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١- تعرف المساواة لغة واصطلاحًا.

٢- تذكر متى تكون المساواة محمودة.

٣- تبين معنى الإيجاز لغة واصطلاحًا.

٤- توضح نوعي الإيجاز: إيجاز القصر، وإيجاز الحذف.

٥- تمثل بلاغيًا لإيجاز القصر وإيجاز الحذف.

٦- تعرف الإطناب لغة واصطلاحًا.

٧- تشرح بعض فنون الإطناب.

٨- تذكر معنى الاعتراض والتذييل.

٩- تفرق بين التكميل والتكرار.

١٠- تستخدم عطف العام على الخاص استخدامًا بلاغيًّا صحيحًا.

**أولاً: المساواة.**

- المساواة هي تأدية المعاني بألفاظ مساوية لها.
- المساواة محمودة لبعدها عن الإسراف والإجحاف.

**ثانيًا: الإيجاز.**

- الإيجاز هو: استثمار أقل ما يمكن من الألفاظ في أكثر ما يمكن من المعاني.
- نوعا الإيجاز هما: إيجاز القصر- إيجاز الحذف.

**ثالثًا: الإطناب.**

- الإطناب هو: أن تكون الألفاظ أكثر من المعاني لفائدة تؤديها.
- من فنون الإطناب: الاعتراض- التذييل- التتميم- التكميل- التكرار- الإيغال- عطف العام على الخاص.

## أولاً: المساواة

جرت عادة البلاغيين أن يرتبوا هذه الفنون الثلاثة هذا الترتيب:

الإيجاز -الإطناب -المساواة، وها نحن أولاء جاريناهم في هذا الترتيب، ولكنا لن نجاريهم في هذا الترتيب في الدراسة لاعتبار رأيناه وجيهًا؛ ولذلك بدأنا بـ "المساواة".

وذلك لأنهم قسموا الكلام من حيث الطول والقصر ثلاثة أقسام:

**الإيجاز**: وهو أن تكون الألفاظ أقل من المعاني بغير خلل في تأدية المعاني المرادة منها.

**الإطناب**: وهو أن تكون الألفاظ أكثر من المعاني المستعملة، فيها بلا ملل عند السامع.

**المساواة**: وهي أن تكون الألفاظ بقدر المعاني المرادة منها.

وها نحن نبدأ الحديث عن هذه الفنون بادئين بالمساواة؛ لأنها الأصل.

**المساواة:**

يقول الخطيب القزويني:

"المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو: تأدية أصل المراد بلفظ مساو... والمراد من المساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصًا عنه بحذف أو غيره... ولا زائدًا عليه".

وقد مثلوا للمساواة بشواهد منها: ﴿وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾[فاطر: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى

﴿يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨].

ويقول النابغة الذبياني:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقوله ﷻ: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام: ٨٢] وقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[النحل:٩]، ومن المساواة -حسب التعريف الذي عرفوها به- قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[البقرة: ١٣٤].

فإن قارئ هذه الآية، الخبيرَ بمرامي الكلام، يرى وفاء الألفاظ المستعملة فيها بالمعاني المرادة منها بلا نقص ولا زيادة، فالأمة المتحدث عنها قد خلت وقضت أجلها، وما قدمته من الأعمال الصالحات محسوب لها في موازين أعمالها الطيبة.

وما عملت من سيئات محسوب عليها في صحائفها عند الله، الذي لا يضيع عنده شيء ثم هم لا يسألون عنهم يوم القيامة، فهذه الآية الكريمة من جوامع الكلم لم تُبق من معاني المقام الذي سيقت فيه شيئًا يستدرك عليها.

ومنها -كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[الكوثر].

وهذه السورة الكريمة، مضرب الأمثال في المساواة، ولا يقدح في ذلك حذف مفعول "انحر"؛ لأن هذا الفعل نـــزل منـــزلة الفعل اللازم، الذي ليس له مفعول أي ليكن منك صلاة، وليكن منك نحر، وكذلك لا يقدح في هذه المساواة زيادة ضمير الفصل "هو" في قوله: ﴿شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾؛ لأن المعنى في حاجة إلى توكيد، ولولا وجوده لوقع في الوهم أن "شانئك" موصوف للأبتر، وأن "الأبتر" وصف لا خبر.

ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

﴿وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام: ١].

وانظر إلى هذه الأبيات التي قيلت في الهجاء الخلقي:

لو كنت أحمل خمرًا يوم زرتكم ... لم ينكر الكلب أني صاحب الدار

لكن أتيت وريح المسك تفعمني ... وعنبر الهند أذكيه على النار

فأنكر الكلب ريحي حين أبصرني ... وكان يعرف ريح الزق والقار

هذه الأبيات -إذا تأملتها- ترى ألفاظها مساوية لمعانيها.

ومعناها معروف، فالشاعر يهجو قومًا في أخلاقهم، وأن كلبهم لم يشم أبدًا رائحة الطيب، وإنما هو يعرف القاذورات وريح الخمرة التي يحتسونها، ويصبحون ويمسون فيها.

نعم هي من المساواة، وإن بدت غير ذلك لبعض المتعجّلين.

ومن المساواة قول البوصيري في مدح رسول الله ﷺ:

كيف ترقى رقيك الأنبياء ... يا سماء ما طاولتها سماء

لم يساووك في علاك وقد حال ... سنا منك دونهم وسناء

إنما مثلوا صفاتك للناس ... كما مثل النجوم الماء

يخاطب الرسول ﷺ فيقول: كيف يصعد الأنبياء صعودك، وأنت سماء فريدة في نوعها، وأن الأنبياء لم يساووك، وحال بينهم وبينك نور وبهاء، ومادحوك لم يفوا بقدرك، إلا بمقدار صور النجوم على صفحة الماء.

هذه الأبيات لا تحس بحرف أو كلمة فيها زائدة فتكون إطنابًا، ولا ناقصة فيكون في الكلام إيجاز، وإنما وافقت معانيها ألفاظها في نظم عجيب.

وانظر إلى قول أمير الشعراء شوقي:

رأيت في بعض الرياض قنبره ... تطيِّر ابنها بأعلى الشجره
وهي تقول يا جميل العش ... لا تعتمد على الجناح الهش
وقف بعود جنب عودي ... وأفعل كما أفعل في الصعود
وانتقلت من فنن إلى فننْ ... وحددت لكل نقله زمنْ
لكنه قد خالف الإشارهْ ... وقصده أن يظهر المهارهْ
فطار في الفضاء حتى ارتفعا ... وخانه جناحه فوقعا
فانكسرت في الحال ركبتاه ... ولم ينل من العلا مناه[1]

هذه المقطوعة تحفة فنية رائعة في أدب التربية على لسان الحيوانات، برع فيها شوقي -كما برع في مثيلاتها إلى حد فريد.

وإذا أنعمت النظر فيها تجد معانيها على حذو ألفاظها، لا تحس فيها بزيادة ولا نقص، مع رنين موسيقي آسرة وهي تحسب من المساواة التي حددها البلاغيون.

وموضوعها الاستفادة من التجربة في الحياة حتى في دنيا العقلاء.

وهي تشبه الإيجاز المسمى عند البلاغيين: "إيجاز القصر.

ذكرناها هنا لأن درس المساواة مظلوم في كتب البلاغة؛ لأنها لم تكثر من سوق الشواهد عليها، مع أن المساواة هي الحد الوسط في تقسيم الكلام من حيث الطول والقصر، بل هي الأصل في التعبير.

ومن المساواة قول حسان بن ثابت:

وإن امرأ يمسي ويصبح سالمًا ... من الناس -إلا ما جنى- لسعيد

وقول الآخر:

إن الطبيب يموت بالداء الذي ... قد كان يشفي مثله فيما مضى

وقول أبي نواس:

يزيدك وجهه حسنًا ... إذا ما زدته نظرًا

(١) انظر هذه الأبيات في "الشوقيات" (ج٢٤).

وقال زهير بن أبي سلمى:

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قومٌ بأولهم أو مجدهم قعدوا

قال هذا في مدح قوم هرم بن سنان، ترى هذه المجموعة من الأبيات لا تناسب إلا المساواة شائعة في الكلام، ولما كان الحد الذي حددوها به مرنًا غير جامع ولا مانع اختلفت حولها المدارك، فبعض الناس يحسب بعض شواهدها إيجاز قصر، وهذا سائغ؛ لأن الأذواق تختلف، فقد وقع في هذا الخلط كثير من أهل العلم، فمثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

قال ابن أبي الأصبع معلقًا على هذه الآية:

"إن الله سبحانه أراد أن يأمر بجميع المحاسن الممدوحات المنجيات، وينهى عن جميع القبائح الموبقات المذمومات، فأخرج المعنى في لفظ هو طبقه، وقالب هو قدره، وصورة مساوية لمعناه، لا تزيد ولا تنقص عن فحواه"[1].

والصواب أن هذه الآية من الإيجاز بالحذف لا من المساواة، وإليك البيان:

**أولاً:** أن فيها حذوفات كثيرة، ففيها:

حذف معمول "يأمر" أي يأمر الناس بالعدل.

حذف معمول المصدر "إيتاء" أي الفقراء، وكذلك "ينهى" أي الناس، اللهم إلا إذا اعتبرت هذه الأفعال منزّلة مَنزلة اللازم، وهي الأفعال التي ليس لها مفعول.

ومن المساواة في اشر الفني ما يأتي:

"إذا أقبلت الدنيا على رجل أعطته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه".

"الفقر في الوطن غربة، والغنى في الغربة وطن".

"من نعم الله عليكم، كثرة حوائج الناس إليكم، فلا تملوا النعم فتعود نقمًا".

"استغن عمن شئت تكن نظيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره".

---

(١) بديع القرآن (ص٢٨).

## ثانيًا: الإيجـــاز

**الإيجاز في اللغة هو:** التقصير، والتقليل وفي اصطلاح البلاغيين: "أن تكون الألفاظ أقل من المعاني بدون خلل في المعنى المراد".

أو هو: "استثمار أقل ما يمكن من الألفاظ في أكثر ما يمكن من المعاني.

وهو قسمان:

- إيجاز قصر.
- وإيجاز حذف.

**أولا: إيجاز القصر**(١):

وضابط إيجاز القصر أن لا يكون في الكلام حذف كلمة أو كلام معين، بل الكلمات نفسها المستعملة فيه ذوات معان وفيرة.

وتتحقق هذه الخصوصية في فواصل الآيات القرآن كثيرًا، مثل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

ومن إيجاز القصر قوله ﷻ حكاية عن بعض عباده الصالحين: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً﴾[الكهف: ١٤].

والواقع أنه لا فرق بين إيجاز القصر وبين المساواة، فحري أن يستغنى عن أحدهما بالآخر؛ لأن كل ما تقدم من التمثيل للمساواة صالح أن يمثل به لإيجاز القصر.

وما مثلنا به هنا لإيجاز القصر صالح لأن يكون تمثيلاً للمساواة، وللدارس أن يتأمل بنفسه أمثلة النوعين؛ ليتأكد له صدق ما نقول.

وإلا فما الفرق بين قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام:٨٢]،

---

(١) قصر: بكسر "القاف" وفتح "الصاد".

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة:٥].؟

**ثانيا إيجاز الحذف:**

نتحدث هنا عن النوع الثاني من الإيجاز، وهو الإيجاز بالحذف، وهذا له وجود حقيقي مستقل في البيان العربي، لا يختلط به فن آخر، ولا هو يختلط بغيره من الفنون البلاغية.

وللإيجاز بالحذف درجات نوضحها في الآتي:

**– أن يكون المحذوف حرفًا مفردًا من بنية الكلمة:**

ومنه حذف الواو في مواضع: ومثاله من القرآن قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾[الإسراء:١١]. المحذوف هو "الواو" من "يدع" والأصل "يدعو" فحُذفت "الواو" لغير علة صرفية أو نحوية كما ترى، والسر البلاغي في حذفه الرمز به إلى عجلة الإنسان في الدعاء بالخير، دون تفكير في العواقب.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾[القمر:٦].

حذفت "الواو" في "يدعُ"، والياء في "الداع" لغير مقتضى نحوي أو صرفي، والسر في هذا الحذف في الموضعين الرمز إلى غيبية الدعاء والداعي في الحياة الدنيا؛ لأنهما لن يكونا إلا يوم القيامة.

– وكذلك يحذف "الألف" كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل:٣٠].

وسر حذفه الرمز إلى الاسم المجرور بـــ"الباء" أعظم الأسماء (الله) ومصدر الفيوضات في الوجود.

وشروط هذا الحذف:

أن يكون المجرور "اسم الله".

وأن يكون مجرورًا بـــ"الباء".

وقد ورد هذا في القرآن ثلاث مرات:

في أم الكتاب (الفاتحة)، والنمل، وهود.

- ومنه حذف "الياء" في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾[آل عمران:٢٠]، والأصل: اتبعني، فهذه الياء حذفت لغير علة نحوية ولا صرفية.

وسر الحذف -هنا- الرمز إلى أن هذا الاتباع أمر معنويٌّ لا حسيٌّ: أي الطاعة وليس السير على الأقدام خلف رسول الله ﷺ.

هذه أول درجات الحذف أو صوره، وهي حذف الحرف من بنية الكلمة، لغير علة نحوية أو صرفية، ويلي هذه الصورة أو الدرجة:

**الإيجاز بحذف الأداة، من حرفين أو أكثر، وفي التمثيل لها نقول:** المراد من الأداة هي حروف المعاني مثل أنَّ، وقد، وإلى، وفي، ولا، ومن الإيجاز بحذف الأداة في القرآن الكريم:

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٥]؛ فإن الأداة "لا" حذفت قبل الفعل "تفتأ"؛ لأنه ملازم لفعل القسم "تفتأ" وكان الأصل أن يقال: لا تفتأ، ودل على حذفه أمران:

الأول: أنه لو كان الفعل "تفتأ" مثبتًا لوجب اقترانه بلام الابتداء ونون التوكيد، ولقيل فيه لتفتأن، وخلوه منهما دليلٌ على أنه منفي لا مثبت، هذا أولاً، والثاني أن فتئ وزال وانفكّ وبَرِحَ، هذه الأفعال لا تعمل عمل "كان" وهن من أخواتها، إلا إذا كانت منفية. فإذن الحرف "لا" هنا محذوف، وهو نوع من أنواع

الإيجاز بالحذف كما تقدم.

- ونظير هذه الآية قول امرئ القيس:

فقـــلت يمين الله أبرح قاعـــــــدًا ولو قطعّوا رأسي لديك وأوصالي

فقد حذف "لا" قبل الفعل: أبرح، والسبب في الحذف إما المحافظة على وزن الشعر، وإما لضيق المقام، وإما لهما معًا؛ لأن هذه الدواعي لا تتزاحم، وكذلك سبب الحذف في الآية هو ضيق المقام؛ لأن عشيرة يعقوب عليه السلام كانوا يضيقون ذرعًا من كثرة ذكره لابنه يوسف عليهما السلام، وضيق المقام يدعو إلى التقليل من الكلام.

- وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ**﴾ [النساء: ٤].

الأداة المحذوفة في هذه الآية، هي حرف الجر "في" قبل "وترغبون"؛ لأن فعل الرغبة إن كان مطموعًا فيه محبوبًا عُدِّي بـــ"في".

وإن كان مكروهًا غير مرغوب فيه عُدِّي بـــ"عن" كقول أبي إبراهيم عليه السلام مخاطبا إبراهيم: ﴿**أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ**﴾. وحَذْفُ "أن" هنا من الإيجاز بحذف الأداة.

أما السر البلاغي لحذف "في" فهو: بيان شدة الرغبة في نكاحهن، فحذفت "أن" لئلا تكون حاجزًا زمنيًا في سبيل الوصول إليهن.

**حذف الكلمة المفردة:**

نقصد بالكلمة المفردة الاسم الواحد، والفعل الواحد إذا كان فاعله مضمرًا فيه، وهو في الواقع جملة، من فعل وفاعل، ولكن لما كان الفاعل مضمرًا فيه،

وليس له صورة ظاهرة في الكلام اعتبرناه كلمة مفردة.

وهذه هي الدرجة الثالثة من الإيجاز بالحذف.

- ومن الإيجاز بحذف الكلمة المفردة قول ابن مطروح:

لا أنتـــهي لا أنثـــني لا أرعوي ما دمت في قيد الحياة ولا إذا

أي: ولا إذا متُّ.

ففي هذا البيت إيجاز بالحذف، والمحذوف كلمة مفردة وسر الحذف هنا هو المحافظة على الوزن الشعري، والذي دل على هذا المحذوف قوله: "ما دمت في قيد الحياة". وهذا الكلام لا يصدر إلا عن مفتون بملاذّ الحياة الدنيا.

ومن حذف الكلمة المفردة في الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ**﴾ [البقرة: ٦٠]. موضع الشاهد على الإيجاز بحذف الكلمة في هذه الآية هو: "فانفجرت" والتقدير: فضرب فانفجرت، والدليل على هذا "المحذوف" أن الله ﷻ رتّب سقي قوم موسى على ضرب موسى عليه السلام للحجر، فجاء الفعل "فانفجرت" دليلاً على أن موسى امتثل أمر ربه، فضرب الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، ولو لم يضرب لـــمَا حدث انفجار.

أما السر البلاغي لهذا الحذف، فهو الدلالة على سرعة موسى عليه السلام في تحقيق السقي لقومه، لدرجة أنه لم يمر زمن بعد أمر ربه له بضرب الحجر حتى ضربه.

- ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٢].

وفي هذه الآية إيجاز بحذف كلمة مفردة (اسم) بين "العجل" و"سينالهم" والتقدير (إلهًا) أي اتخذوا العجل إلهًا، ودليل الحذف فيها أن مطلق اتخاذ العجل لا

يستوجب غضب الله عليهم، فقد يكون اتخاذ العجل للأكل، وهذا حلال لا معصية فيه، فتعين أن يكون اتخاذ العجل معبودًا لهم من دون الله؛ لذلك استحقوا غضب الله في الدنيا والآخرة، والجزاء الأليم من الله ﷻ و"العجل" كما ترى كلمة مفردة (اسم) حقيقة لا تنـــزيلاً مثل "ضرب" في السقي.

أما السر البلاغي لهذا الحذف، فهو رمز إلى أن أي "إله" غير الله، معدوم في الوجود ومعدوم في اللفظ. فحذف للوفاء بهذا المعنى.

- ومن هذا النوع أيضًا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾ [النحل: ٨١].

في هذه الآية حذف كلمة مفردة (اسم) هي "والبرد" أي سرابيل تقيكم الحر والبرد، ودليل المحذوف أن هذه السرابيل لا تقي من الحر وحده، بل منه ومن البرد؛ لأنهما نظيران، فَذِكْر أحدهما يدل على الآخر.

أما السر البلاغي فهو تحقيق فضيلة الإيجاز في الكلام، بالاكتفاء بأحد النظيرين، وإيثار ذكر "الحرّ" على البرد؛ لأن البرد يمكن اتقاؤه بالوسائل البشرية كالتدفئة بالملابس المناسبة، والمنازل. أما الحر، فهو أشق اتقاء، وأكثر معاناة وحذف المعلوم الظاهر جائز في اللغة، كما قال ابن مالك في ألفيته:

وحذف ما يعلـــم جائز كما ... تقول: زيد بَعْدَ مَنْ عندكما؟

**حذف التراكيب:**

هذا النوع من الحذف هو أعلى درجات الإيجاز بالحذف، ويبدأ بحذف الجملة ثم الجملتين، وأكثره لا ضابط له، والجملة تركيب، سواء كانت اسمية أو فعلية.

- ومن أمثلته في القرآن الكريم: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِياً قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ

وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِياً﴾ [مريم: ٢٠-٢١]. القائل أنّى يكون لي غلام: مريم -عليها السلام، حين بشرها الملك بعيسى عليه السلام ونلاحظ في الآية حَذْف جملتين، قدّرهما العلماء بقولهم: فعلنا هذا وقدرناه لنجعله آية للناس. أما السر البلاغي فهو إحكام العبارة ونفي الفضول في الكلام.

- ثم قوله ﷻ: ﴿لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠]، في هذه الآية إيجازات متعددة والذي يدخل معنا منها، هو حذف أكثر من جملة والتقدير: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل.

والدليل على هذا الحذف هو قوله تعالى:﴿ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾.

فحذف من الأول لدلالة الثاني عليه، والسر البلاغي هو تحقيق فضيلة الإيجاز البلاغي في الكلام، وهو استثمار أقل ما يمكن من الألفاظ، في أكثر ما يمكن من المعاني مع وجود دليل يكشف عن المحذوف.

وفي الآية دليل آخر على المحذوف، وهو الفعل "لا يستوي" وبيان ذلك: أن يستوي "في صدر الآية يستدعي طرفين بينهما تفاوت ليتحقق نفي المساوة بينهما، وليس في صدر الآية إلا طرف واحد موصوف بأوصاف الكمال، وهذا يقتضي حضور الطرف الثاني في الذهن، ليستقيم الكلام ويحسن السكوت عليه.

- ومنه كذلك: ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

في هذه الآية حذوفات كثيرة، والتقدير: والذين يعطون ما أعطوا من الصدقات وسائر القربات الخالصة لوجه الله، ويخافون أن ترد عليهم جميع قرباتهم

التي قدموها لوجه الله.

فانظر كم جملة حذفت في هذه الآية، والإيجاز في نفسه -إذا لم يخلّ بالمعنى- فضيلةٌ بيانية شديدة الأسر، أما دليل هذه الحذوفات فهو سياق الكلام.

- ومنه شعرًا:

فإن تُولِني منك الجميل فأهله وإلا فإني عاذر وشكـــور

وفي هذا البيت محذوفات مركبة، وغير مركبة وهي:

حذف المسند إليه قبل "أهله" والتقدير: فأنت أهله.

وكذلك في: "وإلا فإني" والتقدير: وإن لا تولني منك الجميل فأنا عاذر لك وشكور.

والذي يدل على المحذوف هو: المقام والسياق، وسببه هو: المحافظة على الوزن والسر البلاغي: تقليل الألفاظ مع وفرة المعاني.

هذا، وقد اشترطوا للإيجاز -عمومًا- شرطين:

**الأول**: أن يدعو داعٍ بلاغيّ لهذا الحذف بكل أنواعه.

**الثاني**: أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف.

**الاحتباك:**

ومن الإيجاز نوع يسمى "الاحتباك" وهو إيجاز مركب من طرفين ستعرفهما بعد قليل.

ومعناه في اللغة: شدّ الإزار وإحكامه وكل شيء أحكمت صنعه فقد احتبكْته[1]، وقد يُستعمل بمعنى الزينة. وبها فسروا معنى قوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ**﴾ [الذاريات: ٧].

---

(١) لسان العرب (حبك).

أما معناه في الاصطلاح فهو كما قال الإمام جلال الدين السيوطي: "ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه: الشد والإحكام، وتحسين أثر الصنعة من الثوب. فحبك الثوب سد ما بين خطوطه من الفُرج (جمع فرج وهو الثقوب والفراغات) بحيث يمنع منه الخلل مع الحسن والرونق.

أي أن مواضع الحذف من الكلام شُبِّهتْ بالفُرج بين الخيوط. ثم عرفه بالاحتباك.

وقال إنه من ألطف الأنواع وأبدعها[1] وحقيقته في البلاغة: أن تحذف من الكلام أحد طرفيه لدلالة الطرف الثاني على المحذوف.

ومن أمثته قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾[هود:٣٥].

والمعنى: فإن افتريته فعلي إجرامي وأنتم بريئون منه، أي من إجرامي، وأنا بريء من إجرامكم. لدلالة الأول (فعلي إجرامي)[2] عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[التوبة:٦٢].

والمعنى: الله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه فحذف "أحق أن" لدلالة السياق عليه.

وهذا الحذف المسمى بـ"الاحتباك" كثير الورود في القرآن الكريم.

وقد يحذف من الأول لدلالة الثاني عليه -عكس الأول- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[الأحزاب:٤٦].

---

(١) الإتقان (٢ ٢٢٢).

(٢) الموسوعة القرآنية المتخصصة (ص٤٩١) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

والتقدير: إن الله يصلي والملائكة يصلون على النبي، فحذف من الأول:

(الله يصلي) جملة يصلي، وهي واقعة موقع الخبر لـــ"الله".

ودليل هذا الحذف ذكر المحذوف في الثاني: (والملائكة يصلون).

ومثله قول الله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾ [الرعد:٣٩].

أي: ويثبت ما يشاء. وهو الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه.

ومنشأ هذه الحذوفات هو التعويل على القرينة اللفظية المذكورة في الكلام، هذا من حيث الصناعة الكلامية.

أما دواعيه البلاغية فهي تصوير المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة مع عدم الإخلال.

## ثالثًا: الإطـناب

هذا هو الفصل الثالث من تقسيم الكلام من حيث القِصر والطول، وقد تقدم الحديث عن الفصلين الأولين: الأول والثاني، وهما المساواة والإيجاز.

والإطناب هو أطولها، وهو في المعنى اللغوي العام الإكثار والتطويل.

أما في اصطلاح البلاغيين فهو -كما تقدم- أن تكون الألفاظ أكثر من المعاني، لفائدة يؤديها، بشرط ألا يؤدي الكلام الطويل إلى ملل عند السامع.

وإذا خلا الإطناب، أي الكلمة أو الكلام الزائد عن أصل المعنى من الفائدة سمي حشوًا لخلوه من الفائدة، وسيأتي تمثيل له في غضون هذه الدراسة.

وللإطناب صور كثيرة كل صورة مسماة باسم خاص بها.

- ومن صوره ما يسمى بـــ"الاعتراض" وهو كلام يُعترض به بين كلامين متلازمين، كأن يقع بين المسند إليه والمسند، أو الصفة والموصوف، أو بين الشرط وجوابه... إلخ.

والإطناب بالاعتراض لا يكون إلا بجملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جملة أجنبية عما قبلها وما بعدها.

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾ [المنافقون: ١].

والأصل: (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله... والله يشهد إن المنافقين لكاذبون)، ولو خلا النظم القرآني من... "والله يعلم إنك لرسوله" لوقع في الوهم أن قول الله تعالى: "والله يشهد إن المنافقين لكاذبون" أنه تكذيب لقول المنافقين: "نشهد إنك لرسول الله" ويترتب على هذا التوهم أن الله ﷻ

ينفي أن يكون محمد رسول الله. وهذا غير مراد.

ولدفع هذا التوهم كانت الجملة المعترضة "والله يعلم إنك لرسوله" فاندفع ذلك التوهم، وصار قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أي في ادعائهم أنهم مؤمنون بمحمد ﷺ أنه رسول الله.

فانظر إلى هذا الاحتراس الرائع، الذي صان البيان القرآني من الخلل في فهم المعنى المراد.

- ومنه قول الحق جل وعلا: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٦].

القسم هنا بمواقع النجوم، وهي لا يعلمها إلا الله مهما طالت بحوث العلماء حولها؛ لأن الله قال: "لو تعلمون"، و"لو" تُؤْذن باستمرار نفي ما بعدها وهو العلم.

وفائدة هذا الاعتراض تعظيم وتهويل (مواقع النجوم)، بحيث لا يعلم أحد غير الله هذه المواقع لعظمتها وفخامتها.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ [آل عمران: ٣٦].

جملة "والله أعلم بما وضعت" جملة اعتراضية، جيء بها لدفع توهم أن امرأة عمران، أم مريم أرادت أن تخبر الله سبحانه بما لم يعلم، وهو وضعها أنثى لا ذكرًا.

ومنه شعرًا:

ولو أنّ الباخلين وأنت منهم رأوك تعلـــموا منك المطالا

الاعتراض حدث بقوله: "وأنت منهم" ولو خلا النظم من هذه الجملة لكانت المخاطبة غير موصوفة بالبخل صراحة.

ولكن لما ذكر الاعتراض، أفاد أن المخاطبة ليست بخيلة بخلاً معهودًا. بل لها

ضلاعة في البخل يُعَدُّ البخلاء بالنسبة إليها كرماء، فإذا رأوها تعلموا منها البخل.

ولعل البخل الذي اتهم به الشعر مخاطبته، بخل يتعلق بعلاقات المحبين بعضهم ببعض.

ومنه:

رهبان مدين والذيـــــن عهدتهم يبكون من خوف العذاب قعودا

لو يسمعون كما سمعـــت حديثها خروا لعـــــزة ركعًا وسجودا

جملة الاعتراض هي: "كما سمعت" جيء بها فاصلة بين الشرط "لو يسمعون" وبين جوابه "خروا لعزة".

ونكتة هذا الاعتراض البلاغية الاعتذار لنفسه في هيامه لعزة، ذات الرقة والحسن، ففي البيت إطناب.

وقد بالغ الشاعر حيث قال: "إن الرهبان الذين بلغ بهم الخوف من عذاب الله ما بلغ لو سمعوا حديث عزة سجدوا لها وركعوا".

ومنه قول زهير بن أبي سلمة يشكو الهرم:

إن الثمـــــــــانين وبُلِّغتُها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

يعني بلوغ العمر ثمانين سنة حمل معه من أعراض الشيخوخة أن تعطل سمعه عن التقاط الأصوات، ولم يعد صالحًا لأداء وظيفته، واحتاج إلى وسائط في سماع ما يقال، ونكته هذا الاعتراض المبالغة في التماس العذر.

**التتميم:**

ومن صور الإطناب التتميم، ومعناه في اللغة زيادة الناقص ليكون تامًا، وله عند البلاغيين ضوابط وتعاريف كثيرة، كلها تدور حول زيادة المعنى، ولكن مع هذه الزيادة فإن المعنى الأصلي قد أوفى به الكلام قبل التتميم، ومن أمثلته من القرآن

الكريم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

والتتميم في الآية ورد مرتين:

**الأولى:** (من ذكر أو أنثى).

**والثانية:** (وهو مؤمن).

وقد ازداد بهما المعنى وضوحًا وحُسْـنًا، حين شمل الأول النوعين الذكور والإناث، وحيث نص الثاني على شرط الإيمان في قبول العمل الصالح.

وهذان التتميمان يشبهان الاحتراس الذي سيأتي بيانه.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ [الإنسان: ٨].

والتتميم في الآية حصل بقوله: "على حبه"[1] أي على حب المال.

يعني أن هؤلاء المطعمين من شدة سخائهم وحبهم لما عند الله يكونون في أشد الحاجة إلى الطعام، ومع ذلك يطعمون غيرهم ما لديهم من طعام، فيؤثرون به غيرهم وإن كانت بهم خصاصة، عملاً بقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، ومنه كذلك: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً﴾ [الكهف: ٤٣].

فقوله: "وما كان منتصرًا" تتميم تم به المعنى وضوحًا: أي لم يكن منتصرًا سواء كانت له فئة أو لم تكن، وبهذا التتميم حصل توكيد المعنى من جهتين:

الأول: نفي النُّصَرَاء.

الثاني: نفي النصر نفسه.

---

(١) بعض المفسرين جوّز عود لضمير في "حبه" على الله. أي: يطعمون الطعام على حب الله.

وليس بعد ذلك مزيد لمستزيد.

ومنه في الذكر الحكيم: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٥]. التتميم حصل بـــ: يمشون بها، يبطشون بها، يبصرون بها، يسمعون بها؛ لأن الأرجل، والأيدي، والأعين، والآذان، وقعت في هذه الآية منفية بالاستفهام الإنكاري المراد به النفي.

ونفي هذه الجوارح يستلزم نفي وظائفها وهي: المشي والبطش، والإبصار، والسمع بمجرد وقوعها في حيز الاستفهام.

إذن فإن وظيفة كل جارحة عقبها زيادة هي المسماة بـــ"التتميم" فأصل المعنى لا يحتاج إلى ذكرها، ولما ذكرت زاد بها المعنى تمامًا وتوكيدًا.

**التذييل:**

ومن صور الإطناب التذييل، وهو في اللغة آخر الشيء كالذيل في الحيوانات.

أما تعريفه في الاصطلاح البلاغي فهو: "أن يُذيِّل الناظم أو الناثر كلامه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام، وتزيده توكيدًا وتجري مجرى المثل".

والتذييل كثير الورود في فواصل الآيات، وكان البلاغيون قد قسموا التذييل قسمين:

**أحدهما:** ما يجري مجرى المثل، أي مستقل الدلالة، لا يتوقف على كلام قبله.

**والثاني:** ما لا يجري مجرى المثل، أي لا يجوز فصله عن الكلام قبله، لارتباط معناه بمعناه، فمثلاً قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]. التذييل فيها هو قوله: "إن الباطل كان زهوقا"؛ لأنه مقرِّر لما قبله، ومؤكد له، وهو تذييل جار مجرى المثل؛ لأنه مستقل الدلالة عما قبله.

ومثله قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الكَفُورَ﴾ [سأ: ١٧]. والمعنى الذي قرره وأكده هو "ذلك جزيناهم بما كفروا"، وهو جار مجرى المثل كذلك، لا يحتاج إلى ما قبله بل يساق مفصولاً عنه، وقد يأتي التذييل في القرآن في غير الفواصل كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقاًّ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

في هذه الآية تذييلان: الأول: وقع في درج الكلام، وهو: "ومن أوفى بعهده من الله"، والثاني: في الفاصلة، وهو: "وذلك هو الفوز العظيم".

- ومن الإطناب شعرًا قول أبي الطيب المتنبي:

وما حاجة الأظعان حولك في الدجى إلى قمر ما واجـــد لك عادمه

يتغزل أبو الطيب فيشبّه محبوبته بالقمر تشبيهًا ضمنيًّا، ويقول لها:

إن الذي يسير حولك في ظلام الليل لا يحتاج إلى قمر ينير له الطريق؛ فأنت القمر، ومن سار في نورك فلا حاجة له إلى قمر السماء.

والتذييل في هذا البيت في قوله: "ما واجد لك عادمه"، وفي هذا توكيد وتقرير لمعنى ما قبله.

وقال ابن نباته السعدي يمدح:

لم يُبق جـــودك لي شيئًا أؤمله تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

يعني: لقد كفاه الممدوح كل حاجاته، فلم يعُد لديه شيء يرجو الحصول عليه؛ لأن كرم الممدوح جعله في غنًى تام، والتذييل في "تركتني أصحب الدنيا بلا أمل"؛ لأنه مقرر ومؤكد للمعنى الذي قبله.

ومن الشعر ما جرى مجرى المثل من التذييل كقول النابغة الذبياني:

ولســـت بمستبق أخـــًا لا تلمه ... على شعث، أي الرجال المهذب

معنى البيت: لا تجد من الرجال من هو خال من العيوب تمامًا، فإذا عاتبت كل أخ لك بما فيه من عيوب، وإن كانت يسيرة، لا تجد أخًا باقيًا لديك.

والتذييل في قوله: "أي الرجال المهذب" فإنه مؤكد ومقرر للمعنى الذي قبله، وهو: "ولست بمستبق أخا لك" وهو جار مجرى المثل، غير متوقف سَوْمه على ما قبله. فلك أن تقول: "أي الرجال المهذب" إذا استدعى المقام هذا القول، سواء ذكرت ما قبله، أو لم تذكره.

**التكميل:**

ومن صور الإطناب التكميل، ويسمى أيضًا الاحتراس، وقد عرّفه البلاغيون بقولهم: أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه.

وجعله بعض البلاغيين القدماء ضربين:

**أحدهما:** يتوسط الكلام، مثل قول طرفة بن العبد:

فسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الربيع وديمة تهمي

فالتكميل في قوله: "غير مفسدها" فإن كثرة الماء مما يضر بالمتاع.

وصوب الربيع: المطر النازل في فصل الربيع، والديمة السحابة الممطرة، وتهمي: تمطر.

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[المائدة: ٥٤].

وموضع التكميل في الآية هو: "أعزة على الكافرين"؛ لأنه لو اقتصر على: "أذلة على المؤمنين" لوقع في الوهم أنهم ضعفاء في خاصة أنفسهم، ولكن لما قال

"أعزة على الكافرين" زال ذلك الوهم، وهذا اختيار القزويني.

ومن تلك الأمثلة أيضا: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح: ٢٩]، وهذا عكس الأول الذي ذكره الخطيب؛ لأن فيه استدراكا من قوة وشدة، ولو اقتصر على "أشداء" لتسرب إلى النفس أنهم قساة في التعامل مع الناس، فلما قال "رحماء" زال هذا الفهم.

ومنه كذلك: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

قال ابن أبي الأصبع: "فإن المعنى تم عند قوله: ذو رحمة واسعة" لكن يبقى على ظاهر الآية إشكال من جهة: أن الضعيف إذا سمع قوله بعد حكاية التكذيب لنبيه أمر نبيه أن يقول لهم: "إن ربهم ذو رحمة واسعة" مقتصرًا على ذلك يتوهم أن رحمته لسعتها ربما شملت من كذَّب نبيه، فاحترس من هذا الاحتمال بما جاء به مكملاً للمدح بالانتقام من الأعداء فقال: "ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين".

وهذا تحليل وجيه من ابن أبي الأصبع، وغير هذا في القرآن كثير من هذا الفن المسمى بالتكميل أو الاحتراس، نغض عنه الطرف توخيًا للإيجاز، وعلى الدارس أن يقيس ما لم نقله على ما قلناه؛ ذلك أجدى وأنفع.

ومن طريف الشعر الذي يستشهد به على التكميل قول كثيّر عزة متغزلاً بها:

ولو أنّ عزة خاصمت شمس الضحى ... في الحسن عند موفق لقضى لها

فقوله: "عند موفق" (أي عند قاض موفّق في الحكم بين الخصوم) لقضى لها، أي لعزة، فقد أدعى أن لعزة درجة في الحسن زائدة على حسن الشمس، والهدف من هذا الإطناب التكميلي هو المبالغة في وصف عزة بالجمال.

وقول ابن المعتز:

صببنـــا عليهم ظالمـــين سيـــاطنا  فطارت بها أيد سراع وأرجل

والتكميل في قوله: "ظالمين" وهذه الكلمة "ظالمين" حال أدَّى مؤدى التكميل.

وكثير من الشعراء طرقوا هذا الفن بما أملاه عليهم المقام، سواء أدركوا أنه تكميل أو لم يدركوا، وفائدة: "ظالمين" أي انهم يستحقون الضرب بالسياط؛ لأنهم ظالمون.

**ذكر الخاص بعد العام:**

ومن الإطناب نوع يسمى: ذكر الخاص بعد العام ومنه قول الله تعالى:﴿**مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٩٨].

لأن في ذكر جبريل وميكال، وهما ملكان، بعد ذكر "ملائكته إطناب؛ لأن العام يتضمن الخاص، فإذا ذُكر الخاص بعده كان إطنابًا، وذِكْر الخاص بعد العام يكون لمزية في الخاص، أو للاهتمام به[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [آل عمران: ١٠٤]؛ لأن في قوله "يدعون إلى الخير" دلالة على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فهما أخص والدعوة إلى الخير أعم.

والسر البلاغي في ذكر الأمر والنهي هو رفعة شأنهما، والاهتمام بهما حتى لا يتركهما الناس.

**الإيضاح:**

ومن الإطناب ما يقال له: الإيضاح، ومعناه في اللغة الكشف والإبانة.

أما عند علماء البلاغة فهو: أن يذكر المتكلم كلامًا في ظاهره لبس ثم يوضحه في بقية كلامه، وهو يأتي في النظم والنثر، وفي القرآن الكريم، ومن أمثلته فيه:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]. وقد وردت هذه الآية في: "الفصل" وهي صالحة للاستشهاد بها على كمال الاتصال، وعلى الإيضاح بعد الإبهام؛ لأن "النكات البلاغية" لا تتزاحم.

ومن الإطناب بالإيضاح في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١].

هذه الآية خطاب لليهود في عصر نـــزول القرآن، ولم يكن في هذا العصر رسل لله إلا محمد ﷺ فترتب على هذا إشكال أو غموض؛ لأن الله قال لهم: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ﴾ وفي هذا غرابة إذ كيف ينسب إليهم قتل الأنبياء في زمن خلا من الأنبياء.

فلما قال: "من قبل" استقام المعنى ووضح كما ترى بهذا التوضيح البليغ.

وإنما صح أن يشرك القرآن اليهود المعاصرين لنـــزوله في جرائم ارتكبها أسلافهم القدماء؛ لأن اليهود المخاطبين في عداوة الحق مثل أسلافهم فهم جميعًا مجرمون.

ومثله قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾؛ لأن قوله تعالى: "منكم" أوضحَ غموضًا عارضًا في الآية؛ لأن الآية لما أمرت بطاعة أولي الأمر، شمل كل ولاة الأمر من المؤمنين الذين نودوا في صدر الآية، ومن غير المؤمنين وهذا غير مراد.

فلما قال: "منكم" زال ذلك الغموض، وتحدد أولو الأمر الذين تجب علينا طاعتهم في غير معصية لله، وهم ولاة الأمر من المسلمين دون غيرهم.

ومن هذا شعرًا:

ثلاثة تشرق الدنيـــا ببهجتهـــــا  شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

لأن الشاعر أبهم في الشطر الأول، ووضح في الشطر الثاني.

وقد يسمى هذا: التفصيل بعد الإجمال.

**الإيغال:**

ومن الإطناب صورة تسمى "الإيغال" وهو لغة السير حتى النهاية حسيًّا كان السير أو معنويًّا.

وفي اصطلاح البلاغيين "هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تمامًا من غير أن يكون للقافية فيما ذكره صُنع، ثم يأتي بها لحاجة الشعر إليها ليكون شعرًا فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره في البيت".

ومن أمثلته:

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

يريد أن الإيغال في "لم يثقب"؛ لأن المعنى تم بدونها، فزاد بالإيغال فيه شيئًا هو عدم التثقيب وهو: التخريم، يعني: أن المعنى الذي أراد، الشاعر تم قبل القافية، فلما احتاج إلى القافية زادت المعنى معنى جديدًا هو: سلامة الجزع من التخريم، ويفهم من التعريف الذي ذكرناه أن الإيغال خاص بالنظم، والوقع أنه يأتي في النظم الشعري وغيره.

ومنه في القرآن قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**﴾ [النمل: ٨٠].

فقوله تعالى في فاصلة الآية: "إذا ولوا مدبرين" إيغالاً أتى بعد تمام المعنى، وقد زاد هذا الإيغال معنًى على أصل المراد؛ لأن فيه توكيدًا لنفي الفهم عنهم من جهتين:

**الأولى:** الصمم الذي في آذانهم وهو وحده كاف في نفي السماع عنهم، ونفى السماع. سبب في نفي الفهم.

الثانـــية: كونهـــم ولّوْا مدبرين معرضين عن الداعي وفرارهم منه، فاجتمع لنفي الفهم عنهم سببان كلٌّ منهما محقق للمراد.

التكرار:

ومن الإطناب التكرار، وهو إعادة اللفظ والمعنى حسب المقام قصرًا أو طولاً، وله دواع بلاغية تقتضيه، ومن ذلك: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣-٤]، كرر اللفظ والمعنى في الآيتين مرتين متجاورتين، والداعي البلاغي لهذا التكرار هو تأكيد التهديد والإنذار ولقوة الزجر.

ومنه: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ [غافر: ٣٩]، كرر "يا قوم" زيادة في النصح وشدًّا لانتباه السامع، وكان يمكن ألا يُعاد: "يا قوم" لكن زيادة التنبيه اقتضت ذكره.

ومنه قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٩]. وللتكرار في القرآن الكريم سلطان واسع، إما بتكرار الأداة أو الكلمة المفردة أو الجملة، أو الجمل كما في سور:

المرسلات: وقد تكرر فيها قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ مرات.

والقمر: وقد تكرر فيها: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ مرات.

والرحمن: وقد تكرر فيها: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرة.

وكان لهذا التكرار في هذه السور الثلاث وغيرها معان شديدة الأسْر للنفوس والإقناع للعقول، والإمتاع للعواطف، والإرهاف للمشاعر.

وكذلك في سورة "الكافرون" وهي من قصار السور، ومع هذا تجد للتكرار البليغ فيها أثرًا واضحًا، مع اختلاف يسير في مواضع التكرار.

الحشو:

فإن خلا الإطناب عمومًا من الفائدة سمي "حشوًا وتطويلاً" ومن أمثلته:

وقددت الأديم لراهشيه ... وألفى قولها كذبًا ومينا

الإطناب حدث بـ"كذبا ومينا" وهو خال من الفائدة؛ لأن الكذب هو المين، فلم يأت الإطناب هنا بفائدة.

ومنه:

ذكرت أخي فعاودني ... صداع الرأس والوصبُ

لأن الوصب هو الصداع، وبذلك خلا الإطناب من الفائدة، فهو -إذن- لا بلاغة فيه.

وبهذا انتهى الحديث عن فصول الوحدة السابعة، ولمن أراد المزيد فليرجع إلى كتب البلاغة؛ فإن فيها ما لم نذكره توخيًا للإيجاز.

## خلاصة الوحدة السابعة

درس المساواة من أقصر الدروس في علم البلاغة، أو هكذا سلك به البلاغيون -مختارين أو مكرهين- مع أنه في الواقع أصل التعبير عن المعاني في اللغة بوجه عام.

وخلاصة هذا الدرس:

- أن المساواة هي تأدية المعاني بألفاظ مساوية لها، لا تنقص عنها ولا تزيد.
- وهي فن محمود في البلاغة لبعدها عن الإسراف والإجحاف، واختصارها الزمن الذي يستغرقه الخطاب المفهم والبيان السريع.
- وهي خطاب مفيد للأذكياء إذا وضحت ألفاظه، وأسرعت معانيه إلى الفهم.
- ويحسن أسلوب المساواة؛ لأنه مظنة البعد عن التكلف والحشو المعيب.
- وهو يتطلب مهارة بمعاني اللغة ودلالات الألفاظ، من جانب المتكلم وجانب المخاطب.
- الإيجاز أحد أقسام الكلام الثلاثة وهو نوعان:
- إيجاز قصر، بكسر القاف وفتح الصاد، وضابطه أن لا يكون في الكلام حذف قط، ولكن الكلمات المستعملة فيه غنية بالمعاني نحو قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[الكافرون:٦].
- وإيجاز حذف، وهو ما حذف فيه حرف من بنية الكلمة، أو أداة من أدوات المعاني، أو كلمة مفردة، أو جملة، أو عدة جمل وهو حذف التراكيب.

**- والحذف له شرطان:**

- أن يبقى في الكلام ما يدل على الحذف.

- وأن يدعو إليه داع بلاغي، وهو في الذكر الحكيم كثير.

- الإطناب هو القسم الثالث من أقسام الكلام من حيث القِصر والطول.

- وضابط الإطناب هو زيادة الألفاظ على المعاني المراد بيانها.

- كل لون من ألوان الإطناب يشتمل على فائدة جديدة في المعنى المُطنب فيه.

- إذا خلا الإطناب من الفائدة سُمّي حشوًا وتطويلاً؛ لخلوه من الفائدة.

- بعض صور الإطناب شديدة التشابه، حتى لا يكاد يتبين الفرق بينها، وقد يعرّف لونان منه أو أكثر بـــ"تعريف واحد".

- من أبرز فنون الإطناب الاعتراض، والتذييل، والتتميم، والتكميل، ويسمّى الاحتراس كذلك، ثم التكرار، والإيغال، وعطف الخاص على العام. (وسيأتي مفردا في هذه الوحدة).

- هذه الفنون تقع في القرآن كما تقع في الشعر والنثر.

- للتكرار في البيان القرآني سلطان واسع في تثبيت المعاني وإحكامها.

## اختبار الوحدة السابعة

**أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:**

**ضع علامة(✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة(X) أمام العبارة الخطأ في كل مما يأتي:**

١- المساواة هي: تأدية المعاني بألفاظ مساوية لها لا تنقص عنها ولا تزيد.

٢- يحسن أسلوب المساواة؛ لأنه مظنة البعد عن التكلف والحشو المعيب.

٣- الإيجاز نوعان: إيجاز قصر، وإيجاز حذف.

٤- إيجاز القصر ضابطه أن لا يكون في الكلام حذف قط.

٥- إيجاز القصر ضابطه أن يكون في الكلام حذف كثير.

٦- إيجاز الحذف يكون بحذف حرف من بنية الكلمة أو أداة من أدوات المعاني، أو كلمة مفردة، أو جملة أو حذف عدة جمل.

٧- إيجاز الحذف لا يكون بحذف حرف من بنية الكلمة أو أداة من أدوات المعاني.

٨- للحذف شرطان هما: أن يبقي في الكلام ما يدل على الحذف، وأن يدعو إليه داع بلاغي.

٩- للحذف شرط واحد هو أن يبقي في الكلام ما يدل على الحذف.

١٠- ضابط الإطناب هو: زيادة الألفاظ على المعاني المراد بيانها.

١١- كل لون من ألوان الإطناب يشتمل على فائدة جديدة في المعنى المطنب فيه.

١٢- لابد أن لا يشتمل كل لون من ألوان الإطناب على فائدة جديدة في المعنى.

١٣- إذا خلا الإطناب من الفائدة سمي حشوًا وتطويلاً.

١٤- إذا اشتمل الإطناب على فائدة سمي حشوًا وتطويلاً.

١٥- بعض صور الإطناب شديدة التشابه.

١٦- كل صور الإطناب مختلفة عن بعضها اختلافًا بينًا.

١٧- من فنون الإطناب: الاعتراض، والتذييل، والتتميم، والتكميل والتكرار

والإيغال، وعطف الخاص على العام.

١٨- ليس من صور الإطناب الإعراض، والتذييل، والتكميل.

١٩- يقع الإطناب في القرآن الكريم كما يقع في سائر الفنون الأدبية.

٢٠- لا يقع الإطناب في الشعر خاصة.

**ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:**

**١- المساواة شكل من أشكال:**

أ- الإيجاز. ب- الإطناب. ج- الحشو. د-كل ما سبق ليس صوابًا.

**٢- الإيجاز نوعان هما:**

أ- إيجاز قصر، وإيجاز حشو. ب- المساواة والإطناب. ج- كلاهما صحيح

**٣- إيجاز القصر، ضابطه:**

أ- أن يكون في الكلام حشو كثير.

ب- أن يكون في الكلام حذف كثير.

ج- أن لا يكون في الكلام حذف قط.

**٤- إيجاز الحذف يكون بـــ:**

أ- حذف حرف من بنية الكلمة.

ب- حذف أداة أو كلمة أو جملة أو جمل.

ج- جميع ما سبق.

**٥- للحذف:**

أ- شرطان. ب- ثلاثة شروط. ج- خمسة شروط.

**٦- ضابط الإطناب هو:**

أ- زيادة الألفاظ عن المعاني المراد بيانها.

ب- قلة الألفاظ عن المعاني المراد بيانها.

ج- كلاهما ليس صحيحًا.

**٧- إذا خلا الإطناب من الفائدة سمي:**

أ- حشوًا وتطويلاً. ب-حذفًا. ج-مساواة.

**٨- بعض صور الإطناب:**

أ- شديدة الاختلاف. ب- شديدة التشابه. ج- كلاهما صحيح.

**٩- من فنون الإطناب:**

أ- الاعتراض، والتذييل، والتتميم، والتكميل.

ب-التكرار، والإفعال، وعطف العام على الخاص.

ج- جميع ما سبق.

**١٠- الإطناب:**

أ- يقع في القرآن الكريم كما يقع في سائر الفنون الأدبية.

ب- يختص وقوعه بالشعر دون غيره من الفنون.

ج- لا يقع إلا في النثر الفني فقط.

**ثالثًا: الأسئلة المقالية:**

**أولاً: أجب على الأسئلة الآتية:**

١- فرّق بين إيجاز القصر وإيجاز الحذف، ممثلاً لكل منهما بمثال مأثور أو من إنشائك.

٢- وضع البلاغيون للحذف شرطين فما هما؟ وما فائدتهما في سلامة الكلام من العيوب؟

٣- يتنوع الإيجاز بالحذف خمسة أنواع. اذكرها في إيجاز.

٤- وإن تولني منك الجميل فأهله وإلا فأني عـــــاذر وشكور

من أي نوعٍ الإيجازُ بالحذف في البيت المذكور.

٥- قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائـــــم وحزن طويل

في البيت إيجازان بحذف كلمة مفردة فوضحهما.

٦-اذكر مثالاً لإيجاز بحذف حرف في بنية الكلمة من حروف الهجاء.

**ثانيًا: في العبارات الآتية صور مختلفة من الإيجاز بالحذف، الإطناب، أبرزْ كل لون منها على حدة، مسميًا له باسمه عند البلاغيين:**

أ - ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النحل:١١٠].

ب - ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾[نوح:٩].

ج - ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[الأعلى:٢-٣].

د - ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[الإنسان:٨].

هـ - أتاك أتاك اللاحقون احبسي احبسي.

و - ذكرت أخي فعاودني صداع الرأس والوصبُ

ز - ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي﴾[طه: ٢٩].

ح - ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[المنافقون:١].

ط - فإن تولني منك الجميل فأهله وإلا فإني عاذر وشكـــــور

ي - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنــزلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنــزلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ﴾ [البقرة:٩١].

ك - ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[لكهف:١٩].

ل - ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[القصص: ٨٣].

م - همتي همة الملوك ونفسي نفس حرٍّ ترى المذلّة كفرا

# النشاط التعليمي للوحدة السابعة

**عزيزي الدارس:** حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

اختر إحدى السور الثلاث: القمر، الرحمن، الواقعة، وبين ما يبدو لك فيها من صور الإيجاز بالحذف وإيجاز قصر، ودوِّن ذلك في كراسة خاصة بك، واستعن بأستاذ المادة ليقوّم ما كتبت.

اقرأ سورة "القمر" في تفسير "المحرر الوجيز لابن عطية"، ثم حاول إبراز ما فيها من ألوان الإطناب والإيجاز بالحذف، بعد الإطلاع الجيد على شرحها في الكشاف للزمخشري، أو تفسير "أبي السعود"، مستعينًا بأستاذك في الجامعة الأمريكية المفتوحة.

# الوحدة الثامنة

# الإخراج على خلاف الظاهر

# الوحدة الثامنة

## الإخراج على خلاف الظاهر

**مبررات دراسة الوحدة:**

**عزيزي الدارس:** الإخراج على خلاف الظاهر هو موضوع وحدتنا هذه، وهو مبحث عظيم الفائدة، جمّ النفع، يشتمل على سمات بلاغية متفرعة عن الأصول والقواعد التي تقدم الحديث عنها في الوحدات السابقة ومباحثها.

وأنت في هذه الوحدة سوف تعرف معنى الإخراج على خلاف الظاهر بشواهده القرآنية والأدبية، وتعرف الالتفات وصوره المختلفة من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، كما سوف تتعرض الوحدة للحديث عن وضع المضمر مكان المظهر ووضع المظهر مكان المضمر، ممثلة لكل ذلك من القرآن الكريم وعيون الشعر العربي القديم.

عزيزي الدارس: سوف تنعم بهذا وغيره في طيات هذه الوحدة، فإلى دراستها.

**الأهداف التعليمية للوحدة:**

**عزيزي الدارس:** يرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١- تشرح معنى الإخراج على خلاف الظاهر.

٢- تعدد صور الإخراج على خلاف الظاهر في علم البلاغة.

٣- تعرف الالتفات لغة واصطلاحًا مع ذكر أربعة من صور الالتفات.

٤- تذكر بعض صور الالتفات البلاغية.

٥- تستخدم الالتفات من الخطاب إلى الغيبة بصورة بلاغية صحيحة.

٦- تمثل للالتفات من الغيبة إلى الخطاب من القرآن الكريم والشعر العربي.

٧- تبين كيف تضع الـمُظْهَر موضع المضمر بلاغيًا.

٨- توضح كيف تستخدم المضمر مكان المظهر بشكل سليم.

٩- تمثل من القرآن الكريم وعيون الشعر العربي لوضع المظهر موضع المضمر وعكسه.

١٠- تشرح وضع الماضي موضع المضارع وعكسه مع التمثيل من القرآن الكريم لذلك.

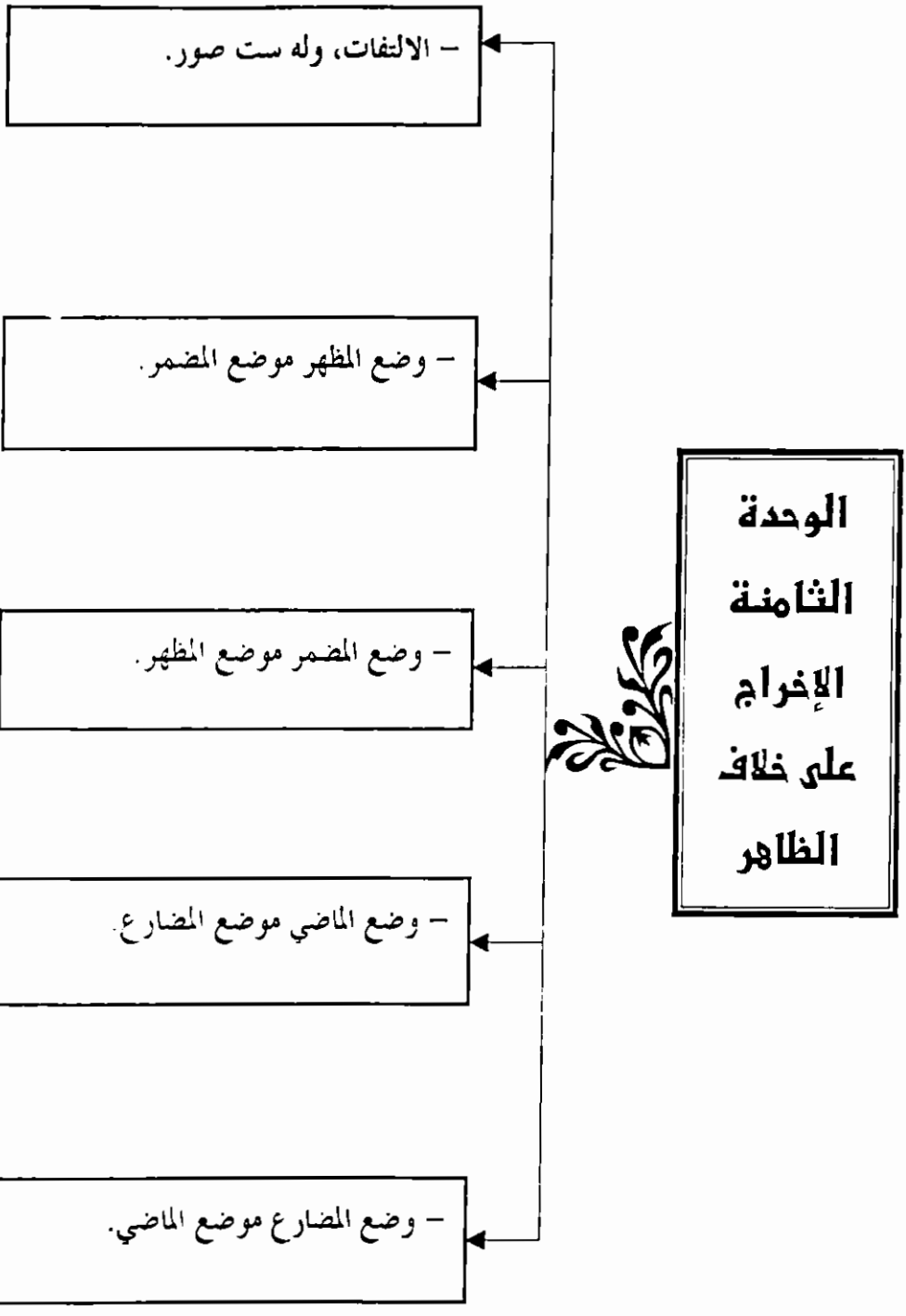
الوحدة الثامنة
الإخراج على خلاف الظاهر
- الالتفات، وله ست صور.
- وضع المظهر موضع المضمر.
- وضع المضمر موضع المظهر.
- وضع الماضي موضع المضارع.
- وضع المضارع موضع الماضي.

# الوحدة الثامنة

## الإخراج على خلاف الظاهر

البلاغة فن جميل حقًّا، ومرتبتها تأتي فوق العلوم والفنون جميعًا؛ لأنها تبدأ من حيث تنتهي كل العلوم والفنون، فهي كالضوء الأبيض تشتمل على جميع الألوان، مستفيدة من كل ألوان المعرفة الإنسانية، مهما اختلفت وظائفها، ومناهجها وغاياتها.

وهذه الوحدة: "الإخراج على خلاف الظاهر" مبحث جم الفوائد، يشتمل على سمات بلاغية، متفرعة عن الأصول والقواعد التي تقدم الحديث عنها في الفصول السابقة، باعتبار أنها نمط ثان فوق تلك الأصول والقواعد، يرجع الأمر فيها إلى البليغ نفسه، حسبما تملي عليه حاجة البيان الجميل، وإن أدى هذا إلى مخالفة الأصول والقواعد، التي حددها البلاغيون لفنون القول المختلفة.

ومعنى الإخراج على خلاف الظاهر أن البليغ أحيانًا لا يكون ملزمًا في خطابه البياني بما تقتضيه المعايير البلاغية المدروسة، بل له أن يتجاوزها لاعتبار مناسب يراه هو أنسب للمقام الذي قدَّره بخبرته البلاغية من طول المراس.

فالإخراج هو الأداء القولي، أما الظاهر فهو المقام أو الحال التي عليها المخاطب في ظاهر حاله.

فغير الْمُنْكِر لمضمون الخبر، إذا كان خاليَ الذهن، أو مترددًا أو مسلّمًا بمضمون الخبر قد ينزل منزلة المنكر، ويؤكد له الخبر كما يؤكد للمنكر، وقد ورد هذا في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[الزمر: ٣٠-٣١].

المخاطب في: "إنك ميت وإنهم ميتون" هو الرسول ﷺ، والناس جميعًا وهم لا ينكرون الموت أبدًا، بل يؤمنون به على وجه اليقين.

وكان مقتضى هذا أن يذكّروا بالموت مجرد تذكير، لا أن يُلقَى إليهم الخطاب مؤكدًا بمؤكدين: إنَّ، واسمية الجملة، فلماذا إذن خولف الخطاب معهم؟

والجواب: أن المخاطبين هنا -ما عدا النبي- لما أهمكوا في طلب الحياة الدنيا وزينتها، وزهدوا في الحياة الآخرة، ونعيمها نـزلوا منـزلة من يعتقد أنه لن يموت، فخوطبوا خطاب المنكر على هذا الأساس.

وهذا هو الإخراج على خلاف الظاهر؛ لأن ظاهر الحال يقتضي عدم التوكيد، لكنه جاء مؤكدًا على خلاف الظاهر، للاعتبار اللطيف الذي تقدم.

وفي منكري البعث وردت هذه الآية: ﴿ **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾[يس: ٧٩]. أُورد إليهم الخطاب خاليًا من المؤكّدات مع أن المخاطب شديد الإنكار، حيث قال -وقد حمل بين يديه عظمًا مسحوقًا وذرّاه في الريح: "من يحيي العظام وهي رميم" وأنت خبير أن الله أورد له الخبر على خلاف الظاهر، ولم يُقم لإنكاره وزنًا ونـزّله منـزلة الجاهل فحسب؛ وذلك لاعتبار لطيف كذلك، هو التعريض بغباوة منكر البعث؛ لأن الدلائل على وقوع البعث لائحة أمامه فلم يهتد إليها، ولو تأملها لزال الإنكار من أقصر طريق؛ فالبعث لا ينكر مع تأمل دلائله في الكون وآياته.

ومن ذلك شعرًا:

جاء شقيق عارضًا رمحه  إن بني عمك فيهم رماح

شقيق هذا رجل من العرب، كان بينه وبين قوم الشاعر خصومة ودماء، فمر بديار قوم الشاعر، غير عابئ بهم، ولا آخذ بالإمساك برمحه، كأنه مستهتر

بهم، منكر أن فيهم فرسانًا، مع أنه يعلم أن فيهم رجالاً شجعانًا ممارسي قتال. لذلك نـــزّله الشاعر منـــزلة المنكر، وهو عالم فأكد له الخبر كما يؤكد للمنكر. "إن بني عمك فيهم رماح". أكد الخبر بـــ: "إنَّ" و"اسمية الجملة" إخراجًا للكلام على خلاف الظاهر لاعتبار لطيف.

هذا، وقد ينـــزّل العالم منـــزلة غير العالم فيخاطَب خطاب المنكر، إذا جرى حاله على خلاف علمه، ومقتضى حال العالم السكوت أي لا يلقى إليه خطاب أساسًا، فإذا نـــزلناه منـــزلة المنكر خاطبناه، خطاب المنكر.

كما إذا رأيت عالمًا يلهو في وقت صلاة ولا يبادر إلى المسجد، وهو قريب منه، حتى أقيمت الصلاة وهو على حاله تلك من اللهو، فإنك تنبهه وتشدد عليه في الإنكار كأن تقول: إن الصلاة ركن من أركان الإسلام، وإن أدائها في وقتها واجب، والتشاغل عنها حتى يخرج وقتها حرام.

هذا هو المناسب لحاله؛ لأن علمه لما لم يعمل به نـــزلناه منـــزلة المنكر الشديد الإنكار، وأخرجنا له الكلام على مقتضى الحال التي عرفت، وهكذا تتصرف في القول حسبما تراه الاعتبارات المناسبة.

**صور الإخراج على خلاف الظاهر:**

وللإخراج على خلاف الظاهر صور؛ منها:

**أولاً: الالتفات:**

وهو التعبير عن المعنى بإحدى الطرق الثلاث: (الخطاب التكلم، الغيبة)، بعد التعبير عنه بواحدة منها، فالالتفات يشترط فيه تكرار التعبير عن المعنى مرتين:

**إحداهما:** تسمى الملتفت عنه.

**والأخرى:** تسمى الملتفت إليه.

وله ست صور هكذا:

١- من الخطاب إلى لغيبة. ٢- من الغيبة إلى الخطاب.

٣- من التكلم إلى الخطاب. ٤- من الخطاب إلى التكلم.

٥- من التكلم إلى العيبة. ٦- من الغيبة إلى التكلم.

وإليك بيان كل واحدة منها في الآتي:

**١- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:**

جاء في قوله تعالى:﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾[يونس:٢٢]. خاطبهم في صدر الآية فقال: "كنتم" ثم تحدث عنهم حديث الغائب في: "جرين بهم".

والسر البلاغي في هذا الانتقال أو الالتفات من الخطاب إلى الغيبة أنهم كانوا وهم ملاصقون للبر لم تبحر بهم الفلك، كانوا قريبين فخوطبوا خطاب القريب.

أما وقد أبحرت بهم الفلك وقطعت بهم مسافات طويلة في البحر فقد بعُدوا، فخوطبوا خطاب الغائب.

وفي هذا رمز إلى سرعة جري الفلك بهم، وهي من تمام نعمة الله على عباده، كما قال ﷻ: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾[البقرة: ١٦٤].

**٢- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:**

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. بدأت السورة بالثناء على الله على الغيبة؛ لأن الاسم الظاهر وهو: "الله" "الرحمن الرحيم مالك يوم الدين" من قبيل الغيبة.

ثم انتقلت منه إلى الخطاب: "إياك نعبد وإياك نستعين"، والسر في هذا العدول من الغيبة إلى الخطاب أن العبد إذا قال: "الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم لدين" رفع الشواغل عن قلبه، وطوى ما كان بينه وبين الله

من بُعد بسبب الشواغل النفسية والقلبية، بعد هذا شعر أنه قريب من الله فخاطبه وهو حاضر بين يديه كأنه يراه، وإن لم يكن هو يراه فإن الله يراه ويحتمل أن يكون الداعي البلاغي أن سر العدول من الغيبة إلى الخطاب، أن الخطاب هنا تضمن طلبًا ودعاء، وهذا يقتضي أن يكون المدعوّ المطلوب وهو الله مخاطبًا للعبد؛ لأنه أحرى للقبول وأدعى لاطمئنان النفس.

**٣- الالتفات من التكلم إلى الخطاب:**

﴿وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢].

بدأ بالتكلم فقال: "ومالي لا أعبدُ الذي فطرني"، ثم التفت إلى الخطاب فقال: "وإليه ترجعون"، والسر البلاغي في هذا العدول أنه لو قال: وإليه أرجع، لأفهم أنهم ليسوا مثله في الرجوع إلى الله، وأنه لا سلطان له عليهم، فكانت البلاغة أن يقول: "وإليه ترجعون" محذرًا لهم من سوء المصير إذا لم يفردوا الله بالولاء والعبادة.

ولم يجمعهم معه في العبادة لله في قوله: "وما لي لا أعبد"؛ لأنهم لم يكونوا عابدين له ساعة وجه إليهم هذا الخطاب، فانظر إلى بلاغة هذا البيان المعجز.

**٤- الالتفات من الخطاب إلى التكلم:**

قول علقمة بن عبدة:

طحا بك قلب في الحسان طروب　　بعيد الشباب عصر حان مشيب

يكلفـــني ليلـــــى وقد شط ليلها　　وعادت عواد بيننـــا وخطوب

يتباكى الشاعر على فراق محبوبته وتغيُّر الحال بعد الفراق، وكان معنىً بحبها، كثير التعلق بها، وقد التفت الشاعر من الخطاب في: "بك" إلى التكلم في: "يكلفني".

٥- الالتفات من التكلم إلى الغيبة:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ١-٢].

بدأ بالتكلم فقال: "إنا أعطيناك" ثم عدل عنه إلى الغيبة فقال: "فصل لربك". وسر العدول -كما هو ظاهر: أن "إنا أعطيناك الكوثر" نعمة أنعمها الله على رسوله الكريم، فتناسب أن يقول له في الشكر على هذه النعمة "فصل لربك"؛ لأن "الرب" هو وليّ النعم، فذلك من خصوصياته من بين الأسماء الحسنى.

٦- الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

ومنه قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ﴾[فاطر:٩]. وقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سحاباً ثقالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ المَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمرات﴾ [الأعراف:٥٧].

فقد التفت في الآيتين الكريمتين مرتين من الغيبة إلى المتكلم، والالتفات حدث بالفعل "سقناه" مسندًا إلى ضمير المتكلم، والسر في هذا العدول من الغيبة إلى متكلم هو: إظهار كمال النعمة على العباد، وهناك سبب آخر هو أن الذي يسوق السحاب هو الله وليس الرياح؛ لأنها مأمورة بأمره تعالى.

ومما فيه ثلاثة التفاتات من الشعر قول امرئ القيس:

تطاول ليلك بالإثمد ... ونام الخلي ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة ... كليلة ذي العائر الأرمد

وذلك من نبأ جاءني ... وخبرته من بني الأسود

في البيت الأول التفات في: "ليلك" والشاعر يقصد نفسه، فكان ينبغي أن

يقول: تطاول "ليلي"، وفي البيت الثاني التفات في قوله "له" يعني نفسه، وكان ينبغي أن يقول "لي"، وفي الثالث التفات في قوله "وذلك من نبأ جاءني"[1].

والصواب أن البيت الأول ليس فيه التفات على مذهب جمهور البلاغيين الذي تقدم، بل على مذهب السكاكي.

**ثانيًا: وضع المظهر موضع المضمر وعكسه:**

كان الالتفات من الإخراج على خلاف الظاهر؛ لأن المتكلم إذا بدأ الخطاب مثلاً كان مقتضى ظاهر الحال أن يستمر على هذا النهج، فإذا عدل عن الخطاب إلى الغيبة فقد أخرج الكلام على خلاف الظاهر، وهكذا بقية الصور.

ومن صور الإخراج على خلاف الظاهر بهذا الاعتبار الذي أشرنا إليه في الالتفات آنفًا، أسلوبان آخران:

**أحدهما:** وضع المظهر موضع المضمر.

**وثانيهما:** وضع المضمر موضع المظهر.

ولكل منهما داع بلاغي يجعل التعبير بهما بلاغة، وتفصيل ذلك كما يلي:

**١- وضع المظهر موضع المضمر:**

فمثال وضع المظهر موضع المضمر قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الحجرات: ١]، بعد أن ذكر اسمًا مظهرًا في قوله: "اتقوا الله" كان مقتضى الظاهر أن يعيد الحدث بالمضمر فيقول: إنه سميع عليم، ولكن هذا الظاهر خولف وجيء باسم الجلالة مظهرًا مرة ثانية فقال: "إن الله سميع عليم"، وسر العدول عن المضمر إلى المظهر هو تربية المهابة في نفوس المخاطبين، والمقام يقتضي هذا الإظهار؛ لأنه جمع بين

(١) انظر: الإيضاح (٢/٩٠).

نهي المؤمنين أن يقدموا بين يدي الله ورسوله، والأمر بتقوى الله ﷻ فناسب ذلك إظهار اسم الجلالة "الله" مكان إضماره، ولا شك أن الضمير وهو كناية عن شيء أقل تأثيرًا من الإظهار، ولكل مقام مقالٌ في البيان الرفيع، وخاصة القرآن. ومنه كذلك: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٨٢].

وُضِعَ المظهر موضع المضمر في هذا الجزء من الآية مرتين: فبعد أن قال: "واتقوا الله" كان مقتضى الظاهر أن يعيد الحديث عن اسم الجلالة بالإضمار لا بالإظهار، فيقول: واتقوا الله ويعلمكم الله وهو بكل شيء عليم. هذا هو مقتضى الظاهر، ولكن خولف كما ترى لداع بلاغي، فجيء باسم الجلالة مظهرًا مرتين هكذا: "ويعلمكم الله، والله بكل شيء عليم" وسر العدول عن المضمر إلى المظهر أن المقام مقام وعد بالعلم والهداية، والله هو مصدر الفيوضات العظيمة فأوثر إظهار اسم الجلالة لمناسبة المقام، ومن وضع المظهر موضع المضمر شعرًا:

إن تسألوا الحق نعط الحق سائله ... والدرع محقبة والسيف مقروب

أي نعطي الحق سائله والدرع في حقبها والسيف في بنيته، أي نعطيه بلا قتال، وفي البيت شاهد على وضع المظهر موضع المضمر في قوله: "إن تسألوا الحق نعط الحق" وظاهر الحال كان يقتضي أن يقول: إن تسألوا الحق نعطه. بالإضمار لا بالإظهار، ولكن خولف هذا الظاهر لأمرين:

**الأول**: إظهار العناية بالحق، وتعظيمه.

**والثاني**: حاجة الوزن الشعري؛ لأنه لو قال: نعطه لاختل الوزن.

ومنه قول الشاعر:

إلهـــي عبدك العاصي أتاك ... مقرًا بالذنوب وقد دعاك

قال: عبدك بدل: أنا؛ وسر العدول إليه هو إظهار العبودية والتذلل إلى الله

بإضافة العبد إليه سبحانه فقال: "عبدك".

**٢- وضع المضمر موضع المظهر:**

أما وضع المضمر موضع المظهر فقليل، وبعض شواهده متكلفة، أو مصنوعة، وأكثر ما يردده البلاغيون في أمثلته: ما يسمى عندهم ضمير الشأن وضمير القصة، وهما كل ضمير ابتدأ به الكلام وليس له فيه مرجع، وضمير الشأن يكون مذكرًا، أما ضمير القصة فيكون مؤنثًا.

ومن أمثلته: ﴿**فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ الَتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: ٤٦]. فالهاء في "فإنها" ضمير القصة، أي القصة هي ليست عمى الأبصار، بل عمى القلوب التي في الصدور، ويريدون بالقصة الوجود الخارجي، للشيء والمعتبر هو عمى القلوب.

- ومنها كذلك حسب ما مثلوا به:

﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ فقد أضمر "هو" وليس له مرجع في الكلام، والضمير هنا مذكر "هو" والمعنى: الشأن أن الله واحد، لا شريك له، ومنه شعرًا في ذم الدنيا:

هي الدنيا تقـــول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي

فلا يغـــركـــمُ مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي

أي القصة هي التحذير من الدنيا؛ لأن لها حالين مطمعًا وموبقا.

- وكذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الأنعام: ٢١]. أي الحال والشأن الذي لا مفر منه: خسران الظالمين.

- ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ، وقد سئل عن ماء البحر: "**هو الطهور ماؤه، الحل ميتته**"، فوضع المضمر "هو" مكان المظهر "البحر".

وفي القرآن الكريم: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فقد ورد الضمير "هو" في هذه الآيات أربع مرات، مرادًا به ما بعده لا ما قبله، وهذا صالح للاستشهاد به على وَضْع المضمر موضع المظهر كما ترى، والأصل أن يعود الضمير على ما قبله لا على ما بعده.

وتعرف هذه الأساليب التي يحل بعضها محل الآخر في النقد الحديث بـــ: تبادل الصيغ، مكان الإخراج على خلاف الظاهر.

**ثالثًا: وضع الماضي موضع المضارع وعكسه:**

ومن الإخراج على خلاف الظاهر، أو من تبادل الصيغ أسلوبان آخران غير ما تقدم، هما:

١- وضع الماضي موضع المضارع.

٢- وضع المضارع المستقبل موضع الماضي.

ويؤدي هذان الأسلوبان أغراضًا بلاغية من أجلها كانا في البيان العربي الرفيع، وبخاصة القرآن الكريم، وتفصيل ذلك كما يلي:

**١- وضع الماضي موضع المضارع:**

- ومن أمثلة وضع الماضي موضع المضارع قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١].

في صدر الآية تجد هذه العبارة: "أتى أمر الله"، وأمر الله هو البعث من القبور للحساب والثواب والعقاب، وهو لم يأت بعد، ولكنه سيأتي كما هو في

علم الله، والفعل "أتى" يفيد أن يوم القيامة جاء فعلاً؛ لأن الماضي -عمومًا- يدل على وقوع معناه قبل زمن التكلم، كما تقول: التحقت بالجامعة؛ لا تقول هذا الكلام إلا بعد قبولك في الجامعة، واستمرارك فيها.

إذن كان حق التعبير أن يقال: يأتي أمر الله فلا تستعجلوه. ومع قليل من النظر ندرك أن الفعل الماضي هنا حل محل المضارع، وأن مقتضى الظاهر أن يقال: يأتي أمر الله.. لا "أتى أمر الله" ولكن خولف هذا الظاهر فقيل: "أتى أمر الله" لسرٍّ بلاغيٍّ اقتضى هذه المخالفة وهو: تشبيه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي لتحقّق الوقوع في كل منهما.

أي أن البعث والنشور والثواب والعقاب سيأتي يقينًا. من أجل ذلك حل الماضي محل المستقبل.

وكذلك قول الله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً﴾ [الكهف: ٩٩]. في هذه الآية ثلاثة أفعال ماضية حلت محل المضارع، وهي: (تركنا، نفخ، جمعناهم)، والأحداث التي هي معنى هذه الأفعال لم تقع حتى الآن، وستقع حين يأذن الله بها؛ لأنها من أهوال القيامة، فعدل القرآن عن التعبير عنها بالمضارع: (نترك، ننفخ، نجمع) إلى صيغة الماضي، للدلالة على أن هذه الأحداث لا شك فيها، وستقع على وجه اليقين، فكان سر العدول إلى الماضي هو تأكيد وقوعها.

**٢- وضع المضارع المستقبل موضع الماضي:**

يوضع المستقبل (المضارع) موضع الماضي في فصيح الكلام لغرض بلاغيٍّ هو استحضار صورة ما كان كأنه يكون الآن، وقد ورد ذلك في الشعر الجاهلي في قول الشاعر، وهو يحكي صراعًا دار بينه وبين الضبع فانتصر عليها.

فأضربها بلا دهش فخرت صريعًا لليدين وللجـــران

قال: "فأضربها" بالمضارع بدل الماضي "ضربتها" وَقَصْده من هذا استحضار صورة الصراع، فكأن السامع يشاهد الصراع بينهما وهو يقع أمامه في الحال.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٦٧-٧١].

اقرأ هذه الآيات الكريمات، ثم ركز النظر على ما حكاه موسى عليه السلام لقومه من إجابات الله على أسئلتهم، تجدها كلها محكية بالفعل المضارع هكذا: "قال إنه يقول" "قال" الأولى أي موسى عليه السلام، أما "إنه يقول" فهو الله جل جلاله، وكان هذا الفعل من حقه أن يكون ماضيًا: "إنه قال"؛ هذا مقتضى الظاهر لكن خولف هذا الظاهر لأمرين:

**الأول**: تربية المهابة في نفوس بني إسرائيل قوم موسى بتصوير ما قيل قبل زمن التكلم بأنه يقال في زمن تكلُّم موسى لهم، وهذا ما يعنيه البلاغيون باستحضار صورة ما مضى كأنه يشاهد الآن.

**والثاني**: كراهة التكرار لو قال على مقتضى الظاهر: "قال إنه قال"، والأول هو الأساس في تبديل الصيغة: من الماضي إلى المضارع.

ومنه قول الشعر يحكي لنا كيف ثبَّت نفسه عند لقاء الأعداء:

أقول لها وقد طارت شعاعًا من الأعداء ويحك لـــن تراعي

فإنك لو طلبت بقـــاء يوم على الأجل الذي لك لن تطاعي

فصبرًا في مجال الموت صبرًا فما نيل الخلـــود بمستطـــاعِ

# خلاصة الوحدة الثامنة

- الإخراج على خلاف الظاهر مبحث لا يختص بفن معين من فنون البلاغة، بل هو مبحث عام، وإن كان وثيق الصلة بعلم المعاني.

- ومنه أن لا يقيم البليغ وزنًا لظاهر الحال إذا رأى في مخالفته اعتبارًا لطيفًا مناسبًا؛ كأن ينـــزل العالم منـــزلة المنكر، والمنكر منـــزلة خالي الذهن... وهكذا.

- ومنه الالتفات بصورِه الستّ التي مرت بنا في الدارسة.

- ومنه وضع المضمر موضع المظهر، ووضع المظهر موضع المضمر لدواعٍ بلاغية.

- ومنه وضع الماضي موضع المضارع المستقبل لاعتبار لطيف مناسب.

- ومنه وضع المضارع موضع الماضي... وهكذا[1].

(١) راجع مبحث الإخراج على خلاف الظاهر في كتاب: "الإيضاح" للخطيب القزويني ففيه إضافات أخرى.

# اختبار الوحدة الثامنة

**أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:**

**ضع علامة(✓)أمام العبارة الصحيحة وعلامة(×)أمام العبارة الخطأ في كل مما يأتي:**

١- الإخراج على خلاف الظاهر مبحث وثيق الصلة بعلم المعاني.

٢- مـــن الإخراج على خلاف الظاهر: أن لا يقيم البليغ وزنًا لظاهر الحال، إذا رأى في مخالفته اعتبارًا لطيفًا مناسبًا.

٣- من صور الإخراج على خلاف الظاهر: الالتفات.

٤- الالتفات ظاهرة لا تمتّ للإخراج على خلاف الظاهر بصلة.

٥- وضع المضمر موضع المظهر وعكسه من صور الإخراج على خلاف الظاهر.

٦- من صور الإخراج على خلاف الظاهر: وضع الماضي موضع المضارع.

**ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:**

**١- الإخراج على خلاف الظاهر مبحث:**

أ- وثيق الصلة بعلم المعاني.

ب- لا علاقة لـــه بعلم المعاني.

**٢- أن لا يقيم البليغ وزنًا لظاهر الحال فهذا:**

أ- من صور الإخراج على خلاف الظاهر.

ب- ليس من صور الإخراج على خلاف الظاهر.

**٣- من صور الإخراج على خلاف الظاهر:**

أ- الالتفات.

ب- وضع المضمر موضع المظهر وعكسه.

ج- وضع المضارع موضع الماضي وعكسه.

د- جميع ما سبق.

**ثالثًا: الأسئلة المقالية:**

بين ما في العبارات الآتية من صور الإخراج على خلاف الظاهر:

١- قولك للعالم بوجوب الصلاة: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً﴾.

٢- إذ قال الأمير عن نفسه: الأمير حضر لديكم.

٣- ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾.

٤- جاء شقيق عـــارضًا رمحه إن بني عمك فيهم رماح

٥- فأضربها بلا دهش فخرت صريعًا لليدين وللجـــران

٦- ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً﴾.

٧- ﴿وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

# النشاط التعليمي للوحدة الثامنة

**عزيزي الدارس:** حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

- أعدّ بحثًا عن "الإخراج على خلاف الظاهر" مستوعبًا فيه كل صوره، مستعينًا بكتاب الإيضاح للخطيب القزويني.

# فهرس الكتاب


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| رسالة إلى الدارس | ٤ |
| لوحة المسار لدراسة وحدات الكتاب | ٥ |
| خريطة مكونات الكتاب | ٦ |
| **الوحدة الأولى: نشأة البلاغة وتطورها** | ٧-٢٩ |
| مبررات دراسة الوحدة | ٨ |
| الأهداف التعليمية للوحدة | ٩ |
| الرسم الخطي للوحدة | ١٠ |
| أولاً: البلاغة فنًا | ١١ |
| ثانيًا: البلاغة علمًا | ١٢ |
| ثالثًا: المدارس البلاغية واتجاهاتها | ٢٥ |
| خلاصة الوحدة الأولى | ٢٧ |
| اختبار الوحدة الأولى | ٢٨ |
| **الوحدة الثانية: الفصاحة والبلاغة** | ٣١-٦١ |
| مبررات دراسة الوحدة | ٣٢ |
| الأهداف التعليمية للوحدة | ٣٣ |
| الرسم الخطي للوحدة | ٣٤ |
| أولاً: الفصاحة | ٣٥ |

| | |
|---|---|
| ثانيًا: البلاغة | ٤٦ |
| خلاصة الوحدة الثانية | ٥٦ |
| اختبار الوحدة الثانية | ٥٧ |
| النشاط التعليمي للوحدة الثانية | ٦١ |
| **الوحدة الثالثة: علم المعاني** | ٦٣-٧٩ |
| مبررات دراسة الوحدة الثالثة | ٦٤ |
| الأهداف التعليمية للوحدة | ٦٥ |
| الرسم الخطي للوحدة الثالثة | ٦٦ |
| تعريف علم المعاني | ٦٧ |
| مباحث علم المعاني | ٦٨ |
| خلاصة الوحدة الثالثة | ٧٣ |
| اختبار الوحدة الثالثة | ٧٤ |
| النشاط التعليمي للوحدة الثالثة | ٧٩ |
| **الوحدة الرابعة: الإسناد** | ٨١-١٢٠ |
| مبررات دراسة الوحدة الرابعة | ٨٢ |
| الأهداف التعليمية للوحدة | ٨٣ |
| الرسم الخطي للوحدة الرابعة | ٨٤ |
| أولًا: الإسناد | ٨٥ |
| إجابات نموذجية على أسئلة مقترحة | ٨٩ |
| ثانيًا: أحوال المسند إليه | ٩٠ |

| | |
|---|---|
| إجابات نموذجية على أسئلة مقترحة | ٩٥ |
| ثالثًا: أحوال المسند | ٩٧ |
| إجابات نموذجية على أسئلة مقترحة | ١٠٤ |
| رابعًا: متعلقات الفعل | ١٠٥ |
| إجابات نموذجية على أسئلة مقترحة | ١١٠ |
| خلاصة الوحدة الرابعة | ١١٢ |
| اختبار الوحدة الرابعة | ١١٤ |
| النشاط التعليمي للوحدة الرابعة | ١١٩ |
| **الوحدة الخامسة: القصر وطرقه - الفصل والوصل** | ١٢١-١٧٠ |
| مبررات دراسة الوحدة الخامسة | ١٢٢ |
| الأهداف التعليمية للوحدة | ١٢٣ |
| الرسم الخطي للوحدة الخامسة | ١٢٤ |
| أولاً: القصر وطرقه | ١٢٥ |
| إجابات نموذجية على أسئلة مقترحة | ١٤٣ |
| ثانيًا: الفصل بين الجمل | ١٤٥ |
| إجابات نموذجية على أسئلة مقترحة | ١٥٣ |
| ثالثًا: الوصل بين الجمل | ١٥٤ |
| خلاصة الوحدة الخامسة | ١٦٣ |
| اختبار الوحدة الخامسة | ١٦٤ |
| النشاط التعليمي للوحدة الخامسة | ١٧٠ |

**الوحدة السادسة: الخبر والإنشاء** ١٧١-٢٠٢

مبررات دارسة الوحدة السادسة ١٧٢

الأهداف التعليمية للوحدة ١٧٣

الرسم الخطي للوحدة السادسة ١٧٤

أولاً: الخبر ١٧٥

ثانيًا: الإنشاء ١٨٤

خلاصة الوحدة السادسة ١٩٨

اختبار الوحدة السادسة ١٩٩

النشاط التعليمي للوحدة السادسة ٢٠٢

**الوحدة السابعة: المساواة والإيجاز والإطناب** ٢٠٣-٢٤١

مبررات دراسة الوحدة السابعة ٢٠٤

الأهداف التعليمية للوحدة ٢٠٥

الرسم الخطي للوحدة السابعة ٢٠٦

أولاً: المساواة ٢٠٧

ثانيًا: الإيجاز ٢١٢

ثالثًا: الإطناب ٢٢٢

خلاصة الوحدة السابعة ٢٣٥

اختبار الوحدة السابعة ٢٣٧

النشاط التعليمي للوحدة السابعة ٢٤١

**الوحدة الثامنة: الإخراج على خلاف الظاهر** ٢٤٣-٢٦٢

مبررات دارسة الوحدة الثامنة ٢٤٤

الأهداف التعليمية للوحدة ٢٤٥

الرسم الخطي للوحدة الثامنة ٢٤٦

الإخراج على خلاف الظاهر ٢٤٧

صور الإخراج على خلاف الظاهر ٢٤٩

أولاً: الالتفات ٢٤٩

ثانيًا: وضع المُظهر موضع المضمر وعكسه ٢٥٣

ثالثًا: وضع الماضي موضع المضارع وعكسه ٢٥٦

خلاصة الوحدة الثامنة ٢٥٩

اختبر الوحدة الثامنة ٢٦٠

النشاط التعليمي للوحدة الثامنة ٢٦٢

**فهرس الكتاب** ٢٦٣-٢٦٧